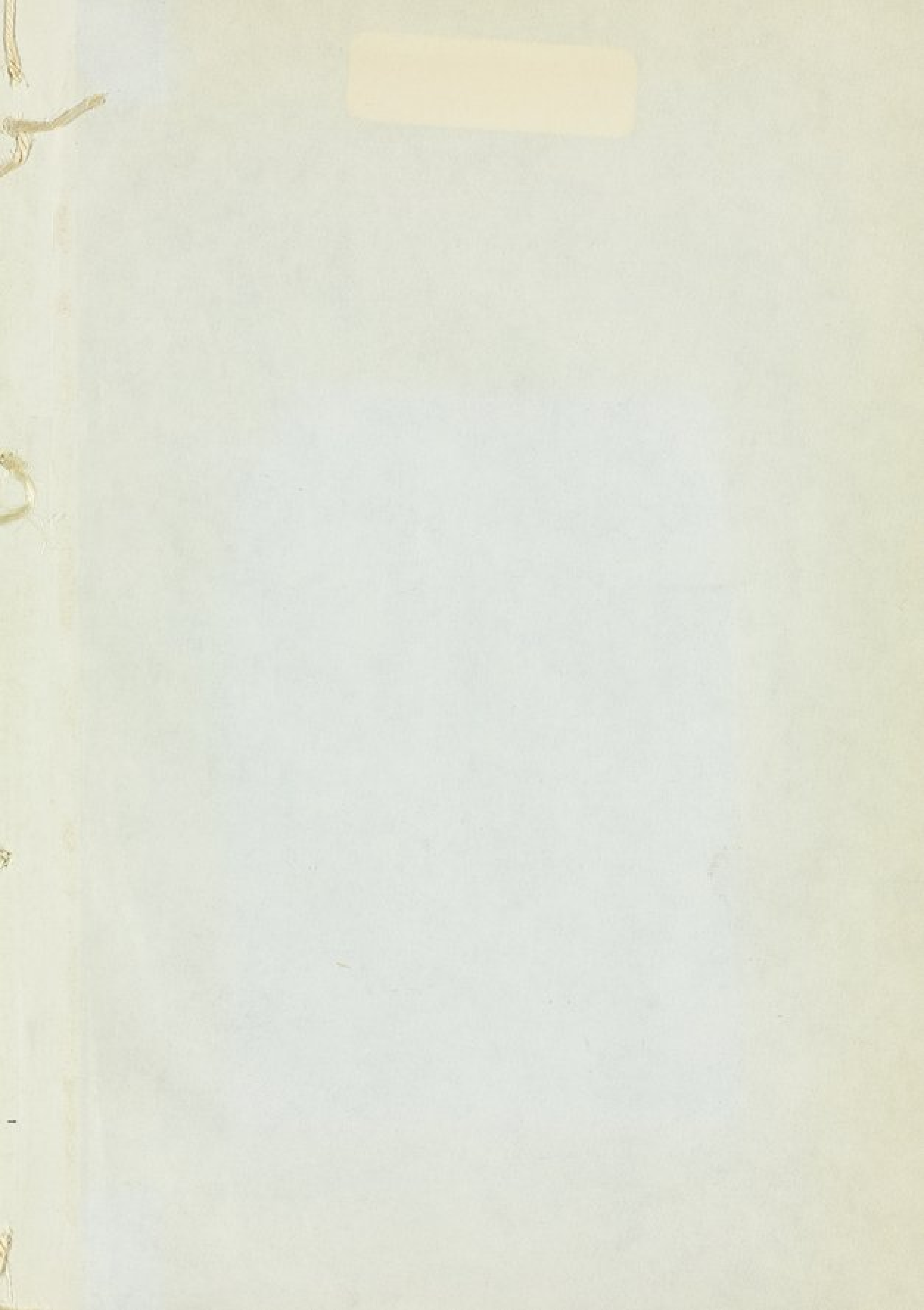


DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE


Princeton University Library
32101 071969115



توفيق سلطان اليوزبكي
كلية الآداب ـ جامعة الموصل

الوزارة

نشأتها وتطورها في الدولة العباسية

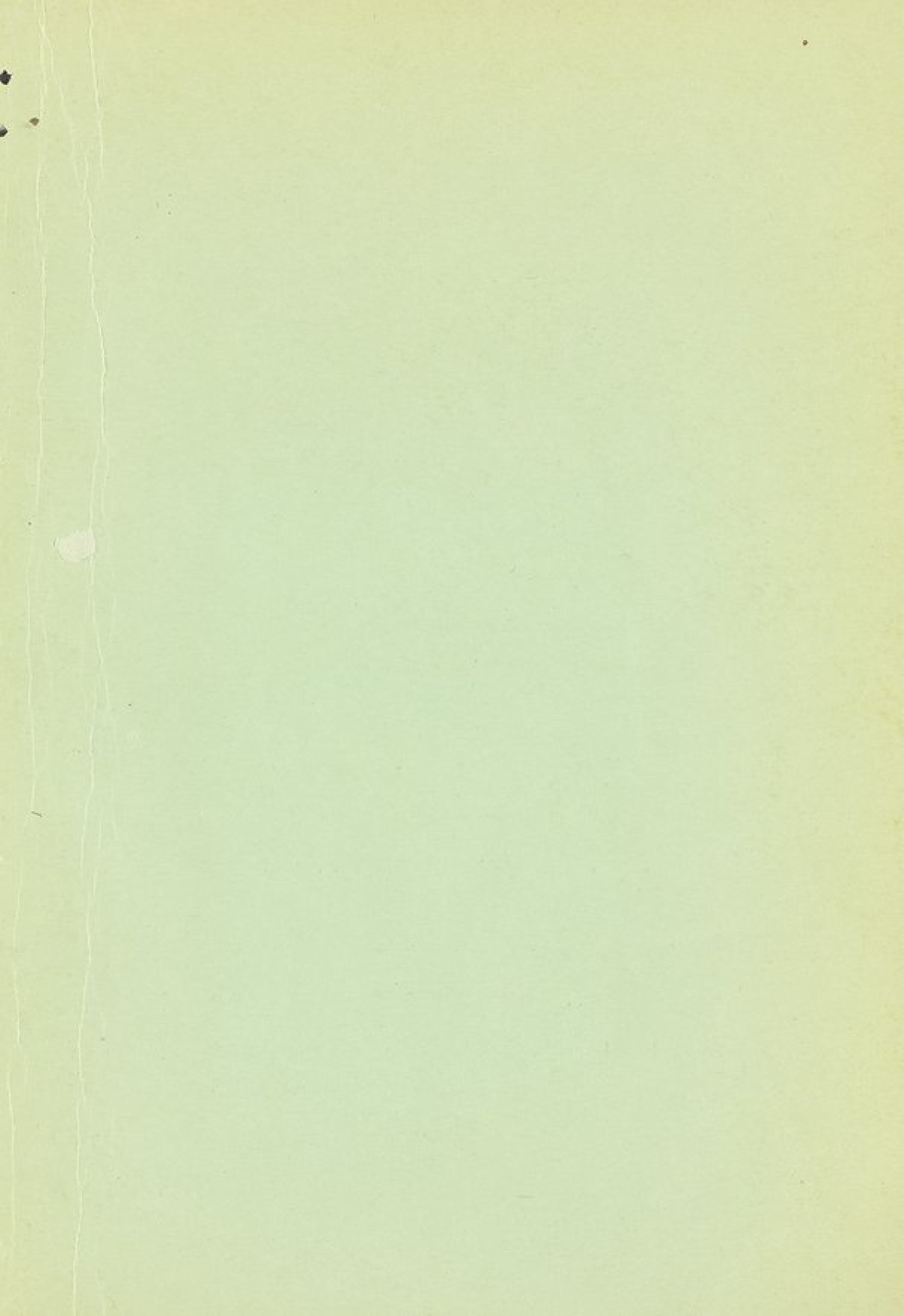
(١٣٢ ـ ٤٤٧ هـ)

رسالة ماجستير نالت درجة جيد جدا
من كلية الآداب ـ جامعة عين شمس القاهرة

ساعدت وزارة التربية والتعليم على نشره

١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م

مطبعة الارشـاد ـ بغداد



توفيق سلطان اليوزبكي

الوزارة

نشأتها وتطورها في الدولة العباسية

(١٣٢ - ٤٤٧ هـ)

رسالة ماجستير نالت درجة جيد جدا
من كلية الآداب - جامعة عين شمس القاهرة

ساعدت وزارة التربية والتعليم على نشره

١٣٧٠هـ - ١٩٧٠م

مطبعة الارشـاد - بغداد

تقـــديم

في التاريخين الاسلامي والعربي لرقعة الشرق الادنى - بجناحيه الشرقي والغربي وفي قرونهمــا الطويلة نواح قمينة بالبحث والدراســة والتفسير العلمي من جانب المشتغلين في هذا الحقل ممن توفرت لديهــم العزيمة القوية والرغبة الصادقة في خدمة الحقيقة . ومن هؤلاء الباحثين السيد توفيق سلطان اليوزبكي الذي كان اهتمامه مركزا أبان عمله تحت اشرافي لدرجة الماجستير في التاريخ - على تجلية ناحية من النظم الحكومية زمن الخلافة العباسية وهي الوزارة ما بين عامي ١٣٢ - ٤٤٧هـ .

وعلى الرغم من كثرة ما كتب في هذا الموضوع وما صدر فيه من بحوث بعديد من اللغات الا ان بعض جوانبه لا تزال غامضة قد تختلف فيها الاراء وتتشعب الخواتيم ولكنها تدل في اتفاقها حينا وتباينها احيانا اخرى على ان موضوع الوزارة لم يفقد جدته ولم تستجل كل نواحيه وزواياه ، وقد يتجلى هذا الغموض لقلة من ذوي الادراك التاريخي الصادق فيحاولون ما وسعهم الجهد الكشف عنه ، وقد يقول السطحيون من أصحاب النظرة العابرة ان ما صدر في امثال هذا الموضوع لشيء كثير لم يدع زيادة لمستزيد ، لكنه قول فج يعوق حركة المجتهدين والمبدعين عن السير قدما ، وباب الاجتهاد مفتوح فان اغلق ففي ذلك الموت (الفكري) واذا كان لكل مجتهد نصيب فنصيب السيد توفيق اليوزبكي مقدر وهو مشكور عليه ، ثم ان نصيب قرائه انفسهم اكثر لما اضافه سيادته في بحثه من اضافات تضم الى جهود اخرين تزداد يوما بعد يوم ، ومن مشكلات تثار فيه وقد لا نجد لها حلا سريعا ولكن حسب أصحابها انهم اثاروها ليتناولها لاحقوهم بالبحث .

ولقد نجح صاحب هذه الرسالة في موضوعه من جوانب عدة ليس من شك في ان جمهرة من سابقيه عرضوا لبعض منها ولكن التوفيق صادفه في كثير مما تناوله مما سيطالعه القارىء خلال تصفحه لهذا الكتاب ، ولقد ساعده على هذا ميله للدراسات التاريخية وما طبع عليه من حب في الاطلاع ، ثم ما توفر له من مصادر ومراجع يضاف الى هذا كله رغبة في التحصيل والافادة فارق من اجلها الديار والاهل ليتخذ من المكتبات في مصر وتركيا دارا ومن مخطوطاتها اهلا وخلانا يستمع اليها ويتفكر فيمــا تكشفه له سطورها من خبىء ودفين .

وبعد فان السيد توفيق اليوزبكي لبرعم من البراعم التي نرجو ان تتفتح ويكون لها ما للزهور من عبق واريج ، وفيها ما في شباب العراق العربي الحر من توثب ونضوج ، وارجو لهذا الغرس العربي بكريم التوفيق والسداد انه سميع مجيب .

الاستاذ الدكتور حسن حبش

رئيس قسم التاريخ بكلية الاداب

-جامعة عين شمس - القاهرة

١٩٧٠/٣/١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

(واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي
اشدد به ازري واشركه في امري ٠٠٠)

قرآن كريم

شكر وتقدير

يسرني ان اتقدم بالشكر الجزيل والتقدير البليغ للاساتذة الافاضل الدكتور حسن حبشي المشرف على اعداد الرسالة لما قدمه لي من ارشاد وتوجيه ورعاية طيبة حرصا منه على ان يكون هذا البحث أقرب الى الكمال، والدكتور عبدالعزيز الدوري رئيس جامعة بغداد الذي رعاني بارشاداته عند اعداد خطة البحث • واسأل العلي القدير ان يحفظهم ويرعاهم بعنايته وياخذ بأيديهم لخدمة العلم وطلابه ولبعث تاريخ امتنا العربية المجيدة •

كما واتوجه بالشكر والتقدير الى الاخوة الذين قاموا بترجمة بعض المراجع من الفرنسية والتركية والفارسية ، وامناء المكتبات الذين سهلوا لي الحصول على الكتب والمصادر من مكتباتهم • اخص بالذكر منهم الآنسة الفاضلة ثائره الصراف امينة مكتبة متحف الموصل والسيد قاسم الجراح معاون مدير متحف الموصل والسيد منيب محمود السعدون أمين قسم المراجع بالمكتبة العامة في الموصل ، والسيد أمين مكتبة الاوقاف ببغداد ، واشكر ايضا السيدات والسادة امناء مكتبات بايزيد والسليماني وايا صوفيا باسطنبول ، واتقدم بجزيل الشكر للجهود المخلصة التي بذلها امين الخزانة العامة للكتب والوثائق المغربية بالرباط ، وامين قسم المخطوطات بدار الكتب المصرية في القاهرة •

فبفضلهم جميعا استطعت ان اخرج هذا البحث الى حيز الوجود ولن انسى جهودهم ما حييت •

وارجو ان اكون قد وفقت في اعداد هذه الرسالة التي هي باكورة انتاجي العلمي والله ولي التوفيق •

توفيق سلطان اليوزبكي

حزيران – ١٩٦٨

القاهرة

مقدمة

يعد منصب الوزارة من اهم مناصب الدولة العباسية بعد الخلافة ودراستها تلقى الضوء على التطور التاريخي لحقبة من التاريخ الاسلامي منذ العصر العباسي الاول من حيث التنظيمات السياسية والادارية ، والاحداث الداخلية ، ومراحل الضعف والقوة في ادولة الاسلامية ، وليس من شك في انه صحب تطور نظام الوزارة احداث تاريخية خطيرة ، نجم البعض منها من جراء عدم استقرارها ورسوخها أحيانا ، وتحديد صلاحيات الوزير منذ صدر العصر العباسي الاول أحيانا أخرى ، ثم ما كان هناك من محاولة الوزير المستمرة للسيطرة على الادارة واستبداده بأمور الدولة مما حدى بالخليفة العباسي الى ان يقف في بعض الاحيان موقفا فيه شيء من الحزم تارة والشدة تارة أخرى تجاه استبداد الوزير ، باعتباره منفذا لاوامر الخليفة ومستشاره .

وقد تجلى هذا التصادم بين الخليفة والوزير بصورة واضحة في الصراع الذي نشب بين الرشيد والبرامكة وبين المأمون وآل سهل حيث بلغت الوزارة في عهدهم حدا كبيرا من القوة واضحى الوزير على درجة عظيمة من النفوذ .

وكان للسيطرة التركية على الخلافة العباسية أثر كبير في اضعاف مركز الخليفة والوزير معا وأدى الى ظهور بادرة خطيرة جدا لم يسبق لها مثيل في التاريخ الاسلامي الا وهي كثرة تعديهم على الخلفاء بالقتل والسمل والعزل ، وبدا دور انحطاط الخلافة العباسية والوزارة بعد وفاة المعتصم سنة ٢٣٢هـ واستمر حتى خلافة المعتضد سنة ٢٧٩هـ التي تعتبر بداية فترة انتعاش الخلافة والوزارة معا وليس من شك في ان الفضل

يرجع الى قوة الخليفة في هذا الانعاش وما ترتب عليه من استقرار الامور في البلاد مما مكنه من ان ينصرف لقتال الخارجين على الدولة •

ولكن الاتراك لم يلبثوا ان استعادوا سيطرتهم على الخلافة في عهد الخليفة المقتدر وضعف تبعا لذلك مركز الوزير ، وبدأ تدخل الحريم والجيش في اختيار الوزير وعزله ، وترتب على ذلك مجيء شخصيات وزارية ضعيفة لا قدرة لها من ان تولى النواحي الادارية والمالية والسياسية المرجوة • وكثر شغب الجند على الحكومة ، وانفصلت بعض الولايات عن جسم الدولة ، وقلت الاموال الواردة في الولايات ، واهملت مشاريع الري فتدهور الوضع الاقتصادي لدرجة خطيرة مما ساعد على دخول البويهيين بغداد سنة ٣٣٤هـ حيث حلوا محل الاتراك في حكم البلاد • ولم يقدر للخلافة أي تقدم في عهدهم ، بل انهم استهانوا بالخلافة ولم يعترفوا بامامة الخليفة العباسي لاختلافهم معه في المذهب ، وجردوه من بعض صلاحياته وشاركوه بما تبقى منها ، وأصبحت وظيفته لا تتعدى الامور الدينية • وتجلى نفوذهم القوى في الدولة حين وضعوا اسماءهم والقابهم على السكة مع اسم الخليفة وشاركوه الدعاء لهم على المنابر في خطبة الجمعة والعيدين واتخذوا لانفسهم الوزراء ولم يبق للخليفة سوى كاتب يدير له أمواله واقطاعاته التي خصصها له البويهيون •

وانحطت الوزارة في عهدهم وأصبحت صلاحيات الوزير لا تتعدى الامور الكتابية واحتجزوا الاموال وازدادت ثورات الجند لتأخير مرتباتهم وانفصلت بعض الولايات عن الدولة واتبعوا سياسة اثارة النزعات الطائفية والمذهبية مما أدى الى قيام حروب أهلية لم يسبق لها مثيل في التاريخ الاسلامي ولقد كانت هذه الامور بمجموعها عاملا ساعد السلاجقة على التقدم نحو العراق واحتلالهم اياه ودخولهم بغداد سنة ٤٤٧هـ ، وبذلك انتهى الحكم البويهي وقام على انقاضه الحكم السلجوقي •

وتتناول خاتمة البحث تحليل نظرية الوزارة عند الماوردي والتي تمثلت في رأي أبويعلى في الوزارة ، وقد اوردت مقدمة اشرت فيها الى الظروف السياسية التي حدث بالماوردي لوضع نظريته وكانت في جوهرها تهدف لاستعادة نفوذ الخلافة العباسية الذي زال خلال العصر البويهي فلقد بيّن في كتابه الاحكام السلطانية ان تعيين الوزير من حق الخليفة وحده حيث ذكر (ان تقليد الوزارة جائز للخليفة من الوجهة الشرعية وذلك استنادا الى قوله تعالى على لسان موسى (واجعل لي وزيرا ...)[1] ثم اسهب في بيان انواعها وشروطها واختصاصاتها بما تتفق والاسس الشرعية للمذهب السني .

وفي مجال البحث في موضوع الوزارة رجعت الى امهات المراجع العربية القديمة المنشورة والمخطوطة فاضطرت لزيارة كل من دمشق واسطنبول والقاهرة والبحث في مكاتبهم ، وقد وجدت مجموعة طيبة من المخطوطات في مكتبات اسطنبول والقاهرة وبغداد .

فقد الف في الوزارة كتبا كثيرة منذ عهد بني العباس وما تلاه من العهود ابرزها كتاب الوزارة لابي بكر الصولي الذي يقول عنه السخاوي[2] . ان فيه غرائب لم تقع لغيره وأشياء افرد بها لانه شاهدها بنفسه . ثم ذيل عليه محمد بن عبدالملك الهمداني ، ولابي الحسن علي بن الحسن بن الماشطة كتاب اخبار الوزراء انتهى فيه الى آخر أيام الراضي وكذلك لابي الحسن علي بن الحسن بن الفتح الكاتب المعروف بابن المطوق ، وآخرين منهم ابراهيم ابن موسى الواسطي ، وله كتاب عارض فيه محمد بن داود بن الجراح، وابا طالب بن انجب الخازن له كتاب اخبار الوزراء

---

(١) الماوردي الاحكام السلطانية ص ٢١ ، ابو يعلى الاحكام ص ١٣ السهروردي تحرير الاحكام ورقة ٢٢ ظ .

(٢) السخاوي الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٩٧ .

في دولة الائمة الخلفاء ، وقال في اوله ان الخلفاء العباسيين اول من استوزر الوزراء لان بني امية كانوا يفوضون امر جباية الاموال الى كتاب البلاد، وكان بنو امية لا يستوزرون بل يتخذون كاتبا ، والف محمد بن عبدوس الجهشياري كتابه الموسوم (الوزراء والكتاب) وهو اشهر مؤلف في تاريخ الوزراء في الاسلام تناول فيه وضع الكتابة وتصنيف طبقات الكتاب وصفات الكاتب أيام الفرس وفي العصور الاسلامية ، مبتدأ بعهد الرسول والراشدين والامويين والعباسيين وكانت خاتمة بحثه نهاية عصر المأمون ، وقد انصب اهتمام المؤلف على وزراء المقتدر ، واخص منهم بالذكر الوزير علي ابن عيسى .

وتناول ابن طباطبا محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي في كتابه (الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية) سياسات الدول في عهود ما قبل الاسلام كما تناول الفتوحات الاسلامية في عصر الراشدين ، واحوال الخوارج ، والاحداث التي وقعت في عهد بني امية ، وقيام الدولة العباسية ، وتكلم بالتفصيل عن خلفاء بني العباس ، ووزرائهم حتى خلافة المستعصم بالله .

اما كتاب الوزراء والمعروف أيضا بـ (تحفة الامراء في تاريخ الوزراء) لابي الحسن هلال ابن المحسن الصابىء فقد اشتمل على حوادث تاريخية ونادرة وعلى النظم العباسية من وزارة ودواوين ، ومراسيم ، ومكاتبات ، وعلى أساليب الدسائس ، والمؤامرات التي كانت تحيكها النساء والجواري والوزراء واثر ذلك على شؤون الدولة ، وانصب اهتمام المؤلف على عهد المقتدر ، والوزراء الذين توالوا على كرسي الوزارة في عهده .

وكتاب علي بن الحسن المسعودي ٣٤٥هـ - ٩٥٦م الموسوم بـ (مروج الذهب ومعادن الجوهر) وهو كتاب تاريخي جغرافي . وكتاب التنبيه

والاشراف ، تناول دراسة تاريخ العرب وتاريخ البلدان التي فتحها المسلمون ، كما تناول اخبار الوزراء العباسيون بشيء من الايجاز .

وتناول محمد بن عبدالله بن مسلم الدنيوري الملقب بابن قتيبه ٢٧٦هـ - ٨٨٩م في كتابه عيون الاخبار ، اخبار العرب في الجاهلية والاسلام ، وكتاب المعارف ، ذكر فيه أيام العرب ، ودويلاتهم ، واخبار النبي ، والخلفاء الراشدين ، حتى العصر العباسي ، وكتاب الامامة والسياسة ، جمع فيه النوادر التاريخية ، وبحث في مسألة الامامة وشروط عقدها كما تناول الاوضاع السياسية في تلك العهود .

وتناول أحمد بن يحى البلاذري ٢٧٩هـ - ٨٩٢م في كتابه فتوح البلدان اخبار النبي وموقفه من اليهود ، وقيام حروب الردة ، والفتوحات الاسلامية ، واخص في بحثه اخبار الخليفتين العباسيين المتوكل والمعتمد .

وكتاب الاخبار الطوال لابي حنيفة الدنيوري ٢٨٢هـ - ٨٩٥م تناول فيه اخبار فارس قبل الاسلام ، وفتوح العرب لها ، وعوامل سقوط الدولة الاموية ، وقيام الدولة العباسية ، واظهر فيه موقف الفرس لاسناد الدعوة والدولة العباسية ، واثرهم فيها ، ويظهر ان الدنيوري كان يميل كثيرا الى الفرس باعتبارهم ابناء جلدته .

وتناول أحمد بن جعفر بن ابي يعقوب بن واضح الاخباري العباسي ٢٨٤هـ - ٨٩٧م في كتابه تاريخ اليعقوبي اخبار الجاهلية والامم السابقة للاسلام حتى سنة ٢٥٩هـ ويظهر من اسلوبه في الكتابة انه يميل الى العلويين ولكنه لم يجرأ على اعلان ميله لهم خوفا من العباسيين أو طمعا في كسب رضاهم .

وتناول محمد بن جرير اطبري ٣١٠هـ - ٩٢٣م في مؤلفه (تاريخ الامم والملوك) اخبار البشر منذ خلق آدم حتى عصره ، على ترتيب السنين

معتمدا على الروايات الشفوية ، وعلى ما شاهده ، وعلى كتب المتقدمين كابن اسحق وابي مخنف والواقدي والمدائني[1] وكانت معظم مصادر بحثه عن تاريخ العراق في النواحي السياسية والحربية والاجتماعية ، والدينية ، والادارية من خلافة ، ووزارة ، وحجابة ، وولاية ، والكتاب بحق موسوعة عربية ضخمة احتوت اوثق الاخبار ، لما لصاحبها من ذكاء ، وفطنة ، ومقدرة •

وقد اقتفى ابي الحسن علي المعروف بابن الاثير ٦٣٠هـ – ١٢٣٣م في كتابه (الكامل في التاريخ) اثر الطبري في التدوين بحسب السنين ، واعتمد عليه ، ونجد فيه التحري الدقيق في نقل الاخبار ، والروايات ، تناول فيه تاريخ البشرية منذ عصورها القديمة حتى عصره ، وكتابه يعتبر موسوعة اسلامية فذة شهد به ابن خلكان حيث قال (انه من خيار التواريخ) •

ثم كتاب العلامة عبدالرحمن ابي زيد بن خلدون ٨٠٨هـ – ١٤٠٦م المعروف بـ (العبر وديوان المبتدأ والخبر •••) تناول فيه اخبار العرب والعجم والبربر وغيرهم من الشعوب ، وتحتل مقدمته مكانة عظيمة في تاريخ العرب ، ولم يعرض رواياته التاريخية بأسلوب سابقيه من المؤرخين ، وانما وضع فلسفة للتاريخ ، ومنهجا لعلم التاريخ ، تناول فيه المجتمع العربي والاسلامي ، من حيث تطوره ، ونظمه الادارية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والدينية •

وكتب أحمد بن علي بن عبدالله القلقشندي في أصل الوزارة ، واشتقاقها ، وآدابها ، وحقوقها ، وفي شروط تولي الكتابة ، والوزارة ،

---

(١) جواد علي (موارد تاريخ الطبري) في مجلة المجمع العلمي العراقي عدد ٢ سنة ١٩٥٢ ص ١٣٥ – ١٩٥ وعدد ٣ سنة ١٩٥٤ ص ١٦ – ٥٦ •

وصفاتها ، ولعل ابرز ما دون في كتابه (صبح الاعشى في صناعة الانشا) مراسيم الاستيزار ، وهي مراسيم سلطانية بالتكليف لتولي الوزارة .

ولعل ابرز ما الف في آداب الوزارة هو ، آداب الوزارة لعلي بن علي الابوصيري المحفوظ في اسطنبول بمكتبة ايا صوفيا برقم (٢٨٣٧) وكتاب الاشارة الى آداب السياسة في الوزارة لابن الخطيب السلماني والموجود في الخزانة العامة للمكتب والوثائق المغربية في الرباط برقم (٢٤١١) وكتاب نفح العزيز في صلاح السلطان والوزير لمؤلفه سيدى أحمد الدمنهوري والموضوع بمكتبة السليماني باسطنبول برقم (١٩١٤) وكتاب منهاج الوزراء في النصيحة لاحمد محمود الجيلي بمكتبة ايا صوفيا برقم (٢٩٠٧) في اسطنبول وكتاب تحفة الوزراء لمؤلفه عبدالله أحمد البلخي بمكتبة ايا صوفيا برقم (٢٨٥٥) في اسطنبول ، وكتاب تحفة الوزراء في المواعظ للشيخ علي بن مجدالدين الشامي والموجود بمكتبة بايزيد باسطنبول برقم (٣٦١) وكتاب في المواعظ والقاب الوزراء لمؤلف مجهول موجود بمكتبة ايا صوفيا برقم (٣٤٨٧) باسطنبول ، وكتاب تواريخ فارس في القاب الوزراء لناصرالدين منشى كرمان وباللغة الفارسية بمكتبة السليماني باسطنبول .

وقد بحثت هذه الكتب في آداب الوزارة ، وبما يجب على الوزير من الاتصاف بها ليكون اهلا لهذا المنصب ، كما اشارت الى اختصاصاته وصلاحياته ، واما الكتب التي تناولت نظام الوزارة فمنهم دستور الوزراء لمؤلف مجهول وباللغة التركية والموجود بمكتبة السليمان برقم (٢٩٧) وكتاب التبر المسبوك فيما يحتاج اليه الملوك لابي عبدالله محمد بن المقفع برقم (١١٣) مكتبة السليماني ، ورسالة الوزارة لاحمد الحنفي الحموي بمكتبة ايا صوفيا برقم (٢٨٩٣) وكتاب تحرير الاحكام في تدبير أهل الاسلام لابي حسن محمد السهوودي البغدادي والموجود بمكتبة بايزيد برقم (١٩٠٦٨) .

وكتاب التبر المسبوك في نصيحة الملوك لابي حامد الغزالي والموجود الآن بمكتبة الاوقاف ببغداد برقم (٤٧١٨) ورسالة في الوزارة واشتقاقها لمحمد بن علي الفناري بمكتبة الاوقاف ايضا ببغداد وكتاب روضة العقيان في اخبار مشاهير الزمان لمحمد بن بكر بن حماد بن دكين والموجود بدار الكتب المصرية • وقد تناولت هذه الكتب نظم الوزارة وقوانينها وعلاقة الوزير بالخليفة وصلاحيات كل منهما ، والاحداث التاريخية التي واجهت الوزير • ونجد اخبار الوزراء منشورة في اغلب كتب التأريخ القديم • ومن كتب في تاريخ الوزراء في العصور الحديثة عدد كبير من المؤرخين العرب والاجانب ، ولكنهم لم يتناولوا بصورة مفصلة دراسة تطورها التاريخي خلال العصور العباسية وما صاحبها من احداث سياسية مهمة ، فقمت بدراستها تفصيلا متخذا عوامل تطورها وضعفها خلال العصور العباسية وحتى العصر السلجوقي • حيث ساير نظام الوزرة في هذا العصر المنهاج الذي سار عليه سلاطين آل بويه •

اذن كان لهؤلاء المؤرخين القدامى الفضل في تدوين المعلومات الهامة عن نظام الوزارة في العصور المختلفة ، استقى منها من جاء بعدهم من المؤرخين والباحثين من مادة ابحاثهم ، وقد تنبه بعض علماء التأريخ من الاوربيين في العصر الحديث الى اهمية دراسة نظام الوزارة نذكر منهم على سبيل المثال المؤرخة الفرنسية سورديل Sourdel والتي تناولت في كتابها الوزارة العباسية Le, Vizirat Abbasside دراسة موضوعية للعصر العباسي الاول والثاني ، وقد استهدفت في بحثها توضيح العلاقة بين الخلافة والوزارة وما نجم عنها من احداث مهمة في كلا العصرين ، وقد افادنا كثيرا ما كتبه بوين Bowen عن الوزير علي بن عيسى في كتابه Ali Ibin Esa The Good Vizier موضحا طبيعة عصرة ومبينا شخصيته في طليعة الوزراء العباسيون ، وما كتبه بالمر Palmer في كتابه هارون الرشيد Haron Al-Rashid واشار الى سياسة الرشيد والوزراء البرامكة ،

وآثارهم في سياسة الدولة ، وما وجد في دوائر المعارف لا سيما الاسلامية من مقالات عن الوزراء ، واشهر الاسر التي تولت منصب الوزارة في العصور العباسية المختلفة .

والى جانب هؤلاء توجد بحوث متفرقة ومتعددة وردت في كتب التاريخ ولا سيما في كتب الحضارة والنظم والتي الفها المؤرخون العرب والمستشرقون .

فدراسة تأريخ الوزارة تلقى الضوء على التقلبات السياسية التي سايرت العصور العباسية المختلفة ، وكان لها الاثر العميق في توضيح نظام الخلافة والوزارة معا .

توفيق سلطان اليوزبكي

الـوزارة

نشأتها وتطورها في الدولة العباسية

١٣٢ ـ ٤٤٧ هـ

الفصل الاول :ـ الوزارة

تمهيـد

١ ـ اصل الكلمة واشتقاقها

٢ ـ بداية ظهور نظام الوزارة

١ - (اصل الكلمة واشتقاقها)

اختلف اللغويون والمفسرون والكتاب ، في اشتقاق لفظ الوزارة على اقوال ، فقيل : انه مأخوذ من (الوزر)[١] (بكسر الواو وسكون الزاى) كما في قوله تعالى : (ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك)[٢] وهو بمعنى الثقل لان الوزير يحمل عن الحكومة اعباء الدولة ويقوم بادارة شؤونها . قال ابن خلدون : (ان السلطان في نفسه ضعيف يحمل امرا ثقيلا فلابد من الاستعانة بابناء جنسه ، واذا كان يستعين بهم في ضرورة معاشه ، وسائر مهنه ، فما ظنك بسياسة نوعه ، ومن استرعاه من خلقه وعباده)[٣] ، وقيل انه مأخوذ من (الوز)[٤] (بفتح الواو والزاى) وهو الملجأ والمعتصم . كما في قوله تعالى : (كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر)[٥] لان الخليفة او السلطان ، يلجأ الى رأيه وتدبيره ومعونته عند نزول الشدائد ووقوع النوائب ليدبر الوزير له الامور بثاقب فكره لترتيب امور الدولة . وقيل

---

(١) الوزر : ابن منضور لسان العرب ، معجم متن اللغة ، المعجم الوسيط ، تفسير الطبرى ج ١٦ ص٥٤٠ ، الفنارى رسالة في الوزارة ورقة ٣ و .

(٢) القرآن الكريم ٢ك الشرح ٩٤ آيه .

(٣) ابن خلدون المقدومة ص ٢٠٨ .

(٤) الفخرى ص١٢١ ، دائرة المعارف ص ٧٧٤ (فريد وجدى) ، الماوردى ادب الوزير ص ٩ ، عبدالله البستاني البستان ، الفيروز ابادى القاموس المحيط ، الحموى رسالة في الوزارة (مخطوطة) ورقة ٢١ ظ ، الابوصيرى كتاب الوزارة (مخطوطة) ورقة ٦ ظ ، احمد الدمنهورى نفح العزيز (مخطوطة) ورقة ٢ ظ ، محمد السهروردى تحرير الاحكام (مخطوط) ورقة ٢٢ و ، الفنارى رسالة في الوزارة ورقة ٣ و .

(٥) القرآن الكريم ١١ ك القيامة آية ٧٥ .

ان اللفظ مشتق من (الازر)[1] وهو الظهر كقوله تعالى على لسان موسى (واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازرى واشركه في امري)[2] ، وقيل قد تكون الكلمة مأخوذة من (الموازرة)[3] وهي المعاونة لأن الوزير عون الملك الذي يحمل ثقله ويعينه برأيه ويحمل عنه اعباء السياسة[4] ، وقيل ان اللفظ فارسي معرب واصله من (الزور)[5] وهو عند الفرس اسم للشدة والقوة فاقتبس منهم وعرب ، ومعناه ان الوزير يشد ازر صاحب الدولة ويقويه ويعينه على اموره . وكان يطلق على الوزير عند الفرس الساسانيين اسم (بزرك خرم دار) أو (بزرج خرمدار) ومعناه (كبير عمال الدولة) او رئيس رؤسائها ووزير وزرائها[6] . ويذكر المسعودي ان العجم كانت تسمى وزير الملك حامل الثقل ، ووساد العضد ، ورئيس الكفاة ، ومدبر الامور العظام . كما كان اليونان والرومان يطلقون اسم (وزير الملك) على من يدبر امره ويرجع الملك الى رأيه وتدبيره[7] .

وقد ذهب بعض المستشرقين الى القول من أن اصل كلمة وزير فهلويه (اي فارسية قديمة) وهي مشتقة من لفظ (فيشيرا) Vi - chira

---

(١) ابن منضور لسان العرب ، فريد وجدى دائرة المعارف ص٧٧٤ ، معجم متن اللغة ، الفيروز ابادى القاموس المحيط ، المعجم الوسيط .

(٢) القرآن الكريم سورة طه آية ٢٩ .

(٣) الماوردى الاحكام السلطانية ص١٣ ، جورج حداد مختصر تاريخ الحضارة ص ٤٣ .

(٤) القلقشندى صبح الاعشى ج ٥ص ٤٤٨ ، دائرة المعارف البريطانية (مادة وزير) ج ٢٣ ص٢٢٨ ، ابن خلدون المقدمة ج ١ ص٤١٩ ، خليل شاهين زبده كشف الممالك ج ٩٣ ص ٢٢٨ .

(٥) القلقشندى صبح الاعشى ج ٥ ص ٤٤٨ .

(٦) الطبرى تاريخ ج ١ ص ٨٦٩ ، الجهشيارى ص ٨٥ .

(٧) المسعودي التنبيه والاشراف ص ٢٩٤ .

التي تعني الامر او التقرير او القاضي او الحكم[1] ولكن بين القضـــاء والوزارة فرقا واضحا من حيث طبيعة العمل والمسؤولية مما يحملنا عـلى عدم موافقة المستشرقين رأيهم في اشتقاق هذا اللفظ من هـذا الاصـــل الفارسي القديم[2] .

وتشير سورديل Sourdel [3] الى اصل الوزارة فتقول انها انتقلت الى امارة الحيرة فكان اللخميون بمثابة مســاعدين للفرس في الحكم . وكانوا يسمون ايضا (الرديف)[4] وهي المرتبة الثانية بعد الملك .

وهناك نص آرامي يمكن اعتباره وسطا بين العربية والفارسية ويحوى كلمة Gezireat وتعني (الوزير) ، وهي كلمة ايرانية كانت قد ظهرت في التلمود حوالي منتصف القرن الخامس الميلادي ، وتطلق على الموظف الذي يشرف على الاراضي والري . كما اخذ المؤرخون من هـذا النص العبارة السريانية (راس الكزبر) واطلقوها على (رئيس الشرطة) وان كانت وظيفة (الكزبر) لا تعني في الحقيقة اكثر من مســاعد لرئيس القرية[5] .

ونرى انه لا توجد اية صلة بين هذه الشخصية وبين الوزير الذي كان يتولى شؤون الوزارة في الدولة الفارسية او في الدول الاسلامية . كما

---

(١) احمد امين ضحى الاسلام ط ٣ ص ١٧٢ .

(٢) صبحي الصالح النظم الاسلامية نشأتها وتطورها ص ٢٩٤ .

(٣) Sourdel ; Le, Vizirat Abbaside , P. 41.

(٤) الرديف (ارداف) وارداف الملوك في الجاهليـــة الذين كانوا يخلفونهم في القيام بامر المملكة وهم بمنزلة الوزراء في الاسلام . وكـــان يجلس على يمين الملك فاذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس واذا غزا الملك قعد الردف في موضعه وكان خليفته على الناس حتى يعود . ابن منضــــور لسان العرب ج ١١ ص١٣ .

(٥) Sourdel, P. 45.

ان مفهوم (الوزير) في اللغات الفهلوية والعبرية والآرامية يختلف في خصائصه اختلافا كليا عن مفهوم الوزير في العصر العباسي[١] •

ويتضح مما سبق ذكره ان لفظة الوزير (عربية) ، وقد وردت في القرآن الكريم على لسان موسى (واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازرى واشركه في امري)[٢] ومع ان اللفظة قرآنية الا انها بمعناها السياسي مستحدثة في الاسلام وان عرفت عند بني اسرائيل وقدماء المصريين قبل الفرس الفهلويين[٣] • وظهر منصب الوزارة عند اللخميين في الحيرة ـ كما ذكرنا سابقا ـ ولكن على نطاق محدود • مما دعى اللغويين العرب الى الاجماع بان لفظة وزير عربية وانها ليست من مستحدثات العصر العباسي الاول • لأن هذه اللفظة وردت في القرآن وفي حديث السقيفة حيث قال ابي بكر الصديق (منا الامراء ومنكم الوزراء)[٤] • ويقول ابن خلدون (كان العرب الذين عرفوا الدول واحوالها في كسرى وقيصر والنجاشي يسمون ابا بكر وزيره)[٥] •

وقد استعملت هذه اللفظة ايضا في العصر الاموي حيث يقول ابن الاثير (ان زيادا كان يسمى وزير معاوية)[٦] الا انها لم تستعمل بمفهومها الوظيفي وسلطاتها المعروفة المحددة الا في العصر العباسي الاول •

---

(١) Sourdel, P. 48.

(٢) القرآن الكريم سورة طه آية ٢٩ •

(٣) حسن ابراهيم حسن النظم الاسلامية ص ٩٧ •

(٤) احمد الحموي مجموع رسائل ورقة ٢٢ ظ (مخطوطة) ، ابن منضور لسان العرب ، ابن الاثير الكامل ج ٢ ص ١٢٣ •

(٥) ابن خلدون المقدمة ص ١٩٨ •

(٦) ابن الاثير الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٢٤٤ •

٢ ـ (بداية ظهور نظام الوزارة)

ان وظيفة الوزير قديمة وقد عرفت في عصورها قبل الاسلام كما عرف هذا المنصب عند قدماء المصريين وبني اسرائيل والفرس[١] • فكان يوسف يحمل لقب (العزيز) ويمكن اعتباره مرادفا للقب (الوزير) كما كان آصف بن برحنه وزيرا لسليمان بن داود[٢] •

وكان ملوك العرب قبل الاسلام في اليمن والحيرة والشام يطلقون على من يوازرهم في اعباء الملك اسم (الراهن) لانه مرتهن بالتدبير ، كما كانوا يطلقون عليه ايضا اسم (الزعيم) لانه زعيم بصواب الرأى كما سموه ايضا (الكافي) لانه يكفي الملك مهمات الامور ، ولقبوه احيانا (الكامل) لانه يجب ان يكون كامل الفضائل[٣] •

وكان هرون وزيرا لموسى ، فقد دعا موسى ربه فقال : (واجعل لي وزيرا من اهلي)[٤] وقال تعالى مستجيبا لموسى (وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا)[٥] اي ان الله تعالى شد عضد موسى بأخيه •

والوزارة كما يقول صاحب كتاب منهاج الوزارة (ان اعلى المناصب وافضل الرتب النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة • وان جميع الملوك والسلاطين يحتاجون الى الوزراء حتى الانبياء والرسل مع علو شأنهم وسمو سلطانهم فانهم يحتاجون اليهم)[٦] •

---

(١) مصطفى الرافعي الاسلام نظام انساني ص ١٣٥ •
(٢) احمد الحموى مجموعة رسائل (مخطوطة) ورقة ٢٢ و •
(٣) محمد احمد برانق الوزراء العباسيون ص٤ •
(٤) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم سورة طه آية ٢٩ •
(٥) ٣٥ ك الفرقان آية ٢٥ •
(٦) محمود الجبلي الاصفهبزى منهاج الوزراء في النصيحة (مخطوط) ورقة ٨ و •

وكان الصحابة في عهد الرسول يعاونونه في ادارة شؤون الدولة المختلفة (فكانوا يقومون بمهام الوزراء وان لم يتلقبوا بهذا اللقب ومن هذه المهام الذي قام بها الصحابة كتابة ما نزل به الوحي • فمن كتب للرسول علي بن ابي طالب وعثمان بن عفان ، كما كان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن ابي سفيان يكتبان للرسول بعض الكتب التي ترتبط بمصالح الدولة الاسلامية بينما كان المغيرة بن شعبة والحسن بن نمر يكتبان الكتب التي تتعلق بمصالح عامة الناس كما كتب عبدالله بن الارقم والعلاء بن عقبة الكتب التي تختص بالمداينات والعهود والمعاملات ، وتولى زيد بن ثابت الكتابة الى الملوك الى جانب كتابة ما نزل به الوحي وكان حنظلة ابن الربيع ، كاتبا احتياطيا ينوب عن كل كاتب اذا غاب عن عمله[١] •

ويذكر الطبراني في الكبير عن ابن عباس ان رسول الله قال (ان الله ايدني باربعة وزراء اثنين من اهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من اهل الارض ابي بكر وعمر[٢] وكان زيد بن علي بن الحسين يشهد بوزارة ابي بكر وعمر للرسول فقد قال له اصحابه ان كنت تريد ان نبايعك فالعن ابا بكر وعمر • فقال زيد والله ما كنت لالعن وزيرى جدى)[٣] •

تولى هؤلاء الصحابة مهام الوزير وان لم يكن يطلق عليهم هذا الاسم لذهاب رتبة الملك بسذاجة الاسلام[٤] •

---

(١) برانق الوزراء العباسيون ص ٣٣ •

(٢) السيوطي حسن المحاضرة جـ٢ ص١٢٥ مصطفى الرافعي حضارة العرب ص١٢٢ ، محمود الجيلي منهاج الوزراء ورقة ٩ و ، اسلم بن سهل الرزاز الواسطي تاريخ واسط ص ٢٠٦ تحقيق كوركيس عواد لمطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٦٧ •

(٣) مجموعة رسائل (مخطوطة) احمد الحموى ورقة ٢٢ ظ ، محمود الجيلي منهاج الوزراء ورقة ٩ و •

(٤) ابن المقفع التبر المسبوك (مخطوط) ورقة ٤ و ، ابن خلدون المقدمة جـ ١ ص ٤٢٠ •

وظهرت الوزارة في صدر الاسلام في صورة غير مباشرة فكان عمر بن الخطاب بمثابة وزير لابي بكر ، بينما كان عثمان وعلي وزيرى عمر واصبح مروان بن الحكم بمثابة الوزير في خلافة عثمان[1] .

وكان الخليفة في صدر الاسلام لا يستبد بالسلطة وتصريف الاعمال شأنه في ذلك شأن النبي ، فقد كان الخليفة يستعين في ادارة امور الدولة بصحابة رسول الله واعيان المدينة ورؤساء القبائل فكانوا يجتمعون في مسجد المدينة ولا يقطع الخليفة امرا دون استشارتهم فاصبح هؤلاء في منزلة الوزراء وان لم يطلق عليهم هذا اللقب .

والملوك لا يستغنون عن الوزراء فانه (كما يحتاج اشجع الناس الى السلاح وافره الخيل الى السوط ، واحد الشفار الى المسن . كذلك يحتاج اجل الملوك واعظمهم الى الوزير[2] وقديما قالوا (لا يصلح السلطان الا بالوزراء والاعوان)[3] .

فلما تولى بنو امية الخلافة واتسعت الدولة الاسلامية احتاجوا الى من يستشيرونهم ويستعينون بهم في امور الدولة السياسية والادارية فاتخذوا بعض المستشارين والمعاونين من الامراء والولاة ، اصبحوا بمثابة الوزراء في العصور الاخرى ، فكانوا ينظرون في شؤون الحكم والادارة والشؤون المالية ، وديوان الجند[4] .

ولن تظهر الوزارة في العصر الاموي بالصورة التي ظهرت عليها في العصر العباسي فكان للخلفاء الامويين كتاب يتولون الكتابة للخلفاء ، فكان

---

(١) الشيخ علي بن مجد الدين مخطوط (بالفارسية) تحفة الوزراء في المواعظ ورقة ٢٦ و ، السيوطي حسن المحاضرة ص ١٢٥ ، الرافعي حضارة العرب ص ١٢٢ .

(٢) محمد احمد برانق نقلا عن الوزراء العباسيين ص ٥ .

(٣) برانق الوزراء العباسيون ص ٥ نقلا عن كليلة ودمنة .

(٤) ابن خلدون المقدمة جـ ١ ص ٤٢٢ .

الكاتب بمثابة (امين سر الخليفة وصاحب ديوانه وسجلاته)[1] وكان الكاتب من ابرز الموظفين في العصر الاموي وكان بمثابة الوزير اذ يعاون الخليفة في شؤون الدولة ويحفظ سره[2] ، ولذا كان في مأمن من الاخطار التي هددت الوزير العباسي احيانا .

وبعد ان كان الكاتب في عصر الرسول وعصر الخلفاء الراشدين يولى كتابة الرسائل التي تملي عليه كما يتولى الحسابات ، وضبط ديوان الدولة ومراسلاتها اصبح في العصر الاموي يتولى مهام الدولة وينشيء رسائلها . وكان اهل الذمة يتولون احيانا وظيفة الكتابة اذ ان اعمال الدواوين كانت في مطلع العصر الاموي تكتب بلغات مختلفة ، حتى عريت الدواوين في عهد عبدالملك بن مروان[3] وكان يشترط في الكاتب ان يكون ذا ثقافة واسعة في اللغة العربية وآدابها مطلعاً على سير الاولين واخبار الاقدمين واحوالهم .

وسياساتهم وقد نبغ في العصر الاموي جماعة من الكتاب (امناء سر) نذكر منهم ابا العلاء سالم بن عبدالله كاتب الخليفتين هشام بن عبدالملك والوليد بن يزيد . وقد رووا انه نقل بعض رسائل ارسطو التي كان قد بعثها الى الاسكندر من اللغة اليونانية الى اللغة العربية وان له مجموعة رسائل في مائة ورقة[4] وهو استاذ عبدالحميد الكاتب ، شيخ الكتاب ، واصبحت الكتابة صناعة مميزة متشعبة الفروع ، بما ادخله عليها الجيل الناشيء في الاسلام من ابناء الموالى ممن كانوا يعرفون اللغات الرومية واليونانية او الفارسية او السريانية او القبطية وهي لغات ارتبطت بحضارات وانظمة ورسوم ادارية متعددة[5] ولم يطلق خلفاء بني امية على امين سرهم

---

(١) جوجي زيدان التمدن الاسلامي ص ١٥٨ ، اسعد طلس عصر الاتساق ص ١٨٥ .

(٢) القلقشندى صبح الاعشى جـ٢ ص٤٥٢ .

(٣) حسن الباشا الالقاب الاسلامية ص ١٨٤ .

(٤) ابن النديم الفهرست ص ١١٧ .

(٥) اسعد طلسي عصر الاتساق ص ١٨٥ .

لقب الوزير وانما لقب كاتب أو مشير فلم تظهر الوزارة رسمية الا في عهد بني العباس[١] ويشير المسعودي الى هذا بقوله كانت ملوك بني امية تكره ان تخاطب كاتبا لها بالوزارة وتقول الوزير مشتق من المؤازرة والخليفة اجل من ان يحتاج الى المؤازرة[٢] . ويذكر العمري في كتابه المسالك (لم تكن للوزارة رتبة تعرف مدة بني امية وردحاً من دولة السفاح بل كان كل من اعان الخلفاء على امرهم يقال له وزير بمعنى انه مؤازر له لا انه متولى رتبة خاصة يجرى لها قوانين وتنظم بها دواوين[٣] . ولا يستثنى من هذا الا زياد بن ابيه اذ لقبه بعض الناس بالوزير في عهد معاوية بن ابي سفيان[٤] .

ولما قامت الدولة العباسية واتسعت دواوينها وتشعبت مصالحها وشؤونها عظم شأن الوزير (وصارت اليه النيابة في انفاذ الحل والعقد وتعينت مرتبته في الدولة وعنت لها الوجوه وخضعت لها الرقاب ، وجعل لها النظر في ديوان الحسبان لما تحتاج اليه خطته في قسم الاعطيات بين الجند فاحتاج الى النظر في جمعه وتفريقه واضيف اليه النظر فيه ثم جعل له النظر في القلم والترسيل لصون اسرار السلطان ، ولحفظ البلاغة لما كان اللسان قد فسد عند الجمهور وجعل الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها من الضياع والشياع ودفع اليه فصار اسم الويزر جامعا لخطتي السيف والقلم وسائر معاني الوزارة والمعاونة[٥] .

---

(١) عبدالمنعم ماجد تاريخ الحضارة ص ٣٢ ، جورج حداد مختصر تاريخ الحضارة ص ٤٤ .

(٢) المسعودي التنبيه والاشراف ص ٢٩٤ .

(٣) نقلا عن السيوطي حسن المحاضرة جـ ٢ ص١٢٥ .

(٤) ابن الاثير الكامل في التاريخ جـ٣ ص٢٤٤ ـ ٢٤٥ ، اليعقوبي جـ ٢ ص ٢٥٩ .

(٥) ابن خلدون المقدمة جـ ١ ص ٤٢٣ .

وتحدث صاحب الفخرى عن الوزارة في العصر العباسي فقال (والوزارة لم تمهد قواعدها وتقرر قوانينها الا في دولة بني العباس فاما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد ولا مقررة القوانين ، بل كان لكل واحد من الملوك اتباع وحاشية فاذا حدث امرا استشار ذوى الحجا والآراء الصائبة فكل منهم يجرى مجرى وزير . فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة وسمى الوزير وزيرا ، وكان قبل ذلك يسمى كاتبا أو مشيرا[1] . وذكر ابن خلكان انه (لم يكن قبل ابي سلمه الخلال ، وزير ابي العباس السفاح من يعرف بهذا النعت لا في دولة بني امية ولا في غيرها[2] .

ومن هذا النص يتضح ان ابا العباس كان اول خليفة احدث منصب الوزارة وولى بعض الفرس هذا المنصب تقديرا لجهودهم في معاونة بني العباس على اقامة دولتهم[3] واستمر نظام الوزارة في الدولة العباسية ، وبلاد الاندلس والدولة الفاطمية وغيرها من الدول الاسلامية وان اختلف شكل الوزارة وسلطة الوزراء .

---

(١) الفخرى ص١٢١ .

(٢) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ١ ص ١٢٢ .

(٣) Sourdel, Le, Viairat Adb aside. P. 65.

الفصل الثاني :

الوزارة في الفصل العباسي الاول

١٣٢ ـ ٢١٨ هـ

١ ـ عوامل تولي الفرس الوزارة
٢ ـ الصفات الواجب توفرها في الوزير
٣ ـ امتيازات الوزير واختصاصاته
٤ ـ استئثار الوزراء بالسلطة والاموال
٥ ـ موقف الخلفاء العباسيين من وزرائهم
٦ ـ الوزارة بين الوراثة والتعيين

١ ـ عوامل تولي الفرس الوزارة

قاوم الموالى الفرس السياسة العربية التي انتجتها الخلافة الاموية وساندوا كل حركة ثورية ترمي الى القضاء على الخلافة الاموية العربية ليصبحوا عمادها واصحاب النفوذ الحقيقي فيها ، ومضى الموالي في تدبير خططهم باحكام وسرية تامة ، من اجل اسقاط الدولة الاموية ، وظهرت الدعوة العباسية في خراسان التي كانت مركزا للعناصر الفارسية المتطرفة في عدائها للعرب عامة ولبني امية خاصة لانهم حرموهم من السيطرة على المناصب الخطيرة في الامبراطورية العربية •

ويتضح دور الفرس في قيام الدولة العباسية بالخطبة التي القاها داود ابن علي العباسي في الكوفة يوم البيعة لابي العباس بالخلافة فقد قال : (يا اهل الكوفة انا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى اتاح الله لنا شيعتنا من اهل خراسان فاحيا بهم حقنا وابلج بهم حجتنا واظهر بهم دولتنا)[١] ومن خطبه لمحمد بن علي العباسي ••• (عليكم بخراسان فان هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وصدورا سليمة وقلوبا مجتمعة لم تقسمها الاهواء وليس فيهم العرب ولا فيهم تحارب كتحارب الاتباع مع السادات ولا تحالف كتحالف القبائل وما زالوا ينالون ويمتهنون ويكظمون وينتظرون الفرج ويؤملون دولة)[٢] •

وكان للموالي ما ارادوا بسقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية التي اعتمدت على العناصر الفارسية مما جعلها تدين لهم بقيامها وكيانها •

كانت كراهية الفرس للامويين ترجع الى نقمتهم على العرب الذين قضوا على الدولة الفارسية والدين المجوسي • وان في اقوال نصر بن سيار التي يخاطب بها القبائل العربية يمانية او نزارية ، ويحذرهم من الموالي ،

(١) الطبرى ج ٩ ص ٢٧ ، ابن الاثير الكامل جـ٥ ص١٩٧ ـ ١٩٨ •
(٢) ابن ابي الحديد شرح نهج البلاغة جـ٣ ص٤٨٩ •

خير ما يؤيد راينا :

ابلغ ربيعة في مرو واخوتهم فليغضبوا قبل الا ينفع الغضب
ولينصبوا الحرب ان القوم قد نصبوا حربا يحرث في حافاتها الخطب

الى ان يقول :ـ

قوم يدينون دينا ما سمعت به عن الرسول ولم تنزل به الكتب
فمن يكن سائلا عن اصل دينهم فان دينهم ان تقتل العرب(١)

وقد اشترك الفرس بعد قيام الدولة العباسية في الادارة والقيادة جزاء مساهمتهم في قيامها ، حتى قال الجاحظ (ان دولة بني امية عربية ودولة بني العباس اعجمية)(٢) وكان الخراسانيون يقولون : نحن اهل هذه الدولة واصحاب هذه الدعوى والانصار انصارنا(٣) .

وبالطبع اعترف العباسيون بفضل الفرس عليهم ، فقال الخليفة ابو جعفر المنصور لاهل خراسان (يا اهل خراسان انتم شيعتنا وانصارنا واهل دعوتنا)(٤) .

ولم يجد العباسيون بدا من اشراك الفرس في السلطة لتحقيق التوازن بين العرب والفرس ، وكان تعيين الوزير من الموالي الى جانب الخليفة وهو عربي رمز هذه المشاركة الفعلية(٥) . وكان للفرس حضارة قديمة وسياسة متوارثة ويجيدون معاملة الملوك مما جعل الخلفاء يطمئنون اليهم ويستعينون بهم ويفضلونهم عن العرب احيانا(٦) .

---

(١) الدنيورى الاخبار الطوال ص ٣٦٨ .
(٢) الجاحظ البيان والتبيين جـ٢ ص٦٤ .
(٣) عبدالله الفياض تأريخ البرامكة ص٢١ .
(٤) محمد عبدالغني صراع العرب خلال العصور ص٢٣ .
(٥) ادلوري الشعوبية ص٣٨ ، فيليب حتي تاريخ العرب ص٣٦٥ .
(٦) برانق الوزراء العباسيون ص٥٩ .

وبعد قيام الدولة العباسية اطلق الفرس على ابي سلمه الخلال اسم (وزير آل محمد) واصبح وزيرا لابي العباس ، وقد منحه نقباء الدعوة العباسية هذا اللقب وسلموا اليه الرياسة[١] (١٣٢ - ١٣٦ هـ) (٧٤٩ - ٧٥٤ م) قبل مبايعة السفاح بالخلافة • واصبحت وظيفة الخلال تقارب الى حد كبير وظيفة الكاتب الاموي ، ويتضح هذا في قول المسعودي (استخارت بنو العباس تسمية الكاتب وزيرا)[٢] •

ولم يحدث العباسيون في الحقيقة تغيرا اداريا جوهريا بتسمية الخلال وزيرا ، ولكن فكرة الوزارة العباسية واشتراك الفرس في السلطة ادى بمرور الزمن الى ظهور نظام الوزارة على صورته الكاملة ، والى رسوخه كأساس للادارة العباسية[٣] • وتاريخ الوزارة في العصر العباسي الاول يدلنا على ان معظم من اختير لمنصب الوزارة كانوا من الفرس وقد روعيا في اختيارهم الكفاءة في الكتابة والادارة ، فكان ابو سلمه الخلال فصيحا عالما بالاخبار والاشعار والسير والجدل ، كما اهتم البرامكة بالعلوم والآداب ، وقال المورياني : (ليس من شيء الا وقد نظرت فيه الا الفقه ، وقد نظرت في الكيمياء والطب والنجوم والحساب وحتى السحر)[٤] •

والحق ان القدرة الكتابية كانت عند الفرس اوضح منها عند العرب ، بل كان اظهر الكتاب الفنين في العصر الاموي من الفرس ، مثل عبدالحميد الكاتب وسالم مولى الخليفة هشام بن عبدالملك ، وكان العربي يفخر بالسيف واللسان لا بالقلم • وفي ذلك يقول سليط بن جرير النمري :

---

(١) الجهشيارى ص٨٤ •

(٢) المسعودى التنبيه والاشراف ص ٢٩٤ •

(٣) الدوري العصر العباسي الاول ص٦٢ •

(٤) الجهشيارى ص٩٧ ، ابن خلكان وفيات الاعيان جـ١ ص٢١٦ •

اتحقرنـي ولسـت لذاك اهـلا	وتدنى الاصـفرين من الخوان
جهابـذة وكتابـا وليســوا	بفرسـان الكريهـة والطعـان
سـتعرفني وتذكرنـي اذا مـا	تلاقى الحلقتـان من البطـان[1]

ولذا لم يكن عجبا ان تأثر خلفاء بني العباس بعد مشاركة الفرس لهم في الحكم بانظمة الاكاسره ، فقد استخدمت في بلاط الخلفاء مراسيم اكاسرة الفرس ، وظهر الطابع الفارسي في مظاهر الحياة الخاصة والعامة ، وتضاءلت التقاليد العربية في الادارة والسياسة ، وحلت محلها الانظمة الفارسية كما اقتبس العباسيون كثيرا من الافكار الساسانية والنظم الاجتماعية والازياء الفارسية ، وقيل ان المنصور كان اول من اخذ الناس بلبس القلانس[2] .

ويروى الجهشيارى (ان الفضل بن سهل كان يجلس على كرسي مجنح ويحمل فيه اذا اراد الدخول على المأمون فلا يزال يحمل حتى تقع عين المأمون عليه فاذا وقعت وضع الكرسي ونزل عنه فمشى وحمل الكرسي حتى يوضع بين يدى المأمون ثم يسلم ذو الرياستين ويعود فيقعد عليه ، وانما ذهب ذو الرياستين في ذلك مذهب الاكاسرة فان وزيرا من وزرائها كان يحمل في مثل ذلك الكرسـي ويتولى حمله اثنى عشـر من اولاد الملوك[3] .

واصبح للكتاب الفرس نفوذا كبيرا في بلاط الخلافة العباسية كما ادخل الوزراء الفرس كثيرا من التقاليد الساسانية[4] .

وهكذا تتضح لنا مدى سيطرة العنصر الفارسي على الحكم في الدولة

---

(١) البطان : حزام ذو حلقتين يشد على بطون الخيل ، ومتى تلاقيهما استعدادا للحرب .

(٢) الطبري جـ٣ ص٣٧١ ، الطبعة الحسينية ، Nicholson : Aliterary history of the Arabs. P. 256.

(٣) الجهشيارى ص ٣ ـ ٤ .

(٤) Gibb, Studies on the sivilization of Islam. P. 69.

العباسية من ناحية واستقطاب الفرس وتكتلهم حول زعمائهم من ناحية اخرى ، ويتضح هذا في قول ابي مسلم الخراساني عندما نظر الى ابي جعفر المنصور وقد جزع جزعا شديدا على وفاة اخيه ابي العباس فقال للمنصور : (ما هذا الجزع وقد اتتك الخلافة فقال : اتخوف من شر عبدالله بن علي وشيعته فقال : لا تخفه فانا اكفيك امره انشاء الله ، انما عامة جنده ومن معه اهل خراسان وهم لا يعصونني ، فسر ابي جعفر ما كان فيه وبايع له ابو مسلم[١] ولما قتل ابو جعفر المنصور ابا مسلم الخراساني قال له عيسى ابن علي فكيف تصنع بجنوده وهؤلاء قد جعلوه ربا ؟ فامر ابو جعفر فهيئت الف صرة في كل صرة الف درهم فقذفت اليهم[٢] .

ومع هذا فقد تكتلت العناصر الفارسية بعد مقتل ابي مسلم واظهرت مدى اخلاصها له وظهرت حركات ثورية متعددة اولها حركة الراوندية التي خرجت تدعو بطلب الثار وخلعوا طاعة المنصور[٣] .

وقد ادرك الفرس بعد مقتل ابي مسلم الخراساني بان احلامهم في الاستبداد بالسلطة كانت سرابا فعمدوا الى الثورة على الخليفة العباسي ، وقد اشار اليعقوبي الى هذا بقوله : (خرج قوم من اصحاب ابي مسلم الى خراسان فصاروا الى سنباذ ، وسنباذ بنيسابور ، فلما بلغه قتل ابي مسلم اظهر المعصية وخرج يطلب بدمه حتى اضطربت خراسان ، فوجه ابو جعفر المنصور جهور بن مرار فلقى سنباذ فواقعه فقتله وفرق جمعه[٤] .

وذكر الطبري ان سنباذ كان مجوسيا وانه كان قد خرج غضبا لمقتل ابي مسلم فيما قيل وطلبا بثاره[٥] . ويوضح المسعودي العلاقة بين مقتل

(١) الطبرى ج٩ ص١٥٥ .
(٢) الدنيورى الاخبار الطوال ص٣٧٨ .
(٣) الدنيورى الاخبار الطوال ص٣٨٠ .
(٤) اليعقوبي تاريخ اليعقوبي ج٣ ص١٠٤ .
(٥) الطبرى ج٩ ص١٦٩ .

ابي مسلم وحركة سنباذ فيقول : (انما نعى قتل ابي مسلم الى خراسان وغيرها من الجبال اضطربت الخرمية والتي تدعى المسلمية الذين يقولون بامامة ابي مسلم ... فاجتمعت في عسكر عظيم من بلاد خراسان الى الرى .... وقبض على ما كان بالري من خزائن ابي مسلم فكبر جمعه بمن حوله)[١] وتزعم سنباذ الخرمية والغلاة من الشيعة واتباع مزدك ، وكان يبشر اصحابه بنهاية الحكم العربي واعلن انه يريد الذهاب الى الحجاز وهدم الكعبة[٢] . وقد ظهرت حركات عديدة ظاهرها اسلامي وباطنها مجوسي شعوبي ترمي الى تقويض السلطان العربي والدين الاسلامي واعادة المجد الفارسي والدين المجوسي ، ومن هذه الحركات الراوندية والمقنعية وحركة بابك الخرمي وحركتي الافشين والمازيار وكلها تحمل طابع الزندقة .

ولا ريب ان استخدام الفرس في الوزارة كان له الاثر الاكبر في افساح المجال للفرس للاسهام في مناصب الدولة الخطيرة ، واضعاف نفوذ العرب تدريجيا وابعادهم من المراكز السياسية والعسكرية والادارية البارزة واحلال الفرس محلهم . ويبدو ان هـذا الاتجاه كان نتيجة ميل معظم الوزراء العباسيين الى اعادة السلطان الفارسي . فقد سيطر البرامكة[٣] على

---

(١) المسعودى مروج الذهب جـ٢ ص٢٢٠ .
Brown : History of Porsia Literature. P. 313.

(٢) الدورى العصر العباسي الاول ص٨٦ .

(٣) البرامكة : اسرة فارسية . ولفظة برمك تدل على وظيفة خاصة بخدم معبد (النوبهار) ببلخ . ومعنى الاسم بالسنسكريته (الدين الجديد) حيث يتكون من كلمتين هما (نفا) و (نهارا) ومعناهما (المعبد الجديد) او (الدين الرئيسي) وكانوا يقومون عـلى عبادة الاوثان (لا النار) وهذا الوصف مطابقا للديانة البوذية (ابن الفقيه طبعة دى غول ص٣٢٢ ، احمد رفاعي عصر المأمون جـ١ ط٤ ص١٣٦ ، دائرة المعارف الاسلامية م٣ ص١٠٣٣) ويروى الدكتور الجومرد عن ياقوت وابن خلكان : ان برمك كان يوقد النار في معبد النوبهار لان ديانتهم قائمة على عبادة النيران التي =

مناصب الدولة فكان خالد بن برمك ـ وهو من بلخ ـ من جماعة ابي مسلم وساهم في اسقاط الدولة الاموية العربية في الشام[1] ٠

وقد كان اختيار الخلفاء وزرائهم من الفرس نتيجة (دوافع سياسية) مثل اختيار يعقوب بن داود اذ اعتقد الخليفة ان استيزار يعقوب وسيلة حسنة لإزدياد التفاهم والتعاون مع العلويين ٠ وربما كان اختيارهم بالوزارة نتيجة كفاءتهم في ميادين السياسة والادارة ، او لمشاركة الخليفة احيانا في مجالس اللهو ٠ ونجح الوزراء الفرس بهذه الوسائل بالتقرب الى الخلفاء والتغلغل في اجهزة الدولة ٠ واصبح عادة استخدام الفرس في الوزارة والمناصب الاخرى في الدولة مألوفة لدى خلفاء العصر العباسي الاول ٠

كما ظهر تدخل النساء في اختيار الوزراء من الفرس اذ كانت بعض امهات الخلفاء العباسيين من امهات الاولاد الفارسيات مما ادى الى وصول الفرس الى مراكز الادارة والقيادة والسياسة في الدولة العباسية ٠

= يقدسها المجوس (الجومرد هرون الرشيد جـ١ ص٨٧) فكانوا بلا شك قد تأثروا بالعقيدة الدينية التي ورثها البرامكة باعتبارهم ورثة الامبراطورية الساسانية (دائرة المعارف الاسلامية ص١٠٣٣) واسلم جد البرامكة ومؤسس اسرتهم في اواخر الدولة الاموية والتحق بالدعوة العباسية في خراسان ٠ فلما بويع السفاح بالخلافة جعله على ديوان الخراج ثم ديوان الجند واخيرا ولاه الوزارة ٠ ثم استوزر الرشيد ابنه يحيى وولديه الفضل وجعفر (دائرة المعارف الاسلامية م٣ ص١٠٣٤ ، الجومرد هارون الرشيد ص ٨٧) ٠

(١) Wellhouson. The Arab Kinhdom and the Fall. P. 538.

٢ ـ الصفات الواجب توافرها في الوزير

يتفق اغلب الكتاب والمؤرخين في تحديد الصفات الواجب توفرها في الوزير فيذكرون انه يجب ان يتصف بالعلم ، البلاغة ، الصدق ، الامانة والادب . وخير نص بين ايدينا ما رواه الماوردى عن المأمون انه كتب يحدد صفات الوزير فقال : (اني التمس لاموري رجلا جامعا لخصال الخير ، ذا عفة في خلائقه ، واستقامة في طرائقه ، قد هذبته الآداب ، واحكمته التجارب ، اذا اؤتمن على الاسرار قام بها ، وان قلد مهمات الامور نهض فيها ، يسكته الحلم وينطقه العلم ، وتكفيه اللحظة وتغنيه اللمحة ، له صولة الامراء ، واناة الحكماء ، وتواضع العلماء ، وفهم الفقهاء ، ان احسن اليه شكر ، وان ابتلى بالاساءة صبر لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده ، يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه وحسن بيانه[١] .

وروى القلقشندى عن الثعالبي حديثا ورد في سنن ابي داود عن عائشة هذا نصه : (اذا اراد الله بالامير خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسي ذكره ، وان نوى خيرا اعانه ، وان اراد شرا كفه)[٢] .

ويشير صاحب الفخرى الى صفات الوزير ومؤهلاته بقوله : (الوزير وسيط بين الملك ورعيته فيجب ان يكون في طبعه شطر يناسب طباع الملوك وشطر يناسب طباع العوام ليعامل كلا الفريقين بما يوجب له القبول والمحبة والامانة والصدق راس ماله ، والكفاءة والشهامة من مهماته ، والفطنة والتيقظ والدهاء والحزم من ضرورياته ، ولا يستغنى ان يكون مفضالا مطعاما ليستميل بذلك الاعناق ، وليكون مشكورا بكل لسان ، والرفق

---

(١) الماوردى الاحكام السلطانية ص٢١ ، ابي سالم العقد الفريد للملك السعيد ص١٤٢ .

(٢) القلقشندى صبح الاعشى جـ٢ ص٤٤٩ ، ابي سالم العقد الفريد ص١٤٦ سنن ابي داود (باب اتخاذ الوزير) .

والاناة والتبث في الامـور ، والحلم والوقار والتمكن ونفاذ القول مما لابد منه)[1] .

ويضيف اليه صاحب الآثار ، النزاهة وعزة النفس ، وسداد الرأى والفهم والعلم بالامور السياسية والناموسية والضوابط السلطانية والاحوال الديوانية والامور الحربية ، ويجب ان يكون قد بلغ اشده وكثرت تجاربه ، وامنت خيانته ، وتحققت امانته ، كتوما للاسـرار ... حسن التاني في مخاطبـة الملوك ... ومالكا لزمام المنثـــور والمنظوم ماهرا في الاستيفاء والمقابلات ، قويا في صناعة الحساب ... خبيرا في علم التواريخ والهندسة ، معمر الجهات والاعمال ، مثمرا لاصناف الاموال ... مقتصدا في وجوه صرفها ونفقاتها ، ولا ينبغي ان يكون حسودا ولا حقودا ولا غادرا ولا شرهاً في اكل ولا شرب ولا نكاح[2] .

ويشير الماوردى الى ما يجيب على الوزير اتباعه بقولـه : (فاجعل الدين قائدك ، والحق رائدك ، لان للدين انصارا وللحق اعوانا ، وقـد روى عن النبي انه قال : (ما من رجل من المسلمين اعظم اجرا من وزير صالح مع امام يطيعه ويامره بذات الله تعالى)[3] .

ويشير ابراهيم بن محمد الكاتب الى صفات الوزير بانه (يجب ان يكون نقي الملبس ، نظيف المجلس ، ظاهر المرؤة ، عطر الرائحة ، دقيق الذهن ، صادق الحس ، حسن البيان ، رقيق حواشـــي اللســان ، حلو

---

(١) الفخرى ص ١٢٠ ـ ١٢١ .

(٢) الحسن بن عبدالله اثار الاول ص ٦٢ ـ ٦٤ ، احمد الدمنهورى نفح العزيز (مخطوط) ورقة ٧ ـ ٨ و ظ ، الثعالبي التمثيل والمحاضـرة ص ١٦٧ ، محمود الجيلي منهاج الوزراء (مخطوط) ورقة ١٥ ظ ، ابن الخطيب السلماني آداب السياسة في الوزارة (مخطوط) ورقة ١٣ و ، العمري التعريف بالمصطلح الشريف ص٩٣ .

(٣) الماوردى آدب الوزير ص٢ .

الاشارة ، مليح الاستعارة ، لطيف المسالك)[1] . وتحدث المسعودي عن صفات الوزير فقال (فلم يكن الخلفاء والملوك تستوزر الا الكامل من كتابها ، والامين العفيف من خاصتها ، والناصح الصدوق من رجالها ، ومن تأمنه على اسرارها واموالها ، وتثق بحزمه وفضل رأيه وصحة تدبيره في امورها)[2] . ويحدد الماوردى سبعة صفات يجب توفرها في الوزير اولها الامانة حتى لا يخون فيها اؤتمن ، وثانيها صدق اللهجة حتى يوثق بخبره ، وثالثها قلة الطمع حتى لا يرتشي ، ورابعها ان يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة وشحناء ، وخامسها ان يكون ذكورا لما يؤديه للخليفة وعنه ، وسادسها الذكاء والفطنة حتى لا تدلس عليه الامور فتشتبه ، وسابعها ان لا يكون من اهل الاهواء فيخرجه الهوى من الحق الى الباطل ، وثامنها الحنكة والتجربة التي تؤدى به الى صحة الرأى وصواب التدبير)[3] .

وكان حكماء اليونان يعرفون فضل منصب (الوزارة) ويبرزون اهميتها من الشرائع والسنن ، ويختارون الوزراء من الاسر الشريفة والبيوت العريقة اما الفرنج فكانوا يشترطون في الوزير ان يكون قديم النعمة ، بعيد الهمة ، ناهرا للهوى ، جليل القدر ، رحيب الصدر ، مشهود العفة ، ذا خبرة في الدخل والخرج ، مؤثرا للعامة ، صادعا بالحق ، حافظا للاسرار ، مؤثرا للابرار ، مباينا بطبعه لخلق الاشرار[4] .

وذكر ابن قتيبة في كتابه عيون الاخبار ان ابرويز وعظ كاتبه فقال :

---

(١) ابن عبد ربه العقد الفريد جـ٤ ص١٧١ .

(٢) المسعودى التنبيه والاشراف ص٢٩٤ .

(٣) الماوردى الاحكام السلطانية ص٢٦ ـ ٢٧ ، ابو يعلى الاحكام السلطانية ص١٥ .

(٤) ابن الخطيب السلماني آداب السياسة في الوزارة ورقة ١١ ـ ١٣ وظ ، علي الابوصيرى آداب الوزارة (مخطوط) ورقة ٨ ظ .

(اكتم السر واصدق الحديث ، واجتهد في النصيحة ، واحترس بالحذر ، فان علي ان لا اعجل بك حتى استأنى لك ، ولا اقبل عليك قولا حتى استيقنه ولا اطمع فيك احدا فيغتالك ، واعلم انك بمنجاة رفعة ، فلا تحطها ، وفي ظل مملكة فلا تستزيلنه ... وتحصن بالعفاف صونا لمرؤتك ... وصن نفسك صون الدرة الصافية ، واخلصها اخلاص الفضة البيضاء ... وحصنها تحصين المدينة المنيعة ، واحكم لسانك ولا يمكن ما تملك عظيما ، ولا تقول صغيرا ، فانما كلام الكاتب على مقدار الملك، فاجعله عاليا كعلوه وفائقا كفوقه. واثبت في دواوينك ما ادخلت واحصى ما اخرجت ، وتيقظ لما تأخذ ، وتجرد لما تعطى ، ولا يغلبنك النسيان عن الاحصاء ، ولا الاناة عن التقدم ، وليكن ذلك كله عن مؤامرتي[1] .

وتحدثت كتب العجم عن وزراء الملوك فقالت : (كتاب الملوك عينهم المصونة وآذانهم الواعية ، والسنتهم الشاهرة ، لانه ليس احد اعظم سعادة من وزراء الملوك اذا سعدت الملوك ، ولا اقرب هلكة من وزراء الملوك اذا هلكت الملوك ، فترتفع التهمة عن الوزراء اذا صارت نصائحهم للملوك نصائحهم لانفسهم ، لان زوال الفتهما زوال نعمتهما ، وان التئام الفتهما صلاح خاصتهما[2] .

وقال عبدالله بن عباس عن ابيه : قال لي ابي : (يا بني اني ارى امير المؤمنين يستخليك ويستشيرك ويقدمك على الاكابر من اصحاب رسول الله واني اوصيك بخلال اربع : لا تفشين له سرا ، ولا يجرين عليك كذبا ، ولا تعتابن عنده احدا ، ولا تطو عنه نصيحة)[3] .

---

(١) ابن قتيبة عيون الاخبار جـ١ ص٤٥ ـ ٤٦ .

(٢) الابوصيرى آداب الوزارة (مخطوطة) ورقة ٦ ظ ، ابن قتيبة عيون الاخبار جـ١ ص٤٧ .

(٣) ابن قتيبة عيون الاخبار جـ١ ص١٩ .

ومن الآداب التي يجب ان يتصف بها الوزير لكي يستقيم له الامر عند السلطان ما ذكره ابن المقفع في ادبه (لا تكونن صحبتك للسلطان الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك ، وموافقتهم فيما خالفك ، وتقدير الامور على اهوائهم دون هواك ، فكن حافظا اذا ولوك ، حذرا اذا قربوك ، امينا اذا ائتمنوك ، تعلمهم وكانك تتعلم منهم ، وتؤدبهم وكانك تتأدب بهم ، وتشكر لهم ولا تكلفهم الشكر ، ذليلا ان ظلموك راضيا ان اسخطوك ، والا فالبعد منهم كل البعد ، والحذر منهم كل الحذر ... وان وجدت عن السلطان وصحبته غنى فاغتني به ، فان من يخدم السلطان بحقه يحل بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ، ومن يخدمه بغير حقه يحتمل الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة[1] .

ومن الآداب ايضا ان ليس للوزير في مجلس امير المؤمنين ان يذكر شيئاً الا ما يسأل عنه او يورد قولا في اخبار او مطالعة الا ما استؤذن فيه وسبيله ان يخفض صوته في حديثه ومحاورته ، ولا يرفعه الا بمقدار السماع الذي لا يحتاج معه الى استفهام او استعاده ... وان يقل الالتفات الى جانبيه وورائه والتحريك بيديه ، او شيئاً من اعضائه ، او رفع رجل للاستراحة عند اعيائه ، وان يغض طرفه عن كل مرآى الا شخص الخليفة وحده ، وان لا يسار احدا في مجلسه ، ولا يشير اليه بيده ولا عينه ، ولا يقرأ رقعة ولا كتابا يوصلان اليه بين يديه ، الا ما احتاج الى قراءته عليه ، وان يجعل وقوفه في موضع رتبته اللهم الا ان يدعوه الخليفة الى سر .... واذا خرج جعل خروجه تراجعا الى ورائه لئلا يوليه ظهره[2] .

---

(١) ابن قتيبة عيون الاخبار جـ١ ص٢٠ .

(٢) الصابي رسوم دار الخلافة مجلة المجمع العربي بدمشق جـ ١ سنة ١٩٦٦ ص ١٦٢ – ١٦٤ ، ابن المقفع التبر المسبوك (مخطوط) ورقة ٣ ظ .

وتحدث احد الخلفاء عن وزيره فقال : (الوزير هو قطب الدولة ومدارها ، وزند المملكة وسوارها ، يستضيء الملك من ظلمة بهامة بانوار تدبيره ويتحمل عنه ما يحدث من قليل الخطب وكثيره وجليله وحقيره وفتيله ونقيره ، فعليه بذل الجهود ليصيب الصواب بسهام همته وانوار آرائه[1] .

فان المتقدمين من فضلاء العلماء ذكروا في صفات الوزير شرحا طويلا ، وحملوا من كمال امانة الوزراء من الاوصاف المعتبرة عبئاً ثقيلا (فالوزير مرجع اعمال لدولة ومدار سياستها وكاتم الاخبار ومجمع الاموال) ووصف بعض ملوك العجم وزرائهم بانهم (ساسة الاعمال وحازة الاموال وسر احوال الرعية ومفرج كروبها)[2] .

وحددوا مسؤوليات الوزير فقالوا انه : (مسؤول عن اقامة العدل والادارة الكفوءة وتوفير المال)[3] . ووصف الخليفة المأمون الوزارة فقال : (وقد شرف الله الوزارة وعظم خطاها وحسن آثرها وجعلها سقف الملك الذي بنى خلافة الله في ارضه ، واليد المبسوطة على خلقه والوزارة اسم جامع للمحاسن ناظم لعقود المعاني والمكارم)[4] .

وتوجه الامام الغزالي بنصيحته الى الملوك فقال : (ينبغي ان يعلم الامير ان دوام الملك بالوزير وان دوام الدنيا بالملك)[5] .

ومن كلام اردشير (حقيق على الملك ان يكون طالبا لاربعة : الوزير الامين ، والكاتب العالم ، والحاجب المشفق ، والنديم الناصح . وسئل

---

(١) خليل بن شاهين زبدة كشف الممالك ص٩٧ .

(٢) مؤلف مجهول دستور الوزراء (مخطوط بالتركية) ورقة ١١ و .

(٣) Rosenthel, Political Thought in Medieval Islam. P. 93.

(٤) ناصر الدين كرماني تواريخ فارسية في القاب الوزراء (مخطوط بالفارسية) ورقة ٢ ظ .

(٥) ابو حامد الغزالي التبر المسبوك في نصيحة الملوك ورقة ٦ وظ .

اردشير اي الاصحاب اصلح ؟ فقال : الوزير المشفق الامين الصالح ليدبر معه رأيه ويسر اليه ما في نفسه)[1] .

وقيل : (الملك طبيب والرعية مرضى والوزير يعرض عليه شكاياتهم عرضا والنجاح مرتبط بسداد عقله وصحة نقله فان اختل السفير بطل التدبير[2] .

لذا وجب ان يعمل الوزير لصالح الملك والرعية على السواء فقال الماوردى (الوزير في منصب مختلف الاطراف يدبر غيره من الرعايا ويتدبر بغيره من الملوك ، فهو سائس ومسوس ، يقوم بسياسة رعيته وينقاد لطاعة سلطانه فيجمع بين سطوه مطاع وانقياد مطيع فشطر فكره جاذب لمن يسوسه، وشطره مجذوب بمن يطيعه ، لان الناس بين سائس ومسوس ، وجامع بينهما الوزير ، وله هذه الرتبة الجامعة فهو يجمع ما ائتلف من احكامها ، ويستكمل ما تباين من اقسامها ، وبيده تدبير مملكته ، صلاحها مستحق عليه ، وفسادها منسوب اليه ، يؤخذ بالاساءة ولا يعتد له بالاحسان ، تلان له المبادىء بالارتحاب ، وتشدد عليه الغايات بالاعتاب)[3] .

فبهذه الصفات وبهذه الآداب يستطيع الوزير ان ينال القرب والرضى من السلطان .

---

(١) احمد الحموى مجموعة رسائل (مخطوطة) ورقة ٢٢ ظ .

(٣) الابوصيرى آداب الوزارة (مخطوط) ورقة ٧ و .

(٣) الماوردى ادب الوزير المعروف (بقوانين الوزارة وسياسة الملك) ص ٢ .

٣ ـ امتيازات الوزير واختصاصاته

اتصفت مراسيم تعيين الوزير في العصر العباسي بالفخامة والعظمة فاذا رشح احدهم للوزارة ، ارسل الخليفة اليه مرسوما مكتوبا ، يحمله غالبا اميران من امراء الدولة ، فيقصد الوزير بعد استلامه المرسوم الى دار الخلافة وبين يديه الحجاب والقواد والغلمان ، ويقف الوزير عند (باب الحجرة)[١] في قصر الخلافة فيقدمه الحاجب الى الخليفة ويمثل بين يديه فيؤدى فروض الطاعة ، ويتجاذب الحديث مع الخليفة لفترة قصيرة ، ثم يتجه الى حجرة اخرى حيث يرتدى (الخلع السلطانية) التي كانت بمثابة (زي الوزارة) ثم يعود فيقبل يد الخليفة وينصرف ، فاذا بلغ الباب وجد فرس شهرى[٢] بمركب مذهب[٣] ومزينا بانتظاره فيمتطيه الى دار الوزارة ويسير في موكبه كبار الموظفين وقادة الجيش والامراء وموظفي البلاط والحجاب وخدام الخليفة والحرس فاذا وصل ترجل وسط مظاهر الاحتفال وجلس يتقبل التهاني بالمنصب الوزارى ، ثم يقرأ على الناس مرسوم الخليفة بتقليده مهام هذا المنصب[٤] .

وكان اول من ابتدع منح الوزراء ثياب التشريف الخليفة المنصور حيث الزم الوزير بلبس الثياب الممنوحة له ، وان يمثل امام القصر وبحضور الجمهور ، وشرفه ان جعله يجلس على كرسي بحضرة الخليفة ثم يقول له اوكل لك الوزارة[٥] .

---

(١) (باب الحجرة) ذكر ياقوت في مادة باب الحجرة انه موضع بدار الخلافة وهي دار عظيمة الشأن عجيبة البنيان فيها يخلع على الوزراء واليها يحضرون في ايام المواسم للهناء . ياقوت معجم البلدان جـ١ ص٤٤٤ .

(٢) (الشهرى) وهي الفرس الفارة النادرج الشهارى .

(٣) الصابي رسوم دار الخلافة ص٩٦ .

(٤) ادم متز الحضارة الاسلامية جـ١ ص١٥٠ ، امير علي مختصر تاريخ العرب ص٣٥٦ ، مصطفى الرافعي الاسلام نظام انساني ص١٣٨ .

(٥) Sourdel. Le, Vizirat Abbaside. P. 74.

ولم تتبع هذه المراسيم دائما في جميع العصور العباسية ، وبين ايدينا نسخ من هـذه المراسيم منحت في فترات متعددة ، منها نسخة انشأها ابـو الحسن محمد بن جعفر بن ثوابه ، وهي فصل من كتاب التولية وهـذه مقتطفات منها : (ولما لم يجد امير المؤمنين غنى عنه ولا للملك بدا منه وكان كتاب الدواوين عـلى اختلاف اقدارهم ، وتفاوت ما بين افكارهم مقرين برئاسته ، معترفين بكفائته ، متحاكمين اليه اذا اختلفوا واقفين عند غايته اذا استبقوا ، مذعنين بانه الحول والقلب المحنك المجرب ، العالم بدرة المال كيف تحلب ، ووجوهه كيف تطلب ، افتضاه من غمده ، فعاد مع عرف من جده ، فنفذ الاعمـال وكأن لم يغب عنهـا ، ودبر الامور وكأن لم يخلو منها[1] .

وهذه نسخة تقليد كتب فيهـا العلاء بن موصلايا عن الخليفة القائم بامر الله للوزير فخرالدين بن جهير سنة ٤٧٢ هـ منها : (اما بعد فالحمد لله الذي اختص محمد برسالته ... ، والحمد لله الذي اصار الى امير المؤمنين من ارث النبوة ما هو احق واولى به ... ، واحله من شرف الامامة بحيث عنت لطاعته اعناق الرقاب ... ، ولما غدا منصب الوزارة موقوفا على الذين طالما جروا بهممهم نواصـي الخطوب وحازوا بذممهم المنال في مقاصـد اشتهروا بها على احراز كل فضيلة واستدلوا وكفوا بكفايتهم اكف الفساد ، وردوا وحازوا الفعال في كل ما سعوا له وجدوا ... ، وخلا الزمان ممن ينهضوا بعبء هذا الامر الجسيم ، ثم انه شفع هذه المحنة التي قمصـك بمحامد فخرها بالوجوب وعوضـك فيها الدهر بحادث البشـر عن سـابق الخطوب ، بايصالك الى حضرته ، وادناك من سـدته ... ، وحبائك من صنوف التشريفات التي تروق حلى خلالها ، وتتوقى الاعمال الى ادراكهـا ومنالها ، واغداك منها في ظل من الامن البادى الاوضـاح ، والغرر حتى

---

(١) مسكويه تجارب الامم جـ١ ص٤٢ .

الحق بسمائك تاج الوزراء تنويها بذكرك في الزمان، وتنبيها على اختصاصك لديه برجاحة الرتبة والمكان)[1] .

ولعل ما اشرنا اليه من مراسيم الاسيزار ونماذج من كتب التولية والتي غالبا ما تقرأ بعد عودة الوزير الى داره ، وفي حفلة استقبال مهنئيه كان يقرأ هذا المرسوم امامه على الملأ من الحاضرين ، وبعدها ترد اليه الهدايا من الخليفة ، وغالبا تكون كالطعام ، والشراب ، والالبسة[2] ، والعطور ، والاثاث الثمينة ، والثلج[3] .

وكان للوزير دار مفردة في دار الخلافة يجلس فيها لمزاولة اعماله ، وبين يديه خاصته وحاشيته ، وكان يعاونه في اعمال الديوان اربعة من الكتاب[4] .

ومنذ عام ٣١٢ هـ صار الوزير يجلس في دار الحاجب متقربا اليه ومداريا له فكان هذا دليل على تناقص منزلة الوزير[5] .

كما كان الوزير يجلس في مجلس الخليفة عندما يستدعيه ، موليا له بوجهه واذا اراد الوزير ان يكتب شيئاً في حضرة الخليفة كان الرسم ان تحضر له دواة بسلسلة فيمسكها بيده اليسرى ، ويكتب بيده اليمنى ، وقد راى الخليفة المقتدر مرة مشقة ذلك على وزيره علي بن عيسى وهو يكتب كتابا بحضرته فأمر بان يقف بعض الخدم فيمسك الدواة الى ان يفرغ من الكتابة ، فكان علي بن عيسى اول وزير اكرم بهذا ، ثم صار رسما

---

(١) القلقشندى صبح الاعشى جـ١٠ ص٢٣٤ ـ ٢٣٦ .

(٢) الجهشيارى ص٣١ .

(٣) Sourdel, Le, Vizirat Ibbaside. P. 676.

(٤) ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٧٠٦ ، الصابي الوزراء ص٢٩١ ، مؤلف مجهول كتاب الحدائق والعيون ص٥٥٩ .

(٥) الصابي الوزراء ص٢٩١ ، الجهشيارى ص٢٦٨ .

للوزراء بعده[1] .

وكان للوزير في الاوقات التي يكون فيها بدار الخلافة نائبا له يقوم بدار الوزراء لمهم عساه يعرض[2] . او في حالة غيابه يطلع بتتميم نقصه ويتيقظ في سهوه ... حتى تبرز المملكة في اتم صورتها ، وتبلغ الكمال بمقتضى ضرورتها[3] .

وفي مقر الوزارة كانت توجد بعض الدوائر الرسمية ، ويقوم على باب هذا المقر عدد من الحرس لحماية الوزير والوثائق والسجلات الحكومية ، وكانت هذه الوثائق المحفوظة في دار الوزارة تنقل جميعها الى الوزير الجديد اذا عزل الوزير الاول او اصابه مكروه .

ومن الامتيازات التي شرف بها الوزير في العصر العباسي الاول ما خصصه له الخليفة من دار خاصة يسكنها ، واذا عزل تركها للوزير الجديد ، وكانت دار الوزير حتى عام ٣٢٠ هـ هي الدار التي كانت قديما لسليمان بن وهب على الشاطىء الشرقي لدجلة ، وتسمى دار المخرم[4] .

---

(١) الجهشياري ص٢٤٢ .

(٢) الفخري ص٣٩٢ ، المقريزي المواعظ والاعتبار جـ١ ص١٥٦ .

(٣) ابن الخطيب السلماني آداب السياسة في الوزارة (مخطوط) ورقة ١٤ و .

(٤) دار الوزارة بالمخرم : وهذا الدار يفتح ابوابه الغربية الى دجلة وابوابه الشرقية الى صحن من خلفه بستان ونخل وشجر ، وفيه مجلس الوزراء ومحفل من يقصدهم ويحضرهم ، وقد جعله معز الدولة دار لغلامه سبكتكين ونقض عضد الدولة اكثرها وقد جعل الدار دار العامة والبيت المسمى الستيني برسم جلوس الوزراء وما يتصل به من الاروقة والقباب مواضع للدواوين ، والصحن مناما لديلم النوبة في ليالي الصيف ، وقد جعله جلال الدولة اصطبلا اقام فيه دوابه وسواسه . ولما ورد طغرلبك بغداد استولى عليها وعمر هذا الدار وجدد كثيرا ما تهدم سنة ٤٤٨ هـ فمكث كذلك الى سنة ٤٥٠ هـ حيث احرقت وسلب اكثر الآتها ثم عمرت واعيد ما كان اخذ منها .

الخطيب البغدادي تاريخ بغداد جـ١ ص١٠٥ الى ١٠٦ .

وكان ذرعها يربو على ثلثمائة الف ذراع ، وذكر الصابيء ان مساحة دار الوزارة مائة الف وثلاثة وسبعون الف وثلثمائة وستة ذراع ، جددها الخليفة المقتدر وانشأ بها المجالس الجليلة والابنية الحسنة ، وعمل للدار مسناة تشرف على دجلة[1] . وقد بيعت هذه الدار في وقت الازمات المالية وصرف ثمنها في مال الصلة لبيعة الخليفة القاهر بالله[2] . واعدت للوزير دار بدلها هي دار احد ابناء الخلفاء[3] .

ومن الامتيازات الاخرى للوزير (الحرس) فقد كان يقف على باب دار الوزير كثير من الحرس يزيد عددهم على ثلاثين في النوبة الواحدة[4]. وكان في مجلس الوزير غلمان مسلحون يسيرون بين يدى الوجوه من الناس ، ويخرجون من بين يدى الوزير حاملين سيوفهم[5] . وكان لكل من ابن الفرات وحامد بن العباس عدد من الحرس يصل الى مئتين من الغلمان ، وكان لحامد قبل وفي الوزارة ستمائة غلام يجرى عليهم الارزاق[6] .

كان خلفاء بني العباس يقطعون وزراءهم الاقطاعيات بدلا من المرتبات وبلغت ايراداتها احيانا مائة وسبعين الف دينار[7] . واختلفت مرتبات

(١) الصابيء الوزراء ص٢٨ .

(٢) مسكويه جـ٥ ص٤١٠ ، الهمداني تكملة الطبري ص ٩٥ .

(٣) مسكويه تجارب الامم جـ٥ ص٤١١ .

(٤) الجهشيارى ص١٢١ .

(٥) الجهشيارى ص١١٢ .

(٦) Sourdel, Le, Vizirat Abbaside. P. 688.

(٧) الهمداني ص٦٥ ، ادم متز الحضارة الاسلامية ص١٥٥ .

الوزير باختلاف العصور والوزراء والخلفاء[1] . ولم تكن هذه الاموال عادة تكفي لنفقاتهم الكثيرة اذ حاول الوزراء التشبه بالخلفاء بالعظمة والفخامة والانفاق ، ولذا كان بعض الوزراء يلجأون للحصول على الاموال بطريقة غير مشروعة ، وكان الخليفة يخصص بالاضافة للوزراء مرتبات لاولادهم واخوتهم وحاشيتهم وكانت تختلف أيضا بالنسبة للعصور والخلفاء والوزراء فمثلا كان القاسم بن عبيدالله بن سليمان يتسلم خمسمائة دينار مشاهرة[2] . وكان ولد الخاقاني وولد الخصيبي وولد علي بن عيسى يتسلمون ٢٤ ألف دينار في السنة[3] .

واشهر وزراء العصر العباسي الاول البرامكة ، الا ان المصادر القديمة لم تحدد رواتبهم واقطاعياتهم ، والظاهر انها كانت عظيمة ، فضلا عن اطلاق ايديهم في بيوت الاموال يقطعون ويصلون كما يشاؤون ، ولو

---

(١) نشير الى قائمة بأسماء الوزراء ومرتباتهم اوردها الدوري في كتابه تاريخ العراق الاقتصادي ص ٢٥١ .

السنة	البيان	المبلغ
٢٧٩هـ	عبيدالله بن سليمان وزير المعتضد	١٢/٠٠٠ دينار
٢٨١هـ	استبدل راتبه باقطاع وارده	٢٠٠/٠٠٠ دينار
٢٩٦هـ	كان دخل بن الفرات من الاقطاع الذي خصصه الخليفة له يبلغ	٥٠/٠٠٠ دينار
	وراتبه وقدره	٦٠/٠٠٠ دينار
٢٩٩هـ	بلغ دخل الوزير الخاقاني من الاقطاع والراتب	١١٠/٠٠٠ دينار
٣٠٠هـ	كان دخل الوزير علي بن عيسى	١١٠/٠٠٠ دينار
٣١٣هـ	وكان دخل الخصيبي عن راتبه واقطاعه حوالي	٢١٤/٠٠٠ دينار
٣١٥هـ	بلغ دخل علي بن عيسى في وزارته الثانية من اقطاع الوزارة وراتبه	٢٥٤/٠٠٠ دينار

(٢) الصابىء الوزراء ص ٢٥ .

(٣) مسكويه تجارب الامم ج ١ ص ١٥٤ ، ص ١٥٩ .

اننا رجعنا الى قائمة النفقات في أيام الخليفة المعتضد لوجدنا ان راتب الوزير كان ٣٣/٥ دينارا في اليوم أي ألف دينار في الشهر وقد فوض المقتدر لوزيره علي بن عيسى خمسة آلاف دينار في الشهر ثم صارت سبعة آلاف[١] . عدا ما يمتلكه الوزير من الضياع والاراضي وضمانات الخراج وما يصله من هدايا ، كما كان يمنح لكل ولد من أولاده خمسماية دينار في الشهر[٢] . وبلغ راتب يحي بن هبيرة وزير المكتفي العباسي مائة ألف دينار في السنة[٣] .

وللدلالة على ثراء الوزراء ان الرشيد عندما نكب البرامكة واستصفى أموالهم عدا القصور والضياع والاقطاعيات وما انفقوه لبذخهم ، بلغت من الاموال ٢/٤٠٠ مليون درهم ، فقد استصفى ٦٠٠ ألف من يحي و١/٢٠٠ مليون درهم من جعفر و٦٠٠ ألف درهم من الفضل[٤] .

وظهرت امتيازات جديدة للوزراء في أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع الهجري . وكان رسم الوزير في (لباسه) هو رسم سائر العمال فكان يلبس دراعه وقميصا ومبطنه وخفا[٥] . وكان السواد هو اللباس الرسمي في الحفلات الرسمية ، فكان يرتدي ثياب الموكب ، وهي قباء وسيف بمنطقه وعمامة سوداء ، وهو الجزء الذي لا ينزعه الوزير من لباسه الذي يلبسه عادة[٦] . وفي عام ٣١٩هـ . خرج الوزير للصلاة وعليه شاشية وسيف بحمائل فتعجب الناس ذلك[٧] . لاختلافه

---

(١) الجهشياري ص ٢٨٢ ، ص ٣٥١ ، الصابىء الوزراء ص ٣٧٨ ، مسكويه تجارب الامم ج ٥ ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .

(٢) الجهشياري ص ٢٨٣ .

(٣) الرافعي الاسلام نظام انساني ص ١٤٢ .

(٤) جرجي زيدان التمدن الاسلامي ج ٢ ص ١٤٤ .

(٥) الجهشياري ص ٣٢٥ .

(٦) الشابشتي الديارات ص ٦٦ أ ، مسكويه تجارب الامم ج ٦ ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ياقوت الحموي ارشاد الاريب ج ٥ ص ٣٥٦ .

(٧) عريب صلة تاريخ الطبري ج ١٢ ص ١٦٥ .

عن اللباس المعهود به للوزير .

ومن امتيازات الوزير (الالقاب) وقد اختلفت باختلاف العصور والوزراء والخلفاء وأول من اشتهر بحمل الكنية أو اللقب أبو سلمه الخلال الذي لقب بوزير آل محمد[1] . حيث قال فيه سليمان بن عامر البجلي :ـ

ان الوزير وزير آل محمد   اودى فمن يشناك كان وزيرا

واستمر هـذا اللقب يحمله الوزراء بعـد أبي سلمه حتى زمن الصاحب بن عباد[2] .

ولقب الخليفة المهدي وزيره يعقوب بن داود (الاخ في الله)[3] . وقد ورد على لسان الشاعر سلم الخاسر :ـ

نعـم المعين على التقوى اعنت بـه   اخوك في الله يعقوب بن داود[4]

وكان من مظاهر تعظيم الرشيد لوزيره جعفر البرمكي ان لقبـه (بالسلطان)[5] ويبدو ان لقب السلطان كان من القـاب التشريف الشخصي ، ولم يصبح لقبا عاما ومتداول الا فيما بعد[6] .

ولقب الفضل بن الربيع بلقب (مولى أمير المؤمنين) ، وكان هذا

---

(١) الصابىء رسوم دار الخلافة ص ١٢٩ .

(٢) الصاحب بن عباد :ـ (سمي بهذا الاسم لانه صحب ابن العميد) الدميري حياة الحيوان ص ٨٤ .

(٣) الاخ في الله : ولعل استعمال هذا اللقب ربما جـاء من الآية الكريمة (انما المؤمنون اخوة) وهو اعتبار الجمع بين العباسيين والعلويين الذين هم بحكم الاسلام اخوة . لان استيزار يعقوب وهو علوي كان لسبب سياسي لتحسين العلاقة مع العلويين .

(٤) الجهشياري ص ١٥٥ ، ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٩٢ ، الصفدي نكت الهميان ص ٣٦٠ .

(٥) القلقشندي صبح الاعشى ج ٥ ص ٤٤٨ ، ج ٩ ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤ .

(٦) حسن الباشا الالقاب الاسلامية ص ٦١ .

اللقب يحمله أبوه قبلا . ولقب الوزير علي بن عيسى وابن مقله وابن الفرات به أيضـــا ، وان حامد بن العبـــاس كان يحمل لقب (المولى والوزير)[١] ولقب المأمون وزيره الفضل بن سهل (بذي الرئاستين) ولقب اخاه الحسن بن سهل (ذا الكفايتين)[٢] ولقب المعتمد على الله وزيره صاعد بن مخلد (ذا الوزارتين) اشارة الى وزارة المعتمد والموفق[٣] . ولقد تلقب كل من القاسم وابنه الحسين بلقب (والي الدولة وعميـــد الدولة) بسبب خدماتهما للدولة ، وقد نقش هذا اللقب على الدراهم وكان أول وزير نقش اسمه على السكة هو جعفر البرمكي والذي كان يشرف على دار سك النقود[٤] .

وفي القرن الثالث للهجرة منح الخلفاء العباسيين التاج للوزراء ، ومنهم بغا الكبير وأحمد بن اسرائيل ، وفي القرن الرابع الهجري كان الخلفاء يمنحون الوزراء الى جانب التاج حلة المنادمة . وكان الخليفة يكرم الوزير بان يدعوه بكنيته وكان يلزم الموظفين بذكرها أيضا[٥] .

ونلاحظ ان هؤلاء الوزراء الذين نالوا هذه الالقاب كانوا يشرفون على الشؤون العسكرية ويقومون بالاضافة الى وظيفتهم الادارية بوظيفـة القائد العام للقوات العسكرية المسلحة .

ففي سنة ٣١٢هـ كان مؤنس الخادم يتمتع بنفوذ كبير أيام خلافـة

---

(١) الصابيء رسوم دار الخلافة ص ١٣٠ ،
Sourdel, Le Vizirat Abbaside. P. 679.

(٢) الصابيء رسوم دار الخلافة ص ١٣٠ ، القلقشندي صبح الاعشى ج ٥ ص ٤٤١ .

(٣) حسن الباشا الالقاب الاسلامية ص ٦٠ ،
Sourdel, Le Vizirat Abbaside. P. 678.

(٤) Sourdel, Le Vizirat Abbaside. P. 679.

(٥) Sourdel, P. 676.

المقتدر في الشؤون الادارية والعسكرية ولقبه الخليفة (بالمظفر)[١] .

وفي أواخر القرن الرابع الهجري تعددت القاب التفخيم والتعظيم للوزراء ففي عام ٤١١هـ اكرم الخليفة وزيره ولقبه بوزير الوزراء[٢] . وفي سنة ٤١٦هـ خلع جلال الدولة البويهي ببغداد على وزيره ولقبه (علم الدين سعد الدولة أمين الملة شرف الملك)[٣] وكان هذا الوزير أول من حمل كثيرا من الالقاب .

ورغم تعدد القاب الوزير في العصور العباسية المتأخرة الا ان الوزير لم يبلغ من القوة والسلطان ما كان عليه الوزراء في العصور العباسية الاولى[٤] .

وكان من مظاهر تكريم الوزير ان الخليفة كان يعوده في داره في حالة مرضه ، وهي عادة فارسية قديمة ، مستمدة من التقاليد الساسانية فقد عاد الخليفة المهدي وزيره ابا عبيدالله ، كما زار الخليفة المتوكل وزيره عبيدالله بن يحي ، وهذه الزيارة في الواقع مظهرا لتقدير الخليفة لوزيره[٥] .

وكان الوزير يتحدث بأسم الخليفة خلال زيارة وفود وسفراء الدول الاجنبية وكان الوزير هو أول من يسلم على الخليفة ويجلس بالقرب منه في الاحتفالات الرسمية والشعبية ، كما كان يرافق الخليفة في سفره غالبا ، ويسامره ويحضر معه الاجتماعات الادبية والمحاورات الفلسفية[٦] .

---

(١) الصابىء رسوم دار الخلافة ص ١٣١ ، حسن الباشا الالقاب الاسلامية ص ٦١ نقلا عن علاءالدين البلغاري الاشارة الى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفاء ورقة ٥٥ و .

(٢) ابن الجوزي المنتظم ج ٥ ص ١٦٨ .

(٣) ابن الجوزي المنتظم ج ٥ ص ١٧٣ .

(٤) ادم متز الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٢٢٣ .

(٥) Sourdel, P. 682.

(٦) Hell, The Arab Civilisation. P. 73.

وهذه الامتيازات كلها كانت تجعل الوزير في المرتبة العليا في الدولة ، وقد اقتصرت هذه الامتيازات على الوزراء فقط دون سائر موظفي الدولة ، ولهذا ارتفعت منزلة الوزير ، وازداد نفوذه بحيث أخذ ينافس الخليفة في القوة والسلطان مما جعل بعض الخلفاء العباسيين ينكلون بوزرائهم .

لم يظهر نظام الوزارة في شكله الكامل في أول العصر العباسي بل كانت سلطات الوزير في أول هذا العصر محدودة لا تتعدى المشورة وابداء الرأي وتنفيذ أوامر الخليفة ، ثم نمت وتطورت فيما بعد حتى اتخذت صورتها المتكاملة ، وأصبح الوزير يشرف على الشؤون المالية وعلى الدواوين والجيش . وكان وزراء العصر العباسي الاول من ذوي الكفاية في الكتابة والادارة ، وتميزوا بثقافة واسعة .

وكانت سلطات الوزير تختلف باختلاف شخصيات الخلفاء والوزراء ، واستبد بعض الوزراء بالسلطة حتى اصبحوا على قدم المساواة مع سلطة الخلفاء ، وان ظل الخليفة العباسي دائما مصدر السلطات ، وعنه تصدر جميع الاوامر الخاصة بشؤون الدولة ، وكان الوزير غالبا هو نائب الخليفة ويحكم باسمه ، ويهيمن على جميع الاعمال الرسمية ، ويشرف على الشؤون المالية من ايرادات ومصروفات ، ويقوم بتعيين الموظفين والولاة وعزلهم ، كما كان يساعد الخليفة في تصريف الامور العامة ويبدي المشورة اليه[1] .

ويحدد ابو يعلي في كتابه الاحكام السلطانية اختصاصات الوزير وواجباته بقوله : (والوزير هو وسيط بينه (الخليفة) وبين الرعايا والولاة يؤدي عنه ما امر ، وينفذ ما ذكر ويمضي ما حكم ، ويخبر بتقليد الولاة وتجهيز الجيوش والحماة ، ويعرض عليه ما ورد من مهم وتجدد من حدث ملم ليعملوا فيه بما يؤمر به ، فهو معين في تنفيذ الامور ، وليس بوال عليها ولا متقلد لها ، فان شورك في الرأي كان بأسم الوزارة اخص وان لم يشترك

(١) امير علي مختصر تاريخ العرب ص ٣٤٩ .

فيه كان بأسم الوساطة والسفارة اشبه)[1] .

وصارت الوزارة بين ارباب السيوف تارة وبين ارباب القلم تارة أخرى الا انها في ارباب الاقلام أكثر . فاذا كان الوزير صاحب سيف كان في مجلس السلطان قائما في جملة الامراء القائمين ، واذا كان الوزير صاحب قلم كان جالسا كما يجلس أرباب الاقلام من كتاب السر وغيرهم[2] .

اختلفت ابعاد وحدود سلطة الوزراء تبعا لشخصية الخلفاء ، وكان كثير من الوزراء على جانب كبير من النفوذ والسلطة حتى أصبح الوزير هو المرجع الاعلى لشؤون الدولة[3] . وكان معظم الخلفاء يفوضون وزراءهم في حكم الدولة[4] . فكان الوزير يقوم بتدبير الملك ، وعرض الجيوش ، وتوفير الاموال والاشراف على الجباية ، واجراء رسوم الخلافة ، واقامة العدل ، والاشراف على الادارة[5] .

كانت هذه هي اختصاصات الوزير في مطلع العصر العباسي الاول ، وقد تطورت هذه الاختصاصات باستقرار نظام الخلافة ، وتطور النظام الاداري ، وفي ذلك يقول ابن خلدون : (فلما جاءت دولة بني العباس ، واستفحل الملك ، وعظمت مراتبه وارتفعت عظم شأن الوزير ، وصارت اليه النيابة في انفاذ الحل والعقد ، وتعينت مرتبته في الدولة ، وعنت لها الوجوه وخضعت لها الرقاب ، وجعل لها النظر في ديوان الحسبان ، لما تحتاج اليه خطته من قسم الاعطيات في الجند فاحتاج الى النظر في جمعه وتفريقه ، واضيف اليه النظر فيه . ثم جعل له النظر في القلم والترسيل

---

(١) ابو يعلى الاحكام السلطانية ص ١٥ .

(٢) القلقشندي صبحي الاعشى ج ١١ ص ١٤٨ ـ ١٤٩ .

(٣) Sourdel, Le, Vizirat Abbaside. P. 73.

(٤) غوستاف لوبون حضارة العرب ص ١٧٣ .

(٥) ابن الخطيب السلماني اداب السياسة في الوزارة (مخطوط) ورقة ٣ و .

لصون أسرار السلطان ، ولحفظ البلاغة لما كان اللسان قد فسد عند الجمهور ، وجعل الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها من الضياع والشياع ، ودفع اليه فصار اسم الوزير جامعا لخطتي السيف والقلم ، وسائر معاني الوزارة والمعاونة[1] . حتى لقد دعي جعفر البرمكي (بالسلطان) أيام الرشيد مما يبرز ازدياد نفوذه[2] .

كان نظام الوزارة في العصر العباسي الاول في صورتها الاولى المحددة ثم تطور هـذا النظام ، واستقر على صورته الكاملة في العصور العباسية التالية . فرغم ان ابا سلمة الخلال سمي وزيرا في عهد ابي العباس السفاح ولقب بوزير آل محمد الا انه لم يكن يتمتع بصلاحيات واسعة أو سلطات كاملة ، ولم يقم بالاشراف على جميع الدواوين المركزية في الدولة ، وكان يرجع الى الخليفة في تصريف كل أمور الدولة[3] .

فلم يكن يشرف على ديوان الخراج وديوان الجند بل تولاهما خالد بن برمك ، ومن هنا يتبين لنا ان الوزير كانت سلطاته محدودة فقد كان الخليفة أبو العباس قويا ساهرا على أمور المملكة فلم يكن للوزير في أيامه نفوذ كبير . ولعل قوة الخليفة ومراقبته لاعمال الوزير كانت من العوامل التي دفعت خالد بن برمك الى رفضه بعد مصرع الخلال ان يلقب بالوزير مع انه في الحقيقة قد خلفه في مهام منصبه بالاضافة الى ما كان بيده من الاشراف على الدواوين[4] . وبعد ان فطن الخليفة أبو العباس الى خيانة وزيره الخلال قتله وانشد :ـ

على اي شيء فاتنا منه نأسف ... الى النار فليذهب ومن كان مثله[5]

---

(١) ابن خلدون المقدمة ج ١ ص ٤٢٢ .

(٢) نفس المصدر السابق ج ١ ص ٤٢٢ .

(٣) الدنيوري الاخبار الطوال ص ٣٦٨ .

(٤) صبحي الصالح النظم الاسلامية ص ٢٩٦ .

(٥) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ١ ص ١٦٣ ، المسعودي مروج الذهب ج ٢ ص ٢٧١ .

ولما ولي أبو جعفر المنصور الخلافة (١٣٦ - ١٥٨هـ) (٧٥٤ - ٧٧٥م) دبر المملكة في أيامه تدبيرا حسنا فقال عن نفسه قد حلب هذا الدهر اشطره[١] .

وقد حدد صاحب كتاب الفخرى صلاحيات الوزير في عهد المنصور فقال (فهو الذي اصل الدولة وضبط المملكة ورتب القواعد واقام الناموس واخترع الاشياء ، ولم تكن للوزارة في أيامه طائلة لاستبداده واستغنائه برأيه وكفاءته ، مع انه كان يشاور في الامور دائما ، وان كانت هيبته تصغر لها هيبة الوزراء ، وكانوا لا يزالون على وجل منه وخوف فلا يظهر لهم ابهة ولا رونق[٢] .

وهكذا لم يترك المنصور للوزير العمل برأيه بل كان الوزير ينهي اليه كل ما يعرض له من أمور الدولة قبل البت فيها ، فكان المنصور ذا عزم وحزم ودهاء ورأي وشجاعة .

ولما شك المنصور في وزيره ابي ايوب المورياني ، جعل حاجبه الربيع بن يونس رقيبا عليه ، فكشف الربيع كل مساوئه للمنصور فنكل به ، وولى الربيع مكانه ، فظل الربيع ابن يونس في منصبه حتى نهاية خلافة المنصور وقد شغل الربيع هذا المنصب بجدارة فائقة اذ كان من افاضل الرجال علما وأدبا وحسن خلق وسداد رأي ، وتولى منصب الحجابة بعده ابنه الفضل[٣] .

ويبدو ان المنصور استغنى عن وظيفة الوزير في سنيه الاخيرة فيذكر المسعودي : (انه بعد ان استوزر أبان بن عطيه الباهلي وابا ايوب المورياني الخوزى ، استكتب ابان بن صدقه الى ان مات[٤] . اي ان المنصور كان

---

(١) يقال للرجل المجرب ، وحلب فلان الدهر اشطره أي مر به خيره وشره .

(٢) الفخري ص ١٥٧ .

(٣) الجومرد المنصور داهية العرب ص ٢٨٦ .

(٤) المسعودي مروج الذهب ج ٣ ص ٢١٤ .

له وزير مرة وكاتب مرة أخرى ، ولم تتجاوز سلطات كل منهما المشورة وتنفيذ أوامر الخليفة . وهذا يتبين لنا ان وظيفة الوزارة لم تستقر اسسها في زمن المنصور ، بل كانت شخصية المنصور القوية تطغى على سلطان الوزير ونفوذه . وكان وزراء المنصور من الموالي اشتهروا بحذقهم في الكتابة وبمقدرتهم الادارية والمالية والسياسية ، وربما كان لتجربة العباسيين مع ابي سلمه الخلال اثر في هذه السياسة ، لذا نجد الخليفة يعزل أو ينكب وزيره ، واعتبره مجرد موظف يستند في كيانه الى سلطة الخليفة[1] .

ويعتبر عهد الخليفة المهدي (١٥٨ - ١٦٩هـ (٧٧٥ - ٧٨٥م) عصر استقرار سياسي واداري فانتعشت النظم السياسية والادارية ، وقد اصاب صاحب الفخري في قوله : (وفي أيامه ظهرت ابهة الوزارة)[2] .

وقد منح المهدي وزراءه سلطة واسعة ، فقد استوزر معاوية بن يسار (١٥٩ - ١٦٣هـ) الذي كان كاتبه ونائبه قبل توليه الخلافة[3] .

وفوض اليه تدبير المملكة وسلم اليه الدواوين[4] . فقرر القواعد وكان كما وصفه المؤرخون كاتب الدنيا واوحد الناس حذقا وعلما وخبرة[5] .

ثم سعى عليه الربيع بن يونس حاجب المنصور[6] . فلم يجد الربيع مطعنا عليه سوى اتهام ابن الوزير بالزندقة مما أدى الى قتله واعتزل الوزير منصبه ومات سنة ١٧٠هـ[7] .

---

(١) الدوري النظم الاسلامية ص ٢١٩ .
(٢) الفخري ص ١٣٣ .
(٣) الجهشياري ص ١٤٦ .
(٤) الفخري ص ١٣٤ .
(٥) نفس المصدر السابق ص ١٤٦ .
(٦) الجهشياري ص ١٥١ .
(٧) المسعودي مروج الذهب ج ٢ ص ٢٤٨ .

واستوزر المهدي بعده يعقوب بن داود ، وكان للربيع أثر كبير في اختيار يعقوب للوزارة[1] . ويقول الطبري : (استوزر المهدي يعقوب بن داود وفوض اليه امر الخلافة)[2] .

ويبدو ان تفويض المهدي أمور الخلافة لوزيره يعقوب بن داود كان لميل المهدي الى اللهو وسماع الاغاني ، كما يقول الطبري والجهشياري وصاحب الفخري ، اذ كان أصحاب المهدي يشربون عنده النبيذ فنهاه يعقوب عن ذلك ، ووعظه وقال : ابعد الصلوات في المسجد تفعل هذا ؟ فلم يلتفت اليه المهدي وفي ذلك يقول الشاعر للمهدي :ـ

فدع عنك يعقوب بن داود جانبـا   واقبل على صهباء طيبة النشر[3]

وكان يعقوب بن داود يشير على الخليفة المهدي في (أمور الثغور والولايات ، وبناء الحصون ، وتقوية الغزاة ، وتزويج العزاب ، وفكاك الاسرى والمحبسين ... والصدقة على المتعففين)[4] .

وقال سلم الخاسر يمتدحه :ـ

نعم المعين على التقوى اعنت بـه   اخوك في الله يعقوب بن داود[5]

واخذ السعاة يوقعون بين الخليفة المهدي ووزيره يعقوب حتى ان المهدي تغير عليه فلم يعد يناظره ، واعانهم الشعراء فقال في ذلك بشار بن بـرد :

بني امية هبوا طـال نومكم   ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا   خليفة الله بين الدف والعود[6]

(١) الفخري ص ١٣٦ ، الجهشياري ص ١٥٥ .
(٢) الطبري ج ٦ ص ٣٨٣ .
(٣) الطبري ج ٦ ص ٣٨٣ ، الجهشياري ص ١٥٥ ، الفخري ١٤٩ .
(٤) محمد كرد علي الادارة الاسلامية في عز العرب ص ١٣٦ .
(٥) ورد البيت في الجهشياري ص ١٥٥ ، ابن خلكان وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٩٢ ، الصفدي نكت الهميان ص ٣١ .
(٦) الطبري ج ١٠ ص ٤ .

وانتهى الامر بتشكيل المهدي بالوزير يعقوب واسرته واصحابه ، فقد اتهم الحاقدون الوزير بانه يساعد اسحاق بن الفضل على الوصول الى الخلافة وكان اسحاق هذا طامعا فيها ، وصادف ان طلب يعقوب من المهدي الموافقة على تولية اسحاق بن الفضل على مصر ، فتغير وجه المهدي فنهض وخرج وقال : (قتلني الله ان لم اقتلك)[1] .

وينفرد المسعودي برأي حول نكبة يعقوب بن داود بقوله : (انه كان يرى الامامة في الاكبر من ولد العباس وان غير المهدي من عمومته كان احق بها[2] . ومهما يكن من الامر فان نكبة يعقوب كان لسبب سياسي يتعلق بسلامة الدولة[3] وربما كان بتأثير السعاة والحساد . فاودعه المهدي السجن حيث قضى بقية عهدي المهدي والهادي وردحا من أيام الرشيد .

واستوزر المهدي بعده الفيض بن صالح ، وكان من أهل نيسابور ، وكان نصرانيا ثم اعتنق الاسلام في أوائل عهد الدولة العباسية ، واخذ من الادب والعلم باوفر نصيب ، كما اشتهر بالسخاء والجود حتى كان يحي البرمكي يقول عنه : (اذا استعظم احد كرمه وجوده لو رأيتم الفيض لصغر عندكم أمري) وظل الفيض متوليا الوزارة حتى مات المهدي ، وولى الهادي الخلافة فلم يستوزره . ومات سنة ١٧٣هـ[4] .

ولما افضت الخلافة الى الهادي (١٦٩ - ١٧٠هـ) **(٧٨٥ - ٧٨٦م)** كانت الدولة العباسية قد استقرت تماما فتابع الهادي سياسة ابيه الحكيمة ، ولم يكن له وزير ، (فقام بتدبير الامور بنفسه ، وكان حاجبه الفضل بن ربيع الذي اقامه في حجابته بعد ابيه ، وظل كذلك حتى وفاته)[5] .

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٣٨٣ .
(٢) المسعودي مروج الذهب ج ٣ ص ٢٣٦ .
(٣) الدوري العصر العباسي الاول ص ١٢٢ .
(٤) حسن ابراهيم حسن تاريخ الاسلام السياسي ج ٢ ص ١٤٥ - ١٤٦ .
(٥) الخضري تاريخ الامم الاسلامية ص ١٠٠ .

وقيل انه ولى الوزارة عمر بن يزبع ، وديوان الرسائل ، وافرد الربيع بالزمام حتى مـــات[1] . ويذكر صاحب الفخري ان (الهادي استوزر ابراهيم ابن ذكوان الحراني قبل الخلافة وبعده ، فلم يعمر في الوزارة طويلا لوفاة الهادي بعد قليل)[2] .

ولما تولى الرشيد الخلافة **(١٧٠ - ١٩٤هـ) (٧٨٦ - ٨٠٨م)** تمتعت الدولة العباسية بالاستقرار والازدهار واعاد الى الذاكرة عهد جده المنصور ، وسمى الناس أيامه (أيام العروس) وكانت دولتـــه من أحسن الدول وأكثرها وقارا ورونقا وخيرا واوسعها رقعة[3] .

وتطور نظام الوزارة واتسعت اختصاصات الوزير ، في عهده ، فاعتمد الرشيد على البرامكة قبل الخلافة في ادارة شؤونه الخاصة والعامة ، ثم استوزرهم بعد توليه الخلافة فعظم نفوذهم ، واتسعت سلطاتهم ، وكان اتصال البرامكة بالعباسيين يرجع الى عهد الدعوة العباسية ، فكان خالد بن برمك من رجال أبي مسلم الخراساني البارزين في خراسان[4] . ويذكر ابن خلدون ان خالد البرمكي كان من كبار الشيعة ومن الشخوص البارزة في الدولة ، وانه كان يلي الولايات العظام[5] .

ويبدو ان اختيار خالد بن برمك كان لتفوقه في الشؤون الادارية والمالية فيذكر اليعقوبي (ان خالدا تولى قسمة الغنائم عندما انتصر قحطبة ابن شبيب على قائد الامويين بجرجان[6] . وبعد فترة من الزمن أصبح خالد بن برمك وزيرا لابي العباس بعد مقتل الخلال[7] . ويؤيد بعض

(١) المسعودي مروج الذهب ج ٣ ص ٣٢٦ .
(٢) الفخري ص ١٤٢ - ١٤٣ .
(٣) محمد كرد علي الاسلام والحضارة العربية ج ٢ ص ٢١١ .
(٤) عبدالله الفياض تاريخ البرامكة ص ٥٧ .
(٥) ابن خلدون العبر ج ٣ ص ٢٢٢ .
(٦) اليعقوبي تاريخ ج ٣ ص ٨٠ .
(٧) الجهشياري ص ٨٩ .

المؤرخين ان ابا العباس استوزر خالداً[١] • بينمـــا يذكر صاحب كتاب الفخري ان خالد (كان يعمل عمل الوزير ولا يسمى وزيرا)[٢] •

ويبدو ان نفوذ البرامكة وصلاحياتهم لم تتوسع الا بعد وفاة المهدي وتولية الهادي ، وما كان عن موقف يحي بن خالد البرمكي من الرشيد ، ومساندته له في أيام محنته في عهد الهادي الذي اصر على تنحيته من ولاية العهد وناصر البرامكة الرشيد ضد الهادي ، ووقفت الخيزران الى جانب الرشيد والبرامكة ضد الهادي ، ولم تنته المشكلة الا بوفاة الهادي •

ويتهم بعض المؤرخين الخيزران بتدبير مؤامرة لقتل الهادي ، فيذكر الطبري (خافت الخيزران على هارون منه (الهادي) ودست اليه في جواريها من قتله بالغم والجلوس على وجهه)[٣] •

فلما تقلد الرشيد الخلافة عرف ليحيى حقه ، وفضله عليه فقلده الوزارة وفوضه الامور كلها تفويضا مطلقا وقال له : (يا ابي انت اجلستني هذا المجلس ببركة رأيك وحسن تدبيرك ، وقد قلدتك امر هذه الرعية واخرجته من عنقي اليك ، فاحكم بما ترى ، واستعمل من شئت ، واسقط من رأيت ، فاني غير ناظر معك في شيء[٤] • وفي ذلك يقول ابراهيم الموصلي :ـ

---

(١) المسعودي التنبيه والاشراف ص ٢٩٩ ، ابن عســاكر التاريخ الكبير ج ٥ ص ٢٨ ، الفخـــري ص ١٣٩ ، ابن خلكان ج ١ ص ١٠٦ ، اليافعي مرآة الجنان ج ١ ص ٤٠٧ •

(٢) الفخري ص ١٤٠ ـ ١٤١ •

(٣) الطبري ج ١٠ ص ٣٣ ، ابن خلدون العبر ج ٣ ص ٢١٧ ، الاربلي خلاصة الذهب ص ٨٩ ، ابو الفدا المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ١٢ •

(٤) الطبري جـ ١٠ ص ٥٠ ، الجهشياري ص ١٧٧ ، ابن الاثير الكامل ج ٦ ص ٤٣ ، ابن خلكان ج ٢ ص ٤٤٣ ، الجاحظ البيان والتبيين ج ٢ ص ٨١ •

الم ترى ان الشمس كانت مريضة فلما ولى هارون اشرق نورها
والبست الدنيا جمالا بوجهه فهارون واليها ويحي وزيرها[١]

ويقول الجهشياري (وكانت الدواوين كلها الى يحي بن خالد سوى ديوان الخاتم[٢] . ثم عهد هذا الديوان الى يحي سنة ١٧١هـ فاجتمعت له الوزارتان[٣] .

ومنح الرشيد يحي امتيازات خطيرة فهو أول من امر من الوزراء بان تنفذ الكتب من ديوان الخراج وتؤرخ بأسم يحي بن خالد ، ولم تكن تنفذ الا عن الخليفة[٤] .

واستعان يحي بولديه الفضل وجعفر فامتد نفوذهم الى كافة مصالح الدولة ، ولكن جعفرا كان أكثر البرامكة اتصالا بالرشيد لانه كان صديقا ونديما له ، وفي ذلك يقول الطبري : (وغلب جعفر على الرشيد غلبتة حتى صار لا يقدم عليه احدا)[٥] .

ويقول ابن خلكان : (كان جعفر بن يحي بن خالد وزير هارون الرشيد من علو القدر ونفاذ الامر ، وبعد الهمة ، وعظم المحل ، وجلالة المنزلة عند الرشيد بحالة انفرد بها ، ولم يشارك فيها[٦] . وبلغ من منزلته عند الرشيد انه اشركه معه بالنظر في المظالم ، وقلده مراقبة دور الضرب

---

(١) الاصفهاني الاغاني ج ٥ ص ٤٠ .

(٢) الجهشياري ص ١٧٧ .

(٣) الجهشياري ص ١٧٧ ـ ١٧٨ .

(٤) الطبري تاريخ ج ١٠ ص ٥١ .

(٥) الجهشياري ص ١٨٩ .

(٦) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٩٢ .

والطرز[1] ، والبريد[2] • ويؤيد ذلك المقريزي فيقول : (وهارون أول خليفة ترفع عن مباشرة العيار بنفسه وقد كان الخلفاء من قبله يتولون النظر في عيار الدراهم والدنانير بانفسهم ، وكان هذا ما نوه بأسم جعفر بن يحي اذ هو شيء لم يتشرف به أحد قبله كما ان الرشيد امر بكتابة اسم جعفر على الدنانير والدراهم بمدينة السلام والمحمدية[3] • كما ويؤيد هذا القول الجهشياري فيقول (وقلد جعفرا بريد الافاق كلها والنظر في ضرب النقود والتطريز في سائر الكور والاقاليم[4] •

وفي ذلك يقول أحمد الشعراء[5] :ـ

واصفر من ضرب دار الملوك   يلوح على وجهه جعفر
يزيد على مائة وحد   اذا ناله معسر يسر

ورفع الرشيد مجلس جعفر الى جانب سرير الخلافة ، فوق مراتب امراء بني العباس ، مما جعل الناس يطلقون عليه اسم السلطان[6] • وقيل انه اتخذ ثوبا عريضا له زيقان يلبسه هو وجعفر في مجلس سره ، لكي لا يرى هنالك فرق بينهما • وقال في هذا احد الشعراء[7] :ـ

قد تقطع الرحم القريب وتكفر الـ   ـنعمى ولا كتقارب القلبين
يدني الهوى هذا ويدني ذا الهوى   فاذا هما نفس ترى نفسين

---

(١) انظر ملحق دائرة المعارف الاسلامية مادة (طراز) •
(٢) الجهشياري ص ٢٠٤ •
(٣) المقريزي شذور العقود في ذكر النقود ص ١١ ـ ١٢ •
(٤) الجهشياري ص ٢٠٤ •
(٥) الجهشياري ص ٢٤١ ، الاربلي خلاصة الذهب المسبوك ص ١٠٨ •
(٦) الاصفهاني الاغاني ج ٤ ص ٣٩ •
(٧) الاصفهاني الاغاني ج ١٧ ص ٢٦ •

ومما يدل على عظم منزلة جعفر البرمكي عند الرشيد ما اشار اليه صاحب كتاب الفخري عن قصة عبدالملك بن صالح العباسي ملخصها (ان عبدالملك بن صالح العباسي زار جعفر البرمكي في داره وطلب ان يخاطب الرشيد في ثلاثة حوائج هي : ان يقضي عنه دينا مقداره مليون درهم وان يولى ابنه احدى الولايات ، ليرتفع بذلك قدره ، وان يزوج هذا الابن من ابنة الخليفة ، فقضى له جعفر هذه الحوائج الثلاث ، وقال له :ـ (اما المال ففي هذه الساعة يحمل الى منزلك ، واما الولاية فقد وليته مصر ، واما الزواج فقد زوجته ابنة مولانا امير المؤمنين على صداق مبلغه كذا وكذا فانصرف في امان الله[1] سيطر البرامكة على الدولة نتيجة هذه الصلاحيات الواسعة التي اعطاها الرشيد له ، وصار بيدهم أموال الدولة ، حتى كان الرشيد يطلب القليل من المال فلا يصل اليه ، الا عن طريقهم ، تغلبوه على أمره وشاركوه في سلطانه ، وبذلوا الاموال وبذروها ، فبعد صيتهم وضرب المثل كرمهم ، وشغلوا مراتب الدولة من ولدهم وصنائعهم واستأثروا بمناصب الامارة والوزارة والقيادة ، فانصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب[2] .

وتحدث الاصفهاني عن ازدياد نفوذ البرامكة فقال :ـ (ان في دولة الرشيد دولة أخرى ملوكها البرامكة)[3] . وذكر الجهشياري أيضا : (ان البرامكة ضيقوا الاموال على الرشيد ، وانه طلب من جعفر عشرة آلاف درهم فاعتذر اليه[4] .

---

(١) الفخري ص ١٨٨ .

(٢) حسن ابراهيم حسن النظم الاسلامية ص ١٥٠ ـ ١٥١ ، أحمد الرفاعي عصر المأمون ص ١٥٩ .

(٣) الاصفهاني الاغاني ج ٤ ص ٣٩ .

(٤) الجهشياري ص ٢٥٠ .

ادرك الرشيد خطورة البرامكة على نفوذه وعلى الدولة فمهد الامور لنكبتهم ، فاستوزر الرشيد الفضل بن الربيع ، واحله محل البرامكة ، وكان حاجبا للمهدي والهادي والرشيد ، فنال الحظوة والثقة لديهم لعلمه وأدبه ، وكان على جانب عظيم من الدهاء[1] • واستمر يلي الوزارة طوال عهد الرشيد وابنه الامين •

ولما آلت الخلافة الى الامين (١٩٤ – ١٩٨هـ) (٨٠٨ – ٨١٣م) ، لم تمض فترة طويلة حتى بدء الخلاف بينه وبين اخيه المأمون نتيجة سياسة الرشيد في البيعة بولاية العهد لاولاده الثلاثة على التوالي (الامين ، المأمون ، المعتصم) وتقسيمه البلاد بينهم ، ونتيجة موقف وزراء الامين والمأمون ، ومحاولتهم توسيع شقة الخلاف بين الاخوين •

ويبدو ان نفوذ الوزراء لم يتحدد بعد نكبة البرامكة ، بل حاول كل من وزراء الامين والمأمون السيطرة على الخليفة وتوجيهه حسب اهوائه وقد جرت هذه السياسة الى الصراع المسلح بين الاخوين ، وانتهى بانتصار المأمون بفضل سياسة ودهاء وزيره الفضل بن سهل ، وبقتل الامين نتيجة فشل سياسة وزيره الفضل بن الربيع • وذلك لان الفضل بن الربيع كان يلح عليه بخلع المأمون من ولاية العهد والبيعة لابنه موسى ، لانه كان يعتقد انه ان افضت الخلافة الى المأمون وهو حي لم يبق عليه[2] • وكان الفضل ابن سهل يمني المأمون بالخلافة ويأمل ان تصبح (مرو) حاصرة الخلافة العباسية فتعود لخراسان عظمتها[3] •

وانتهى هذا الصراع بين الوزراء بمقتل الامين سنة ١٩٨هـ (٨١٣م) ،

---

(١) الجاحظ البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٠١ •

(٢) ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٣٨ •

(٣) الخضرى محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية ص ١٧٠ •

ويؤيد هذا الرأي ما قاله بعض الشعراء[١] :ـ

اضــاع الخلافة غش الوزير وفسق الامير وجهـل المشـير
ففضل وزير وبكــر مشــير يريدان ما فيه حتف الامـير

وقال كرد علي : (لم يرزق الامين وزراء كوزراء اخيه المأمون امثال الفضل بن سهل ، والحسن بن سهل ، وهرثمه بن اعـين ، وطاهر بن الحسين ، وأحمد بن يوسف ، وعمر بن مسعده ، بل اصطنع من نبذهم ابوه الرشيد ، لسوء سيرتهم ، فربح المأمون برجاله وعقله ، وخسر الامين برجاله وضعف تدبيره[٢] .

وتولى المأمون الخلافة (١٩٨ - ٢١٨هـ) (٨١٣ - ٨٣٣م) بعد مقتل أخيه الامين ، واستوزر الفضل بن سهل ، وهو فارسي الاصل أسلم على يد المأمون سنة ١٩٠هـ ، ويقال ان اباه سهلا اسلم على يد المهدي ، والذي اختار الفضل للمأمون هو الرشيد باشارة من جعفر البرمكي ، فاطلق المأمون يد وزيره الفضل بن سهل في الامور وسماه (ذا الرياستين) أي انه جمع بين رئاسة الحرب ورئاسة التدبير[٣] . وكان الفضل بن سهل من رجال جعفر البرمكي ، فلا غرو ان نزع في سياسته منزع البرامكة حتى قال صاحب الفخري (انها مختصر الدولة البرمكية)[٤] وكان الفضل بن سهل كغيره من الفرس ينتصر للعنصر الفارسي ، ويعتقد ان العلويين أحـــق بالخلافة من العباسيين لانهم يجمعون بين اشـرف دم عربي وهو دم النبوة واشرف دم فارسي وهو دم الاكاسـرة ، وعمل على ان تكون الســيادة

---

(١) الطبري تاريخ ج ١٠ ص ١٣٨ ، ابن تغره بردى النجــوم الزاهرة ج ٢ ص ١٤٧ .
(٢) كرد علي الادارة الاسلامية في عزالعرب ص ١٤٨ .
(٣) الجهشياري ص ٣٠٥ ، الطبري تاريخ ج ١٠ ص ١٦١ .
(٤) الفخري ص ١٧٩ .

للعنصر الفارسي ، فحاول التخلص من القواد العرب[١] . فقبض على مقاليد الحكم ، وكتم الاخبار عن المأمون ، بل لم يتردد في تحريف الاخبار حسب اهوائه الشعوبية وسياسته الفارسية[٢] . فقد اوهم المأمون بقوة الدولة ، واستقرار الاوضاع حتى قال له : (افهم عني شيئا اقوله : ان هذه الدولة لم تكن قط اعز منها في أيام ابي جعفر[٣] . وقد تكتل الفرس حول المأمون ، وحاول وزيره الفضل بن سهل عزله عن رجاله من الزعماء العرب فقال له الفضل بن تكهل مرة : (فكيف بك وانت نازل بين اخوالك وبيعتك في اعناقهم)[٤] .

وحاول الفضل بن سهل ادخال التقاليد والمراسيم الساسانية الى البلاط العباسي ، وخاصة في الادارة ، فيذكر الجهشياري هذه المراسيم فيقول (كان ذو الرئاستين يجلس على كرسي مجنح ويحمل فيه اذا أراد الدخول على المأمون.. وقد ذهب ذو الرئاستين في ذلك مذهب الاكاسرة)[٥] ولعل الجناحين هما أجنحة اهورا مزدا اله الخير عند الزردشتيه[٦] . وقد وصف نعيم بن خازم سياسة الفضل حينما استشاره المأمون في أمر البيعة لعلي الرضا قائلا : (انك انما تريد ان تزيل الملك عن بني العباس الى علي ثم تحتال عليهم فتصير الملك كسرويا ، ولو انك اردت ذلك لما عدلت عن لبسة علي وولده وهي البياض الى الخضرة ، وهي لباس كسرى

---

(١) حسن ابراهيم حسن تاريخ الاسلام السياسي ج ٢ ص ١٤٧ .

(٢) الدوري العصر العباسي الاول ص ٢١١ ، نعمان ثابت الجندية في الدولة العباسية ص ٢٢٣ .

(٣) الجهشياري ص ٢٧٧ .

(٤) الجهشياري ص ٢٧٨ .

(٥) الجهشياري ص ٣١٦ .

(٦) الدوري العصر العباسي الاول ص ٢١٢ .

والمجوس[1] .

ويتفق المؤرخون على ان علي الرضا هو الذي اعلم المأمون بحال الدولة وسياسة الفضل الشعوبية ، فاخبره ببيعة البغداديين لابراهيم بن المهدي ، وعند ذلك انتبه المأمون للخطر المحدق به وبدولته ، فقال له نصحاؤه : الرأي ان تسير بنفسك الى بغداد وتستدرك امرك والا خرجت الخلافة من يدك . فانتقل الى بغداد سنة ٢٠٢هـ ، وكان هذا في الحقيقة انقلابا سياسيا على السياسة التي تمثلها عاصمة المأمون الاولى (مرو) مما أدى الى ضرورة الخلاص من وزيره الفضل بن سهل ، ومن ولي عهده علي الرضا ، وانتهى الامر بمصرع الفضل بن سهل بمدينة سرخس في شعبان سنة ٢٠٢هـ[2] .

ثم تخلص المأمون من ولي عهــده علي الرضا بالسم قرب طوس سنة ٢٠٣هـ[3] .

وبعث المأمون الى الحسن بن سهل وهو في واسط ، واعلمه بأسفه على ما لحق الفضل وانه قد ولاه مكانه[4] .

ويبدو ان المأمون لم يقطع صلته بآل سهل ، فاستوزر الحسن بن سهل لفترة قصيرة ، ولم يكن له نفوذ اخيه لان المأمون أخذ يشرف بنفسه على الامور ، وحدد من نفوذه في الوزارة ، رغم ان المسعودي وصاحب الفخري وغيرهم يذكرون ان سبب التنحية عن الوزارة هو المرض[5] .

---

(١) الجهشياري ص ٣١٣ .

(٢) أبو الفدا المختصر في أخبار البشر ج ٢ ص ٢٥ .

(٣) الاصفهاني مقاتل الطالبيين ص ٣٦٨ .

(٤) أحمد الرفاعي عصر المأمون ص ٣٠٠ .

(٥) المسعودي التنبيه والاشراف ص ٣٠٤ ، الفخري ص ١٦٨ .

ولكن يتضح من الحوار الذي دار بين المأمون والمرشح للوزارة ، وهو أحمد بن أبي خالد ، ان الحسن بن سهل لزم داره حال سماعه رغبة المأمون بصرفه عن الوزارة[١] . اذ قال أحمد للمأمون (يا أمير المؤمنين اعفني من التسمية بالوزارة وطالبني بالواجب منها)[٢] . وهذا الموقف يشبه موقف خالد البرمكي أيام أبي العباس بعد الخلال[٣] .

ولما توفي أحمد بن أبي خالد ، استوزر المأمون أحمد بن يوسف الذي كان كاتبا من خيرة الكتاب واجودهم خطا ، وكان من حاشية المأمون من يحسده على الدرجة التي وصل اليها ، فكادوا له المكائد حتى اقصوه . واستوزر المأمون بعده القاضي يحي بن اكثم[٤] . وكان من جملة العلماء والفقهاء ، فكان اليه تدبير المملكة والقضاء ، وقلما اجتمعتا في شخص واحد ، واستوزر بعده ابا عباد ثابت بن يحي بن يسار الرازي ، ولم يكن على جانب من الكفاءة والمقدرة ، وقد قال فيه دعبل الخزاعي :ـ

اولى الامور بضيعة وفساد   احد يديره ابو عباد

واستوزر المأمون بعده عمرو بن مسعده ، ولا يعده كثير من المؤرخين من الوزراء ، فقال ياقوت (سماه بعض الشعراء وزيرا لعظم منزلته لا لانه كان وزيرا) وهو قوله[٥] :ـ

---

(١) الدوري العصر العباسي الاول ص ٢١٤ .

(٢) المسعودي ص ٣٠٤ ، ابن طيفور تاريخ بغداد ص ٢١٦ .

(٣) الدوري العصر العباسي الاول ص ٢١٤ ، رفاعي عصر المأمون ص ٣٠٤ .

(٤) لم يذكر صاحب الفخري يحي بن اكثر في عداد وزراء المأمون ويظهر انه كان بمثابة مستشار للخليفة فيما يجري على ايدي الوزراء من الاعمال .

(٥) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق . البلاغة سبيل الوزارة ج ٥ م ٧ سنة ١٩٢٧ .

لقد اسعد الله الوزير ابن مسعده　　وبث له في الناس مشكرا ومحمده

ومهما كان الامر فان المهمات السياسية التي كان ينتدب اليها كانت بارزة وهامة وتدل على ثقة المأمون فيه .

وكان آخر وزراء المأمون محمد بن يزداد بن سويد ، وظل يتولى الوزارة حتى وفاة المأمون[1] . ولم يكن نفوذه كبيرا في الدولة ويبدو ان الاحداث الماضية التي حدثت في أول عهد المأمون جعلت الخليفة يشرف على أمور الدولة بنفسه حتى لا يستفحل نفوذ وزرائه .

وهكذا تحددت في أواخر العصر العباسي الاول صلاحيات الوزير واستقر نظام الوزارة .

---

(١) الخضري محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية ص ١٩٠ .

٤ ـ استئثار الوزراء بالسلطة والاموال

بلغت الدولة العباسية اوج العظمة والاستقرار في العصـر العباسي الاول ، بسبب توالي كثير من الخلفاء الاقوياء على حكم الدولة ، فانتشر الامن والاستقرار في أرجاء الامبراطورية العباسية ، مما دفع معظم خلفاء هذا العصر الى طبع عصرهم بطابع العظمة والفخامة والترف ، وأدى هذا الترف أحيانا الى تقاعس بعض الخلفـاء عن مباشرة الامور بانفسهم ، فتركوها للمحيطين بهم من وزراء وقواد وولاة ، وأصبح الامر والنهـي بايديهم ، فاستأثروا بالاموال لانفسهم ولانصارهم ، وأصبحت لوزرائهم الكلمة النافذة ، واتضح هذا في استعمال نفوذ البرامكة أيام الرشيد اذ حازوا الاموال العظيمة حتى كان الرشيد يحتاج الى اليسير منها فلا يصل اليه ، واستأثروا بالسلطة دون الرشيد[١] . فنكبهم كما نكب المهدي قبلهم وزيره يعقوب بن داود . وكان هذا قد سلمه الخليفة الامور وفوض اليه الدواوين[٢] .

وكان الوزراء يزدادون نفوذا واستئثارا بالاموال كلما زاد اعتمـاد الخليفة عليهم في شؤون الدولة حتى صارت معظم الاموال اليهم ، ونافسوا الخلفاء في اتساع ثرائهم ، وتواترت عليهم الهدايا من العمال وغيرهم من موظفي الدولة التماسا لرضاهم[٣] الى جانب ما اغتصبه الوزير من ضياع الدولة وعامة الناس ، وكثيرا ما اغفل الخلفاء عنهم .

هـذه الاموال التي حازهـا الوزراء على هذا النحو تسمى (مرافق

---

(١) الفخرى ص٢٤١ .
(٢) نفس المصدر السابق ص٢١٦ .
(٣) جرجي زيدان التمدن الاسلامي ج٢ ص١٥٧ .

الوزراء)[1] .

ومن مرافقهم ايضا تنقيص عيار النقود ، فكان الوزراء يشرفون على دور ضرب النقود فيأمرون بضرب دنانير ودراهم ناقصة العيار ، فيربحون من ذلك مالا طائلا[2] .

وقد ظهرت اولى محاولات الوزراء للاستئثار بالاموال منذ خلافة المنصور فكان من جملة من استوزره ابو ايوب المورياني ، الذي انصرف الى جمع الاموال فكان يحب جمع المال ليتقرب به الى المنصور ، فادرك الخليفة خيانته فنكبه وقتله سنة ١٥٣هـ وقتل اقاربه واستصفى اموالهم[3] . وقال ابن حيات الشاعر الكوفي[4] في ذلك :ـ

وقد وجدنا الملوك تحسد من اعـ ـطته طوعا ازمة التدبير

فاذا ما رأوا له النهي والامر اتوه من باسهم بنكير

شرب الكأس بعد حفص سليما ن ودارت عليه كف المدير

ونجا خالد بن برمك منها اذ دعوه من بعدها بالامير

اسوا العالمين مالا لديهم من تسمى بكاتب او وزير

وتوالى الوزراء على حكم الدولة العباسية بعد المنصور ، وكان اوسعهم نفوذا واكثرهم استئثارا بالاموال هم البرامكة . وقد ظهر بأسهم واستبدادهم بعد اعتلاء الرشيد الخلافة ، فاتخذ من يحيى بن خالد عضداً وساعدا ، وعهد اليه بامور الدولة ، وفوضه في الوزارة تفويضا مطلقا فاستعان يحيى بولديه الفضل وجعفر ، واصبحوا وزراء للرشيد ، وعظم مركز يحيى عندما تولى

---

(١) جرجي زيدان التمدن الاسلامي جـ٢ ص١٦٠ .

(٢) ابن الاثير الكامل في التاريخ جـ٨ ص١٤٩ .

(٣) الفخرى ص١٤٠ ، اليافعي مرآة الجنان جـ١ ص٣٢٤ .

(٤) الفخرى ص١٤١ .

النظر في المظالم ، واصبح بيده الخاتم ، كما قام اولاده بدور خطير في سياسة الدولة ، فاصبح الفضل سنة ١٧٦ هـ حاكما على الولايات الشرقية وخراسان، بالاضافة الى ما كان يتولاه من مهام الادارة مدة غياب والده ، واما جعفر فقد عينه الرشيد حاكما على الولايات الغربية مع الاحتفاظ بمنصبه في البلاط كنديم للرشيد ، ثم عهد اليه الخليفة ادارة حرسه ، والاشراف على البريد ، كما اتخذه مستشارا ومرافقا للامير عبدالله المأمون ، فاصبحت السلطة الحقيقية بيد البرامكة(١) .

وبدأ الخليفة يشعر باستبداد البرامكة واستئثارهم بوظائف الدولة العليا وشغلها باقربائهم ، واصدقائهم وعملائهم ، واصبحوا كدولة داخل دولة ، وقد جمعوا اموالا طائلة ، واغدقوا الصلات على الناس فاشادوا بكرمهم ، وكان هذا من عوامل نكبتهم .

ويؤيد ابن خلدون ذلك بقوله :ـ (انما نكب البرامكة لما كان من استبدادهم على الدولة واحتجانهم اموال الجباية) حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه ، فغلبوه على امره ، وشاركوه في سلطانه ... فعظمت آثارهم وبعد صيتهم ، وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم ... من وزارة وقيادة وكتابة وحجابة وسيف وقلم ... وانصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب ... وتخطت اليهم من اقصى التخوم هدايا الملوك وتحف الامراء ، وتسربت الى خزائنهم في سبيل التزلف والاستمالة اموال الجباية ... وكسبوا من بيوتات الاشراف ... ومدحوا بما لم يمدح بهم خليفتهم ... واستولوا على القرى والضياع ... فكشفت لهم وجوه المنافسة والحسد ... وانتهى بهم الامر على شأنهم الى

---

(١) Barthold The Encyclopaedia of Islam. V. 1. P. 1034.

كبائر المخالفة[1] .

تسلط البرامكة على الاموال وانفقوا في اصطناع الرجال ، حتى صاروا مضرب المثل بالكرم ، واستأثروا بالاموال دون الخليفة ، ويؤيد الجهشياري هذا الرأى فيقول : (وكان البرامكة قد فارقوا الرشيد على شيء يطلقونه له من المال للحوادث سوى نفقاته ، وما يحتاج اليه هو وعياله ، وانه طلب من جعفر دراهم قليلة فاعتذر[2] . مع العلم ان واردات الدولة بلغت في عهد الرشيد ما يقرب من (٥٣١) مليون درهم[3] .

واراد الرشيد مرة شراء جارية بمائة الف دينار ، وارسل الى يحيى البرمكي ليعطيه المال فلم يحقق طلبه ، فغضب الرشيد وعاود الطلب ، فارسل يحيى قيمتها دراهم فاستكثرها الرشيد ، وامر برد المال ، وقال لخادم له : اضم اليك هذا المال ، واجعل لي بيت مال لاضم اليه ما اريد وسماه (بيت مال العروس) واخذ في التثبت من الاموال التي كان البرامكة قد فرطوا فيها[4] . وطلب الرشيد مرة من يحيى البرمكي مليون درهم ، وكان قد ورد من فارس ستة ملايين درهما ، فلم يجب طلبه بينما اخذ يحيى منها مليونا ونصف وفرقها في عماله[5] .

وقد نافس البرامكة الرشيد في مظاهر العظمة والجاه ، وفيما يمتلكه من قصور وضياع ، فقد انفق جعفر البرمكي على بناء داره عشرين مليون

---

(٢) ابن خلدون المقدمة جـ١ ص١٥ ـ ١٦ ، رفاعي عصر المأمون جـ١ ص١٥٩ .

(١) الجهشياري ص٢٤٩ ـ ٢٥٠ ، العصامي سمط النجوم ص٢٨٠ .

(٢) الدوري العصر العباسي الاول ص١٦٩ .

(٣) ابن الاثير الكامل جـ٧ ص٤ .

(٤) الدوري العصر العباسي الاول ص١٧٠ .

درهم [1] .

وقد عاش البرامكة في حي خاص بهم لايخالطهم فيه احد وهو اشبه بمدينة عامرة بالقصور الفخمة [2] . ويقول الدميرى : (قتل جعفر لانه قد حاز ضياع الدنيا لنفسه ، وكان الرشيد اذا سافر لا يمر بضيعه ولا بستان الا قيل هـذا لجعفر) [3] . ويذكر الاتليدى : (ان الرشيد كان يقول اغنيناهم (البرامكة) وافقرنا اولادنا ، ولم تكن لاحد من اولادنا ضيعة من ضياع البرامكة) [4] .

ويروى المسعودى والجهشيارى ان احد عمومة الرشيد سار الى يحيى ابن خالد عند تغير الرشيد عليهم فقال له : (ان امير المؤمنين قد احب جمع الاموال وقد كثر ولده ، فهو يريد ان يعقد لهم الضياع ، وقد كثر عليك وعلى اصـحابك ، فلو نظرت الى ضياعهم واموالهم ، فجعلتها لولد أمير المؤمنين ، وتقربت اليه بها ، رجوت ان يكون لك السلامة ، وان يرجع لك أمير المؤمنين ، ولكن يحيى لم يرضى بذلك [5] .

وكان البرامكة يمنون على الرشيد بمعاونتهم له في شؤون الدولـة فقال جعفر : (انظر كيف انه (الرشيد) يركب هذا المركب الوعر ما كفاه انا اقمنا ملكه ، ومهدنا امره حتى صار يحسدنا على ما آتانا الله من النعمة ، فوالله لئن لم يرجع عن غيه ليكونن وبالا سريعا عليه) [6] .

---

(١) ابن الاثير الكامل جـ٦ ص٦٢ ، العقد الفريد ابن عبد ربه جـ٣ ص٢٨ ، لسترنج بغداد في عهد الخلافة العباسية ص٣٠٦ ، برانق البرامكة في ظلال الخلفاء ص٢٤٥ .

(٢) جميل نخله المدور حضارة الاسلام ص١٦٢ .

(٣) الدورى العصر العباسي الاول ص١٧٠ .

(٤) الاتليدى اعلام الناس ص١١٥ ، الدميرى حياة الحيوان ص١٥٤ ، ابن عبد ربه العقد الفريد جـ٣ ص٣١ .

(٥) المسعودى مروج الذهب جـ٣ ص٣٨٤ ، الجهشيارى ص٢٧٧ .

(٦) الاتليدى اعلام الناس ص١٦٨ .

واغدق البرامكة الاموال على الشعراء ، وكانت هذه الاعطيات والهبات اشهر من ان تذكر فهذا ابو نؤاس يمتدحهم فيقول :ـ

ان البرامكـة الكرام تعلمـوا فعل الجميل وعلموه الناسـا[١]

وقال فيهم ابو نصر :

يا طالب الجود والمعروف مجتهدا اعهد ليحيي حليف الجود والكرم[٢]

وقال في الفضل شاعر آخر :ـ

الم تر ان الجـود من عهد آدم تحدر حتى صار يمتطيه الفضل[٣]

وقال بعضهم فيه ايضا :ـ

ما لقينا من جود فضل بن يحيي تـرك النـاس كلهم شـعراء[٤]

وقيل في جعفر :ـ

بدولـة جعفر حمد الزمـان لبـابك كل يـوم مهرجـان[٥]

وقال فيه آخر :ـ

ذهبت مكـارم جعفر وفعالـه في اناس مثل مذاهب الشـمس[٦]

وبذل البرامكة كثيرا من الاموال للشعراء ، فقد قدم بشار بن برد مرة على خالد بن برمك ، وهو بفارس فامتدحه ، فوعده وماطله ، فانشد :

اطلت عليك منك يوما سـحابة اضاءت لنا برقا وابطأ رشـاشها

فلا غيمها يجبس فييأس طـامع ولا غيثها يأتي فيروى عطائهـا

---

(١) الاصفهاني الاغاني جـ٥ ص١١١ ، جـ٢٠ ص٣٤ ·

(٢) نفس المصدر السابق جـ٥ ص١٣ ، الاتليدى ص٢٣٨ ·

(٣) الاتليدى اعلام الناس ص٢٣٨ ·

(٤) ابن خلكان وفيات الاعيان جـ١ ص٥٨٦ ·

(٥) ابن عبد ربه العقد الفريد جـ٣ ص٣٧٧ ·

(٦) الاصفهاني الاغاني جـ١٧ ص٣٣ ·

فاعطاه عشرة آلاف درهم[1] .

ومدح بشار ايضا خالد بن برمك فقال :ـ

اذا جئته للحمد اشرق وجهه اليك واعطاك اقدامه يا محمد

فاعطاه خالد ثلاثين الف درهم ، وكان قبل ذلك يعطيه في كل وفاده خمسة آلاف درهم[2] .

وقال اسحق عن ابيه : رأيت يحيى بن خالد البرمكي خارجا من قصره الذي عند باب الشماسية يريد قصره الذي بباب البردان ، وهو يتمثل

هوى بتهامة وهوى بنجد فابكتني التهائم والنجود

فامر لي بالف دينار ودابته التي كانت تحته[3] .

وحدثنا الصولي قال : لما اراد الفضل بن يحيى الخروج الى خراسان ودعته ، ثم انشدته بعد التوديع :ـ

فراقك مثل فراق الحياة وفقدك مثل اختفاء الديم

عليك سلام فكم من وقار افارق فيك ولكم من كرم

قال : فضمني اليه ، وامر لي بالف دينار[4] .

ولم تكن الهبات والعطايا تمنح للشعراء فحسب ، بل لغيرهم ايضا فيروى الطبرى : (انه لما خرج ابراهيم بن جبريل وكان ابراهيم على شرطه وحرسه فوجهه الى كابل فافتتحها ، وغنم غنائم كثيرة بلغت سبعة ملايين درهم ، وكان عنده من مال الخراج اربعة ملايين درهم ، فلما قدم بغداد استزاره الفضل ، واعد له الهدايا والطرف وانيه الذهب وانصفه فابى الفضل ان يسأل منها شيئاً ، وقال له هذا المال من مال الخراج ، فقال :

---

(١) الاصفهاني الاغاني جـ٣ ص١٨٥ .

(٢) نفس المصدر السابق جـ٣ ص١٩٢ .

(٣) الاصفهاني الاغاني جـ٥ ص١٦٧ .

(٤) نفس المصدر السابق جـ٥ ص٣٠٢ .

هو لك ، فاعاد عليه فقال : اما لك بيت يسعه)[1] .

وكان يحيى البرمكي اذا ركب يعد صررا في كل صره مائتا درهم ، يمنحها لعامه الناس في الاسواق والطرقات[2] .

وكان ابنه جعفر يحمل الدنانير مع خادمه اذا زار صديقا او أديبا من خاصته او مجلسا فيه السنة تنطق بالخير والشر ليشتريهم بعطائه وكرمه[3] .

وغال البرامكة في انفاق الاموال على اعوانهم فاتخذ الفضل جندا من خراسان سماهم (العباسية) وبلغ عدتهم خمسمائة الف رجل ، وفرق فيهم كثيرا من الاموال ، ولما عاد الفضل من خراسان الى بغداد ، خرج الرشيد للقائه هو وبنو هاشم وسائر الناس فجعل يصل الرجل بمليون او بخمسمائة الف درهم ، كما اغدق على الشعراء ايضا[4] . ووهب الفضل لبعض الأدباء عشرة آلاف دينار ، كما وهب لطباخه مائة الف درهم[5] . ودخل يوما بعض الاكابر على الفضل فشكا اليه الرجل دينا عليه ، وساله ان يكلم في ذلك امير المؤمنين فقال نعم : وكم دينك ؟ قال ثلاثمائة الف درهم ، فخرج الرجل من عنده فلما رجع الى منزله فاذا المال قد سبقه الى داره[6] .

وقد نافس البرامكة الرشيد ، وتشبهوا به وباولاده في الكرم والعطاء فلما حج الرشيد واولاده حج معه يحيى واولاده ، جلس الرشيد ويحيى

---

(١) الطبرى جـ١٠ ص٦٤ ، الجهشيارى ص١٩٢ .

(٢) ابن خلكان وفيات الاعيان جـ٢ ص٣٦٣ ، الفخرى ص٢٤٠ .

(٣) ابن خلكان وفيات الاعيان جـ ١ ص١٠٥ .

(٤) مؤلف مجهول العيون والحدائق ص٢٩٦ ، ابن كثير البداية والنهاية جـ١٠ ص١٧٣ .

(٥) ابن كثير البداية والنهاية جـ١٠ ص٢٠٥ .

(٦) نفس المصدر السابق جـ١٠ ص٢١١ .

في المدينة المنورة فاعطيا الناس ، وجلس الامين ومعه الفضل فاعطيا الناس ، وجلس المأمون وجعفر فاعطيا الناس ايضا فكان اهل المدينة يسمون ذلك العام عام الاعطيات الثلاث ، وفي ذلك يقوم الشاعر[1] :ـ

اتانا بنـــوا الامال من آل برمك فيا طيب اخبار ويا حسن منظر
اذا نزلوا بطحاء مكة اشـــرقت بيحيى وبفضل بن يحيى وجعفر
فتظلم بغداد وتجلو لنـا الدجى بمكـة ما تمحو ثلاثـة اقمـــر

وقد بلغت واردات البرامكة السنوية من الاموال ثلاثين مليونا وستمائة وستين الف دينار غير ضياعهم وغلاتهم ودورهم[2] ٠

ويروى الجهشيارى ان مسرور الخادم وجد اكثر اموال البرامكـة بعد نكبتهم على شكل ضياع وجوهر بينما انفقوا اكثر الدراهم في المكارم[3]٠

ولو رجعنا الى الرقعة التي انتسخها ابو القاسم جعفر بن محمد بن حفص من دواوين الخراج في ايام الرشيد ، والتي عرضها على يحيى بن خالد لما يحمل الى بيت المـــال من جميع النواحي ، لادركنا ضخامة تلك الاموال ، وقد اشار اليها الجهشيارى فقال : (فقد بلغ قيمة الورق ـالنقودـ مع قيمة العين خمسة مئة الف الف ، وثلاثين الف الف ، وثلاث مئة الف ، واثنى عشر الف درهم)[4] ٠

وكان البرامكة يستحوذون على معظم هذه الاموال لترفهم وبذخهم ، ولاصطناع الاصحاب والاعوان ، لان البرامكة لم يعطوا الرشيد ما يكفي سوى نفقاته وما يحتاج اليه هو وعياله ٠

---

(١) الفخرى ص١٦٢ ، الجهشيارى ص٢٢١ ٠

(٢) ابن عبد ربه العقد الفريد جـ٥ ص٩٢ ، ابن قتيبـه الامامـــة والسياسة جـ٢ ص٢٠٢ ، ابن العماد شذرات جـ١ ص٣١٥ ٠

Anthony Nothing, The Arab, A Narrative histery From Mohammed to the present. P. 119.

(٣) الجهشيارى ص٢٤٢ ٠

(٤) نفس المصدر السابق ص٢٨٦ ٠

وفي عهد الخليفة المأمون بلغت ثروة الحسن بن سهل مبلغا ضخما ونستطيع ان نقدر هذه الثروة اذا علمنا ان ما انفقه على زواج ابنته بوران من المأمون ، فقد فرش للمأمون ليلة الزفاف حصيرا منسوجا من الذهب نثر عليه الف لؤلؤة كبيرة ، واشعل بين يديه شمعة عنبر وزنها مائة رطل ، ونثر على الهاشميين ورجال الدولة والقواد والعلماء والكتاب بنادق مسك في كل منها رقعة مكتوب فيها عطيه ، دارا او ضيعة او جارية او فرس او مالا ، فكانت البندقه اذا وقعت في يد الرجل فتحها فيقرأ ما في الرقعة ويمضي الى الوكيل المرصد لذلك ليتسلم ما فيها ، ونثر على سائر طبقات الناس الدنانير والدراهم ، وقد احصى ما انفقه الحسن بن سهل ليلة الزفاف فكان خمسين مليونا من الدراهم[1] . وبعد عزل احسن بن سهل استوزر المأمون عدة وزراء اشهرهم عمرو بن مسعدة ، وبعد وفاته رفعت الى المأمون رقعة ، ذكر فيها ان عمرا خلف ثمانين مليون دينار[2] .

(١) الذهبي العبر في خبر من غبر جـ١ ص٣٥٨ ، الخطيب البغدادي تاريخ بغداد جـ٧ ص٣٢١ ، ابن العماد شذرات الذهب جـ٢ ص٨٦ .
(٢) ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة جـ٢ ص٢٢٧ .

٥ ـ موقف الخلفاء العباسيين من وزرائهم

كانت الوزارة العباسية في العصـــر العباسي الاول قرينة الخلافة ، فارتبطت قوة الوزارة سياسيا واداريا بقوة الخلافة ، وكثيرا ما حدث صدام بين الخليفة والوزير وتولد عنه احداث خطيرة ، وهذا راجع الى عـــدم تحديد صلاحيات الوزير واختصاصاته .

فالخليفة يعتبر وزيره مجرد مساعد له او امين اسراره ، بينما حاول الوزير السيطرة على جهاز الدولة ، والتمتع بجميع الصلاحيات والاستئثار بها ، وكان الفوز نهاية هذا الصدام للخليفة لان بيده القوة واليـــه يرجع الحل والعقد .

كان ابو العباس من الخلفاء العباسيين الاقوياء وله رأى سديد ، فارتفع ذكر الدولة ، وعظم شأنها ، وكان اخوه المنصور يعاونه في ادارتها ، ورغم ذلك فقد سمت منزلة الوزير وارتفع قدره لارتفاع هيبة الخلافة ، وان لم يمنع هذا من ظهور روح الصدام في عصره من الناحية السياسية ، فقـــد استوزر السفاح ابا سلمه الخلال وكان صاحب الدولة والمدبر لها ، وفوض اليه الامور ، وكان كاتبا بليغا وعالما فصيحا ، نجح في ان يتولى منصـــب الوزارة بالاضافة الى مساهمته في الدعوة العباسية[1] .

فيذكر الجهشيارى (لما دخل الحسن وحميد ابنا قحطبه على رأس الجيش العباسي مدينة الكوفة يوم ١١ محرم سنة ١٣٢هـ بعد هزيمة ابن هبيرة ، اظهروا ابا سلمه وسلموا اليه الرياســـة وسموه وزير آل محمد ومدبر الامور[2] . فهو اذن اول وزير لاول خليفة عباسي ، وقد حدث

---

(١) الفخرى ص١٢١ ـ ١٢٢ .
(٢) الجهشيارى ص٨٤ .

صدام بين الوزير والخليفة منذ مطلع العصر العباسي الاول لان الخلال لما صح عنده موت ابراهيم الامام ، لقى رجالا من الشيعة فناظرهم على نقل الخلافة الى ولد علي ، وكتب الى ثلاثة نفر من الشيعة يعرض عليهم البيعة بالخلافة . وهم : جعفر بن محمد ، عبدالله بن حسن ، وعمر بن علي بن الحسن ، فقدم رسول الخلال الى المدينة ، فلقى جعفرا فاحرق الخطاب ولم يقرأ ، ثم لقى عبدالله بن الحسن فقبل الكتاب ، فحذره جعفر بن محمد واشار عليه ان لا يفعل واعلمه ان اهل خراسان ليسوا بشيعة وان ابا سلمه مخدوع مقتول[١] .

واراد ابو سلمه بذلك تحويل الخلافة الى آل علي . وقيل انه عزم على ان يجعلها شورى بين ولد علي وولد العباس حتى يختار من ارادوا ثم قال : اخاف ان لا يتفقوا[٢] . ويروى ابن عساكر والمقدسي ان الخلال حاول نقل الخلافة الى العلويين وقال : (ينبغي ان يتريضوا فان الناس بايعوا ابراهيم الامام ، وقد مات ، ولعله يحدث بعده امر واراد بذلك صرف الامر الى ولد علي[٣] .

وذكر اليعقوبي ان الخلال اخفى ابا العباس واهل بيته لانه (دبر ان يصير الامر الى بني علي)[٤] . ويقول صاحب الفخرى (لما سير ابو سلمه احوال بني العباس عزم على العدول عنهم الى بني علي)[٥] .

---

(١) نفس المصدر السابق ص٨٦ ، المسعودي مروح الذهب جـ٣ ص٢٥٣ .

(٢) الطبرى جـ٩ ص١٢٤ ، مؤلف مجهول العيون والحدائق ص١٩٦ .

(٣) ابن عساكر التاريخ الكبير جـ٤ ص٣٧٧ ، المقدسي البدء والتاريخ جـ٦ ص٦٧ .

(٤) اليعقوبي جـ٣ ص٨١ .

(٥) الفخرى ص١١٣ ، التنوخي الفرج بعد الشدة جـ٢ ص١٣٢ ، الاربلي خلاصة الذهب ص٣٩ .

ويذكر الطبري ان احد القواد ابو الجهم الح على ابي سلمه اظهار ابي العباس فاجابه : (ليس هذا وقت خروجه لان واسطا لم تفتح بعد)[١] .

وقد ظهر لابي الجهم سوء نية الخلال فغلبه النقباء والامراء واحضروا ابا العباس السفاح وسلموا عليه بالخلافة[٢] . وكان الخلال كما يقول الدنيورى من كبار الشيعة[٣] . وقد فشلت مساعي الخلال في جعل الخلافة علوية اذ شك زعماء العلويين في اخلاصه .

ويروى المسعودي ان جعفر بن محمد الصادق قال لعبدالله ، يا ابا محمد متى كان اهل خراسان شيعة لك ؟ اانت بعثت ابا مسلم الى خراسان ؟ اانت امرته بلبس السواد ؟ وهؤلاء الذين قدموا الى العراق . اانت كنت سبب قدومهم ؟ او وجهت فيهم ؟ هل تعرف منهم احدا ؟)[٤] .

وهكذا حاول الخلال تحويل الخلافة الى آل علي ، ولذا عمد ابو العباس على التخلص من ابي سلمه الخلال واتهمه بتأييد الشيعة[٥] .

ويروى صاحب الفخرى ، ان ابا العباس هو الذي دبر خطة الخلاص من الخلال ، وان ابا مسلم كان المنفذ لها[٦] . فيذكر الجهشيارى ان ابا العباس هم بالخلاص من ابي سلمه ، فقال له داود بن علي : لا آمن عليك ابا مسلم ، ان فعلت ان يستوحش ، ولكن اكتب اليه فعرفه ما كان من ابي سلمه ، فكتب ابو العباس الى ابي مسلم يعلمه ما كان من امر ابي سلمه ... وما كان اجمعه من صرف الدعوة الى آل علي ، فوجه ابو مسلم الخراساني

(١) الطبرى جـ٩ ص١٢٢ .
(٢) ابن كثير البداية والنهاية جـ١٠ ص٤٠ .
(٣) الدنيورى الاخبار الطوال ص٣٣٦ .
(٤) المسعودي مروج الذهب جـ٣ ص١٨٤ .
(٥) ابن خلدون العبر جـ٣ ص٣٧٦ .
(٦) الفخرى ص١٢٣ .

مرار بن انس الغلبي فقتل ابي سلمه ، وشاعوا قتله على يد الخوارج[1]

---

(١) الخوارج :ـ وهم جماعة كانت مع علي ابن ابي طالب في الحرب التي دارت بينه وبين معاوية في صفين ، وانكرت عليه حقه كخليفة في قضية التحكيم بين الناس وقالت (لا حكم الا لله) (الدنيورى الاخبار الطوال ص ٢٠٥) ٠ وهم الذين ارادوا استمرار القتال مع معاوية ، وانه لا يجوز العدول عن حكم الله الى حكم الرجال ، وبهذا عرفوا بالمحكمة (البغدادي الفرق بين الفرق ص٥٦ ، ص٦١) ولما رجعوا الى حروراء ـ مكان قرب الكوفة ـ تسموا ايضاً (بالحرورية) (البغدادي الفرق ص٥٧ ، معجم البلدان عن حروراء جـ٣ ص٢٥٦) ٠

وقد تطرف المحكمة أو الحرورية في نظام الخلافة ، وجوزوا خليفة من غير قريش مهما يكن اصله او جنسه ما دام عارفا بالكتاب والسنة (ابن حزم الفصل في الملل والنحل ط ١ جـ٢ ص١١٣ مصر سنة ١٣٢٠ هـ) وازداد عددهم وتجمعوا في ارض جوخي والنهروان عند وسط الدجلة (الدنيورى ص٢٠٨ ، معجم البلدان جـ٨ ص٣٤٧) واختاروا اميرا او أماماً لهم هو عبدالله بن وهب الراسبي الازدي (الدنيورى الاخبار الطوال ص٢٠٤) وبسبب خروجهم على الخليفة وحقوقه السياسية والعسكرية من جهة ، وعلى نظام الخلافة من جهة اخرى ، اطلق عليهم في التأريخ (بالخوارج) (البغدادي الفرق بين الفرق ص٦١) Eney Artkharedjites. P. 958

وقد ازداد تطرف الخوارج حتى كفروا علياً ومعاوية وعثمان واصحاب الجمل وكل من رضى بالتحكيم (البغدادي ص٥٥) ، وذلك ناتج عن اسلوب العنف والقسوة التي عوملوا بها ٠ محتجين بالآية (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون) (سورة المائدة : آية ٤٦) ٠

ومع ان علياً جد في استمالتهم (الدينورى ص٢١٠ وما بعدها) الا انهم رفضوا طاعته ، فحاربهم عند جسر النهروان فهزمهم ، وقتل زعيمهم عبدالله بن وهب الراسبي في اواخر سنة ٣٧هـ/٦٥٨م ، ولكن الخوارج ما لبثوا ان انتقموا منه بالقتل على يد عبدالرحمن بن ملجم الذي كان قد تزوج امرأة قتل ابوها واخوها يوم النهروان على يد علي (ابن الاثير الكامل جـ٣ ص١٩٥) ٠

فقال لليدين وللفم[1] . ١٣٢ هـ[2] .

وقيل لما بلغ السفاح قتله انشد :ـ

الى النار فليذهب ومن كان مثله   على اي شـيء فاتنا منه نأسف[3]

وقال فيه سليمان بن المهاجر :ـ

ان الوزيـر وزيـر آل محمـد   اودى فمن يشناك كـان وزيرا

وكان مقتل ابي سلمة الخلال في رجب سنة ١٣٢هـ[4] .

ويذكر الطبري ان ابا العباس بعث اخاه المنصور ، فالتقى بابي مسلم في مرو واخبره المنصور عن تدبير ابي سلمه ، فقال ابو مسلم الخراساني : فعلها ابو سلمه اكفيكموه[5] . ويشير اليعقوبي الى ذلك فيقول : (وبلغ ابا العباس عن ابي سلمه امورا انكرها ، وذكر له تدبيره الذي كان عليه وتأخيره ، فانه العدو الغاش الخبيث السريره فكتب اليه ابو العباس ان وجه انت من يقتله[6] . ويقول المسعودي : (انه كان في نفس ابي العباس من الخلال شيء لانه حاول تحويل الخلافة عن العباسيين الى العلويين ، فكتب ابو مسلم الى ابو العباس ويشير عليه بقتله ، ويقول له : قد احل الله لك دمه ، لانه قد نكث وغير وبدل)[7] وتحـدث الدنيورى والمسعودي عن

---

(١) لليدين وللفم : كلمة تقال للرجل اذا دعي عليه بالسوء ، ابن عساكر التاريخ الكبير جـ٤ ص٣٧٧ .

(٢) الجهشيارى ص٩٠ .

(٣) ابن خلكان وفيات الاعيان جـ١ ص١٦٣ .

(٤) الجهشيارى ص٩٠ ، ابن الاثير الكامل ص١٦٣ ـ ١٦٤ ، ابن خلكان الوفيات جـ١ ص١٦٣ ، الفخرى ص١٢٣ ، ابن قتيبة الامامة والسياسة جـ١ ص١٤٥ .

(٥) الطبري جـ٩ ص١٤١ ، ابن كثير البداية والنهاية جـ١٠ ص٥٣ ـ ٥٤ .

(٦) اليعقوبي تاريخ جـ٣ ص٨٩ .

(٧) المسعودي مروج الذهب جـ٣ ص٢٧٠ .

محاولة ابي مسلم اقناع ابي العباس بقتل الخلال فقالا : (لما سمع ابي مسلم بان الخليفة ولى ابا سلمه جميع ما وراء بابه وجعله وزيره ، واسند اليه جميع اموره ، ارسل احد قواده وامره بقتل الخلال)[1] . ويقول المسعودى : « ان ابا العباس اجاب ابا مسلم الخراساني : ما كنت لافتح دولتي بقتل رجل من شيعتي ، لا سيما مثل ابي سلمه ، وهو صاحب هذه الدولة ، وقد عرض نفسه وبذل مهجته ، وانفق ماله ، وناصح امامه ، وجاهد عدوه . وحذر ابو جعفر المنصور وداود بن علي ابا العباس فقالا : فينبغي ان تحترس منه ، فانا لا نأمنه عليه ، فلما اتصل هذا القول (الى ابي مسلم) من ابي العباس اكبره واعظمه ، وخاف من ناحية ابي سلمه ان يقصده بمكروه فوجه جماعة من ثقات اصحابه وقتلوه »[2] .

وبدو ان نفوذ الخلال الواسع اصبح منافسا لنفوذ ابي مسلم الخراساني عند الخليفة ، فيقول ابن قتيبة : (وكان ابو سلمة يظهر الادلال والقدرة على امير المؤمنين)[3] . ويذكر الدنيورى ايضا : (انه كان ينفذ الامور من غير مؤامرة)[4] . فاصبح واجبا على الخليفة الخلاص من ابي سلمه . ويرى الدورى ان نكبة الخلال كانت مظهرا لغموض وضع الوزارة ، وللتصادم بين سلطة الخليفة وسلطة الوزير[5] .

وقد اختلف المؤرخون فيمن تولى الوزارة بعد ابي سلمه فقيل ابي الجهم او عبدالرحمن ، اما الصولي فذكر ان السفاح استوزر بعد ابي سلمه

---

(١) الدنيورى الاخبار الطوال ص٣٦٨ ، المسعودى المروج جـ٣ ص٢٧٠ .

(٢) المسعودى مروج الذهب جـ٣ ص٢٧٠ ـ ٢٧١ .

(٣) ابن قتيبة الامامة والسياسة جـ٢ ص٢٣١ .

(٤) الدنيورى الاخبار الطوال ص٣٦٨ .

(٥) الدورى النظم الاسلامية ص٢١٨ .

خالد بن برمك[1] .

ويظهر ان النهاية التي صار اليها ابو سلمه قد جعلت من جاء بعده في الوزراء يتحاشون عن التلقب بلقب (الوزير) . قال الجهشيارى (ان كل من استوزر بعد ابي سلمه كان يتجنب ان يسمى وزيرا نظرا لما جرى لابي سلمه)[2]. فكان خالد بن برمك يعمل عمل الوزراء ولا يسمى وزيرا[3]. وقيل لما قتل الوزير ابو سلمه استوزر ابو العباس مكانه احد موالى بني باهله ، وهو ابا الجهم بن عطيه ، وهو فارسي الاصل ايضا ، ومن صنائع ابي مسلم ، واحد ثقاته ، وكان قائدا لاحدى فرقه ، فلما استوزره ابو العباس غلب على امره ، وصار عينا وجاسوسا عليه يخبر ابا مسلم باسرار الدولة ، وينفذ رغائبه حتى قال عنه الجهشيارى : (ان ابا الجهم كان ينوب عن ابي مسلم بحضرة ابي العباس ويخلفه)[4] .

وقد بدأت سياسة الوزير ابي الجهم تتجه نحو ابعاد نفوذ ابي جعفر المنصور عن بلاط اخيه ابي العباس ، ليخلو الجو من اية معارضة صريحة تقف دون سياسة ابي مسلم ، ونزعاته الشعوبية الفارسية ، وقد شعر المنصور بخطر وزيره واعوانه من الفرس فاختار له شرطا وحرسا من العرب ، ليحمي نفسه من غدر اتباع خصمه ابي مسلم الخراساني وقد لعب ابن عطيه دورا خطيرا في طغيان النفوذ الشعوبي في الدولة العباسية وفي التجسس لحساب ابي مسلم الخراساني[5] .

ولما تولى المنصور الخلافة وجد ان ابا العباس قد خلف له عدة

---

(١) الفخرى ص١٢٣ .

(٢) الجهشيارى ص١٠٢ .

(٣) الفخرى ص١٢٤ .

(٤) الجهشيارى ص٩٣ .

(٥) الجومرد داهية العرب المنصور ص١١٤ ـ ١١٦ .

مشاكل ، الا انه استطاع بعد تولي الخلافة سنة ١٣٦ هـ ان يوطد دعائم الدولة فقضى على ثورة عمه عبدالله بن علي العباسي ، كما واجه اتساع نفوذ ابي مسلم الخراساني ، الذي اصبح منافسا له في السلطة ، وقمع ثورة معارضيه من آل علي ، وبذا تمكن من توطيد دعائم دولته .

وقد اشتهر المنصور باقدامه على قتل وزرائه ، بعد تنكيله بوزيره ابي الجهم بن عطيه ، وبهذا نجح في تحديد سلطات الوزير ، وحال دون استبداده بالدولة[١] .

ويقول صاحب الفخري : (ان المنصور لما تولى الخلافة اقر خالد بن برمك في منصب الوزارة ، واكرمه واستشاره)[٢] . وقام خالد بالامور خير قيام فبقي في الوزارة ستة اشهر ، وكان ابو ايوب المورياني قد غلب على المنصور ، وسعى لابعاد خالد البرمكي ، واخذ يحرض المنصور عليه حتى ولاه على الموصل[٣] .

---

(١) ريجارد كوك بغداد مدينة السلام جـ١ ص٣٥ .

(٢) الفخرى ص١٢٥ .

(٣) الموصل :ـ مدينة تقع على جانبي نهر دجلة ، وتعد اليوم من اشهر المدن العراقية في السعة والعمران والعلم ، وتحاذيها من جانبها الايسر اطلال مدينة نينوى الاشورية التي سقطت سنة ٦١٢ ق.م ، ولم نعلم بالضبط تاريخ نشأتها ، فقيل انها انشأت زمن الاشوريين ، وقيل انها بنيت على ايدى الفرس ، ولكن بين ايدينا ما يوضح ان الموصل كانت عربية قبل الفتح الاسلامي فقد كانت قصبة الجزيرة(أ) التي تشتمل على ديار بكر ومضر وربيعة ، وفيها قبائل تغلب واياد والنمر(ب) . وقد فتحت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب فتحها قائده ربعي بن الافكل العنزى سنة ١٦هـ ، وفي قول آخرين فتحها عتبة بن فرقد واصبح واليا عليها (ج) . واختطتها ومصرها واسكنها العرب المسلمين من الفاتحين هو عرفجة بن هرثمه البارقي ايام الخليفة عثمان بن عفان ، ثم اخذت تتسع تدريجيا بمن نزلها من القبائل العربية من الازد وطي وكنده وعبد القيس ، واصبح لها دور هام ومكانة =

وقد وضح صاحب الفخري طبيعة الوزارة في عهد المنصور فقال :
(لم تكن للوزارة في ايامه طائلة لاستبداده ، واستغنائه برأيه وكفايته مع انه كان يشاور في الامور دائما ، وان كانت هيبته تصغر لها هيبة الوزراء ، وكانوا لا يزالون على وجل منه وخوف فلا يظهر لهم ابهه ولا رونق[١] .

واصبح الوزير في ايامه ينهي اليه (المنصور) كل ما يعرض له من امور الدولة قبل البت فيها[٢] .

= عظيمة ايام الراشدين والامويين والعباسيين ، فذاع صيتها عندما نشأت فيها دويلات الطوائف مثل دولة بني حمدان ، والدولة العقيلية ، والسلاجقة، ثم الاتابكة(د) .

وسميت الموصل الحدباء (لاحتداب مجرى نهر دجلة عند دخوله المدينة وقيل لوجود المئذنة التي بنيت في العهد الزنكي بشكل محدب) .

وقد وصفها الكثير من الجغرافيين منهم المقدسي في كتابه احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص١٣٨ ليدن سنة ١٩٠٦ ، وابن الفقيه الهمداني في حدود سنة ٣٤٠هـ في كتابه مختصر كتاب البلدان ص١٢٨ ليدن سنة ١٨٨٥م ، والاصطخرى في مسالك الممالك ص٧٣ ليدن سنة ١٩٢٧ م ، وابن حوقل في كتابه صورة الارض ص٢١٤ ـ ٢١٥ ليدن سنة ١٩٣٨ م .

(أ) الجزيرة : سميت الجزيرة لانها بين دجلة والفرات . انظر الاصطخرى مسالك الممالك ص٥٠ .

(ب) القزويني : آثار البلاد واخبار العباد ـ مطابع صادر بيروت ـ سنة ١٣٨٠ هـ ص٣٥١ .

(ج) الطبرى تاريخ جـ٣ ص١٤٢ ـ مطبعة الاستقامة القاهرة ، البلاذرى فتوح البلدان ص٣٢٨ ، ابن الاثير الكامل جـ٢ ص٢٢١ الصائغ تاريخ الموصل جـ١ ص٦٠ .

(د) القس سليمان الصائغ تاريخ الموصل جـ١ ص٤٢ ـ ٤٤ ، كوركيس عواد مدينة الموصل ـ نشرة مديرية الآثار ص٣ـ٤ سنة ١٩٥٩م .

(هـ) الصائغ تاريخ الموصل جـ١ ص٨٦ .

(١) الفخرى ص١٣٩ .

(٢) كرد علي الاسلام والحضارة العربية جـ٢ ص٢٠٠ .

ويبدو ان المنصور استفاد من تجربة اخيه ابي العباس مع وزيره الخلال فلم يمنح وزراءه كثيرا من النفوذ ، واصبح الوزراء عرضة للعزل متى رغب الخليفة . لأن المنصور اظهر نوعا من التردد وعدم الميل الى اتخاذ وزير حذرا من تضخم سلطاته(١) .

فاستوزر المنصور بعد ابي الجهم ابا ايوب المورياني ، وهو سليمان بن مخلد فيقول الجهشيارى عنه : (كانت له بابي جعفر حرمة رعاها له فخف على قلبه ، فلم يزل امر ابي ايوب يعلو ، ومحله من رأي ابي جعفر يزيد حتى قلده وزارته ، وفوض اليه امره كله ، وصرف ابا ايوب اهله جميعا في الاعمال ، حتى قالت العامة : انه سحر ابا جعفر ، واتخذ دهنا يمسحه على وجهه اذا اراد الدخول عليه ، وضربت المثل بدهن ابي ايوب(٢) .

وقد اختلف في اسباب نكبته ، فقيل انه اثرى ثراء فاحشا(٣) ، وقيل انه قتل من ولد المنصور(٤) ، حيث اطعمه سما فمات ، وقيل ارسل من قتله

---

(١) الدوري النظم الاسلامية ص٢١٩ .

(٢) الجهشيارى ص٩٧ ، المسعودى المروج ج٣ ص٢٨٥ ، ابن العماد شذرات الذهب ج١ ص٢٣٦ .

(٣) الفخرى ص١٤٠ .

(٤) اقام المنصور بالموصل في عهد دولة بني امية مستترا وتزوج امرأة من الازد فحملت منه ثم فارق الموصل واعطاها تذكرة وقال لها اذا سمعت بدولة بني هاشم فارسلي هذه التذكرة الى صاحب الامر ، فهو يعرفها فوضعت المرأة ولدا وسمته جعفرا ونشأ ... فقدم بغداد واتصل بابي ايوب فجعله كاتب في الديوان فطلب المنصور يوما من ابي ايوب كاتبا يكتب له شيئاً فارسل اليه جعفرا ، فلما رآه المنصور مال اليه واحبه فسأله من اين هو ؟ ومن هو ابوه ؟ فذكر له الحال ، واراه التذكرة ، فعرفه المنصور ، وصار يطلبه كل وقت بحجة الكتابة ، فخافه ابو ايوب ، ثم ان المنصور ارسله الى الموصل ليحضر والدته فارسل ابو ايوب من تبعه واغتاله في الطريق ، فعلم المنصور بما فعله وزيره فنكبه . (ابن الاثير الكامل ج٥ ص٢٢٥ ، ابن كثير البداية والنهاية ج١٠ ص١٠٩ ــ ١١٠) .

في الطريق الى الموصل ، وقال له المنصور : قتلني الله ان لم اقتلك بـه • فقتله واهله واسـبابه جميعا[1] • وامر المنصور بقطع يدي بني اخيـه وارجلهم[2] • واخذ جميع امواله وحواصله[3] •

ويقال ان المنصور اخذ يشك بابي ايوب المورياني وجعل الربيع بن يونس رقيبا عليه فكشف عن نقائصه للمنصور ، فنكبه واتخذ الربيع وزيرا مكانه[4] • واعتمد المنصور على الربيع اعتمادا كبيرا فكان كما يقول صاحب الفخرى عنه : (جليلا نبيلا منفذا للامور مهيبا فصيحا كاتبا حازما عاقلا فطنا خبيرا بالحساب والاعمال ، حاذقا بامور الملك بصيراً بما يأتي وبذر محبا لفعل الخير)[5] • ولم يزل الربيع وزيرا للمنصور الى ان مات ، وهو آخر وزراء المنصور • ولقى الربيع حتفه على يد الخليفة الهادي ، وكان سبب قتله انه اهدى جارية حسناء الى الخليفة المهدي فوهبها المهدي لابنه موسى الهادي فغلب حبها عليه واولدها اولاده ، فلما صار الهادي خليفة سعى اليه اعداء الربيع ، فناوله الهادي قدحا فيه عسل مسموم فشربه فمات وذلك سنة ١٧٠هـ[6] •

سار المهدي على نهج ابيه بالاهتمام بامور الدولة ، وعنى بالوزارة فاصبحت في عهدة ذات اهميـة عظمى اذ تولى الوزير رئاسـة الدواوين والجيش ، فاتسعت بذلك سلطة الوزير وصلاحيته • ويرى الدورى ان

---

(١) الجهشيارى ص١٢٢ ، ابن الاثير الكامل جـ٥ ص٢٢٥ •

(٢) ابن الاثير الكامل جـ٥ ص٢٢٩ ، الطبري تاريخ جـ٩ ص٢٨٥ ، ابن خلكان وفيات الاعيان جـ١ ص٢١٥ •

(٣) ابن كثير البداية والنهاية جـ١٠ ص١١٠ •

(٤) الجومرد المنصور داهية العرب ص٢٨٦ •

(٥) الفخرى ص١٤٢ •

(٦) نفس المصدر السابق ص١٤٢ •

الوزارة رسخت اسسها في عهد المهدي واتسعت سلطاتها حتى صارت عامة الدواوين تحت اشرافها ، ومع وجود هذه السلطة الواسعة الا ان الخليفة كان يستطيع سحبها متى اراد ودون تردد او حذر[١] .

ويقول صاحب الفخري والذهبي : (وفي ايامه ـ المهدي ـ ظهرت ابهة الوزارة بسبب كفاءة وزيره ابي عبيد الله معاوية بن يسار ، فانه قرر القواعد ، وكان كاتب الدنيا واوحد الناس حذقا وعلما وخبرة)[٢] وقام بالامور خير قيام ... وكان كاتبه ونائبه قبل الخلافة ... ، وكان المنصور قد عزم ان يستوزره لكنه آثر به ابنه المهدي فكان غالبا على امور المهدي لا يعصى له قولا ، وكان المنصور لا يزال يوصيه فيه ، ويامره بامتثال ما يشير به[٣] . فلما مات المنصور وتولى المهدي الخلافة ، فوض اليه تدبير المملكة ، وسلم اليه الدواوين .

وتضاءلت منزلة ابن يسار حين سعى به الربيع بن يونس ، وسبب ذلك انه لما توفى المنصور وقام الربيع بامر البيعة للمهدى بمكة عاد الى بغداد وقابل ابا عبيد الله بن يسار قبل ان يقابل المهدي ، واستأذن بالدخول عليه فلم يأذن له الا بعد صلاة العشاء ، ولما دخل عليه كان متكئا فلم يقم له ولم يحفل به ... فجعل يسأله عن مسيره وسفره وحاله ولم يسأله عما فعل في امر البيعة للمهدى ، فقام الربيع متغير القلب وتنكر منه ... وقال لابنه الفضل لانقصن مالي وجاهي في مكروهه ، وجد في السعاية فيه حتى ذكر له رجلا يعرف بالقشيرى كان يساعد المهدى لما كان بنيسابور وبالرى فاستدعاه الربيع بن يونس وقال له اريد طريقا اعزل به ابا عبيد الله ، فقال : اي شيء يقال فيه ، يقال هو جاهل بصناعته ، فهو احذق الناس ، او يقال

---

(١) الدورى النظم الاسلامية ص٢٢١ .

(٢) الفخرى ص١٤٥ ، الذهبي العبر في خبر من غبر جـ١ ص٢٥٩ .

(٣) الفخري ص١٥٨ .

هو ظنين فهو اعف الناس ... ثم عدد دينه وامانته على الدولة ، ثم قال للربيع ليس الطريق الى فساد امره الا بابنه ... ثم دس الربيع الى المهدى من اوقع في نفسه انه (زنديق) ، ثم اتهمه بعض حرم المهدى ، فامر المهدي باحضاره وابو عبيد الله والده حاضرا فقال المهدي يا محمد اقرأ شيئاً من القرآن فذهب ليقرأ فارتج عليه فقال : يا معاوية الم تعلمني ان ابنك جامع القرآن ، قال : قد اخبرتك يا امير المؤمنين ولكنه فارقني منذ سنين ، وفي هذه المدة نسي القرآن ، فقال المهدي هو (زنديق) فقم وتقرب الى الله بدمه ... فامر به فاخرج فضربت عنقه ، ولم يرضى الربيع بهذا بل اتهمه في نفسه ايضا ، وقال الربيع للمهدي (قتلت ابنه فليس ينبغي ان يكون معك ولا تثق به فنكبه وعزله وبلغ الربيع ما اراد)[1] .

وعلق الخضرى على هذا الحدث فقال : تلك حال الامراء المستبدين الذين جعلوا آذانهم صيدا لكل قول فلا يزال اهل الاهواء يلعبون بهم ويحرمونهم والدولة من خدمة اخلص الناس واكثرهم كفاءة[2] .

ويعلق الدوري ايضا بقوله : (انها لبادرة خطرة فسح فيها الخلفاء المجال لذوي الدسائس والسعايات ليلعبوا دورا هاما في تعيين الوزراء وعزلهم)[3] . فعزل ابن يسار كان لكره الربيع بن يونس له ولد سائسه عليه ، وكان ذلك كما يقول الجهشيارى وابن طباطبا لاسباب شخصية[4] .

وولى المهدي الوزارة ابا عبدالله يعقوب بن داود ، وكان اختياره

---

(١) ابن خلدون العبر جـ٣ ص٤٤٤ ــ ٤٤٥ ، الفخرى ص١٤٥ ــ ١٤٦ ابن الاثير الكامل جـ٦ ص١٤ ، المسعودى مروج الذهب جـ٣ ص٣١٢ مجهول العيون والحدائق جـ٣ ص٢٧٣ ــ ٢٧٥ .

(٢) الخضري محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية ص٩٠ .

(٣) الدوري العصر العباسي الاول ص١٢١ .

(٤) الجهشيارى ص١٥٠ ، الفخرى ص١٣٤ ــ ١٣٥ .

للوزارة لاسباب سياسية فيقول صاحب الفخرى : (ان المهدى خاف من بني الحسن ان يحدثوا امرا لا يتدارك فطلب رجلا ممن له انس ببني الحسن ليستعين به على امرهم)[1] . فارتفعت منزلته عند المهدي للسعاية بآل علي[2] . وقيل كان للربيع بن يونس يد في اختيار يعقوب للوزارة لصداقة كانت بين الربيع وبينه ، وليتفقا على ازالة دولة ابي عبيد الله معاوية الوزير[3] .

وكان يعقوب كما يقول الجهشيارى (من اهل ادب وفهم) وافتنان في صنوف العلوم وقد سماه المهدي اخا في الله ووزيره ، واخرج بذلك توقيعات تثبت في الدواوين ، وقال في ذلك سلم الخاسر[4] :ـ

قل للامام الذي جاءت خلافته تهدى اليه بحق غير مردود
نعم المعين على التقوى اعنت به اخوك في الله يعقوب بن داود

وارتفعت منزلة يعقوب بن داود عند المهدى وعظم شأنه ، وكان يعقوب شيعيا وعلى رأى الزيدية[5] . (فاتى بهم من كل ناحية فولاهم امور الخلافة في الشرق والغرب)[6] . ولذلك قال بشار بن برد فيه :

---

(١) الفخرى ص١٤٧ .

(٢) الطبرى جـ١٠ ص٣ .

(٣) الفخرى ص١٤٧ .

(٤) الجهشيارى ص١٥٥ ، ابن خلدون العبر جـ٣ ص٤٤٧ ، ابن كثير البداية والنهاية جـ١٠ ص١٤٧ .

(٥) ابن خلدون العبر جـ٣ ص٤٤٧ ، الجهشيارى ص١٥٧ ، الفخرى ص١٤٧ ، ابن الاثير الكامل جـ٦ ص٢٣ ، الطبرى جـ١٠ ص٣ ، الذهبي العبر جـ١ص ص٤٤٧ .

(٦) الجهشيارى ص١٥٧ ، الطبرى جـ١٠ ص٣ ، ابن الاثير الكامل جـ٦ ص٢٣ ، ابن خلدون العبر جـ٣ ص٤٤٧ .

بني اميـة هبوا طـال نومكـم ان الخليفـــة يعقوب بن داود

وكثرت الاقوال في يعقوب ، واصبحت مدار شك حوله ، وبدأت ظاهرة التصادم والريبة تلوح في افق سياسة المهدى ، واقبلت السعايات ترد على المهدي ، فمن قائل له ان المشرق والمغرب في يد يعقوب واصحابه ، وقد كاتبهم وانما يكفيه ان يكتب لهم فيثوروا في يوم واحد على ميعاد ، فيأخذ الدنيا ، مما اوغر قلب المهدى عليه ، ولم يزل مواليه يحرضـونه عليـه ويوحشونه منه حتى عزم على الخلاص منه[1] .

ويقول الطبري ايضا (اظهر يعقوب مقالة الزيديـة ودنى من آل الحسن وطمع ان يكون لهم دولة فيعيش بهـا قبل توليته الوزارة)[2] . وكانت السعاية بيعقوب بسبب اتهامه بالميل الى اسحاق بن الفضل وانه يمهد له تولي الخلافة ، وافهموا المهدي ان اسـحاق يطمع في الخلافـة ، وان يعقوب يساعده ، وصادف ان طلب يعقوب من المهدى عقب ذلك ولاية مصر لاسحاق بن الفضل فتأكد للخليفة من صدق الاتهام[3] . وقد شعر الخليفة بخطره عليه وعلى الدولة ، فبدأ التصادم بينهما ، فاراد المهدي ان يمتحن يعقوب في ميله الى العلوية ، فدعا به يوما فقال له : (ولي اليك حاجة ان تضمن قضاءها فقال يعقوب : الامر لامير المؤمنين وعلى السمع والطاعة ، فقال له المهدي : استحلفني بالله وبراسي ، فحلف لاعملن بما قال ، فقال هذا فلان بن فلان من ولد علي ، واحب ان تكفيني مؤنته وتريحني منه ، وتعجل ذلك ، قال افعل ، قال فخذه اليك ، فحوله وتحولت الجارية التي

---

(١) الطبرى جـ١٠ ص٤ ، ابن الاثير الكـامل جـ٦ ص٢٣ ، مؤلف مجهول العيون والحدائق جـ٣ ص٧٧٧ .

(٢) الطبرى جـ١٠ ص٣ .

(٣) الخضري تاريخ الامم الاسلامية ص٩١ .

كانت عند المهدي وجميع ما كان في مجلسه من فرش وآلة ، وامر له بمائة الف درهم فحملت معه ، فلما استقر يعقوب في منزلـه جعل الجارية في مجلس وجعل عليها سترا واستدعى العلوي فادخله اليه وسأله عن حالـه فاخبره بها ، فوجده لبيا شهما ، فقال له ويحك يا يعقوب تلقى الله بدمـي وانا رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله ، فقال يعقوب لا والله بل اطلقك ، فاي الطريق احب اليك ، قال كذا ، قال فمن ها هنا تثق به وتأنس اليـه فقال فلان وفلان ، قال يعقوب فابعث اليهما ، وخذ هذا المال وامضي معهما مصاحبا في ســتر ، وجعل موعده والرجلين في وقت معين ومكان معين ، والجارية تسمع جميع الكلام ، فبعثت الى المهدي بالحديث مع بعض خدمه ، فوجه المهدي فشحن الطريق حتى ظفر بالعلوى وبالمال ، ثم وجه الى يعقوب فاحضره ، وسأله عن الرجل فقال يعقوب : مات ، قال : قل والله قال يعقوب والله ، فامر المهدي بان يخرج ما في هذا البيت ، ففتحه واخرج منها العلوى والرجلين والمال ، فتحير يعقوب ، وامتنع عن الكلام فقال له المهدي : لقد حل لي دمك لكن احبسوه في المطبق ، وبقى في مكانه خمس سنين حتى خلافة الرشيد ، فاخرجه وقد ذهب بصره ، وطلب يعقوب من الرشيد المقام بمكة ، واقام بها مدة يسيرة ومات بها سنة **١٨٧**هـ[١] .

وينفرد المسعودي برواية عن سبب نكبة يعقوب بقوله : (ان يعقوب كان يرى الامامة في الاكبر من ولد العباس وان غير المهدى من عمومتـه

---

(١) الجهشيارى ص١٦٠ ـ ١٦١ ، ابن الاثير الكامل جـ٦ ص٢٤ ، الفخـرى ص١٤٨ ـ ١٤٩ ، الطبرى جـ١٠ ص٥ ـ ٦ ، ابن خلكـان جـ٢ ص٣٣٢ الذهبي العبر جـ١ ص٢٤٧ ، اليافعي جـ١ ص٤١٨ ، ابن كثير جـ١٠ ص١٤٨ ، التنوخي الفرج بعد الشـدة جـ١ ص١٤١ ـ ١٤٢ ، ابن العماد جـ١ ص٢٦١ ، مجهول العيون جـ٣ ص٢٧٧ ـ ٢٧٨ .

كان احق بها)[1] • وامر المهدي بعزل اصحاب يعقوب جميعا من المناصب في الشرق والغرب وسجن جميع اهل بيته واقاربه[2] •

وهكذا كانت نكبة الوزير يعقوب بن داود لاسباب سياسية حيث اعتقد المهدي ان يعقوب يعمل على تحويل الخلافة الى خصومه من العلويين وان الادلة التي ذكرناها كافية لادانته ، واصبح وجوده خطرا على سلامة الدولة • فلما قبض المهدى على يعقوب ولى الفيض بن صالح الوزارة ، وفوض اليه الامور ، وكان سخيا كثير الافضال ، الا انه كان متكبرا متجبرا ، وبقى حتى اذا مات المهدي لم يستوزره الهادي[3] ، ومهما يكن الامر فان الوزارة في عهد المهدي قد انتظمت قواعدها وتقررت قوانينها بفضله ، وبمقدرة وزرائه في العلم ، والادارة والسياسة •

ولما توفى المهدي كان الهادي مقيما بجرجان ، فقام الربيع بامر البيعة له ببغداد الى ان قدم الهادي اليها ، فقلد الربيع بن يونس الوزارة وتدبير الامور[4] • وقد استوزره الهادي لعقله وعلمه وفصاحته ، وقيل ان الهادي غضب عليه آخر عهده فقتله ، وسبب ذلك فيما زعموا ، انه كان قد اهدى جارية حسناء الى المهدي ، فوهبها الى ابنه الهادي ، فغلبت حبها عليه ، واولدها اولاده ، فلما تولى الهادي عظمت مكانة الربيع عنده ، فضاق بذلك اعداء الربيع واخذوا يشيعون في الناس ان الخليفة طوع بنان الربيع وجاريته ، فوصلت هذه الاخبار الى الهادي ، فعزم على التخلص منه فسقاه عسلا مسموما فمات[5] •

---

(١) المسعودى مروج الذهب جـ٣ ص٢٣٦ •

(٢) الجهشيارى ص١٦٣ ، الطبرى جـ١٠ ص٧ •

(٣) الجهشيارى ص١٦٤ ، الفخرى ص١٥١ •

(٤) الجهشيارى ص١٦٧ ، الاربلي خلاصة الذهب المسبوك ص٨٢ •

(٥) المسعودي مروج الذهب جـ٣ ص٣٢٦ •

وقلد وزارتـــه الى ابراهيم بن ذكوان الحراني[1] . ولم يزل في الوزارة الى ان توفيا الهادي سنة ١٦٩هـ[2] .

وقد ظهر التصادم بصورة واضحة بين سلطة الخليفة وسلطة الوزير في الصراع الذي حدث بين الرشيد والبرامكة[3] . حيث بلغت الوزارة في عهدهم حدا كبيرا من القوة ، وبلغ الوزير درجة كبيرة من النفوذ ، عندما فوض الرشيد امره وامر الدولة الى يحيى بن خالد البرمكي ، اذ قـــال الرشيد له : « يا ابت قلدتك امر الرعية واخرجته من عنقي اليك فاحكم بما ترى واستعمل من شـــئت واعزل من رأيت فاني غير ناظر معك في شيء »[4] . كما فوض اليه الاشراف على الدواوين سوى ديوان الخاتم[5] . وجعل ولديه جعفرا والفضل مساعدين له ثم عهد اليه ديوان الخاتم سـنة ١٧١هـ فاجتمعت له الوزارتان[6] . وهذا الاجراء يوضح ما منحه الخليفة للوزير من سلطات واسعة[7] .

اما جعفر فقد اختص بمنادمة الرشيد ، ثم اشركه وابوه في ديـوان المظالم ، وقد توسعت سلطته بالاشراف على الطرز ودور الضرب مع العلم انها من اختصاصات الخليفة وحده ، كما قلده الرشيد الاشـراف عـلى البريد[8] . وهذا المنصب له خطورته لاشراف صاحبه على المكاتبات السرية

---

(١) الجهشياری ص١٦٧ ، الفخری ص١٥٤ .

(٢) نفس المصدر السابق ص١٦٧ .

(٣) The Encyclopaidia Bretanica. Part 3. P. 118.

(٤) الفخری ص١٨٨ ، الجهشياری ص١٧٧ .

(٥) الجهشياری ص١٧٧ ، ابن كثير البداية والنهاية جـ١٠ ص٦٢ .

(٦) الطبری تاريخ جـ١٠ ص٥١ .

(٧) Barthold, The Encyclopaedia of Islam. V. I. P. 1034. of Islam (Tiraz).

(٨) الجهشياری ص٢٠٤ ، Barthold The Encyclopaedia

بين الخليفة وولاته ، ويوضح الجهشيارى ما وصل اليه جعفر من المنزلة عند الرشيد فقال : (وغلب جعفر على الرشيد غلبة شديدة حتى صار لا يقدم عليه احدا)[١] .

وتحدث براون عن نفوذ البرامكة فقال : (ان البرامكة الفرس كان لهم نفوذ كبير قبل حكم الرشيد ، فخالد بن برمك من المقربين عند السفاح والمنصور ، ولما تولى الرشيد الخلافة قرب يحيى واولاده واصبحت جميع عائلته لها نفوذ في الحكم[٢] .

وهناك اسباب كثيرة لهذا التصادم الذي حدث بين سلطة الرشيد وسلطة البرامكة ، ومنها ان البرامكة استبدوا بامور الدولة واستأثروا بوظائفها واموالها ومنحوها لاتباعهم وانصارهم بحجة تنمية روح التعاون العربي الفارسي ، وتنفيذا للسياسة المزدوجة في الادارة ، والتي انتهجها بنوا العباس لايجاد كيان سياسي موحد ومتآلف ومتماسك بين عنصرى الدولة ، ولكن البرامكة هيمنوا بهذه الحجة على الاجهزة الادارية والعسكرية والسياسية في الدولة ، وافرطوا في استخدام الفرس فيها مما ادى الى رد فعل شديد لدى العرب ضدهم ، والبرامكة باسلوبهم هذا هددوا فكرة التعاون والتماسك الادارى بين عنصرى الدولة العرب والفرس[٣] .

وللدلالة على ما كان للبرامكة من نفوذ عظيم ، انهم كانوا يمنون على الرشيد بافضالهم عليه ، وقيل ان احد خاصة جعفر نصحه بان لا يطاول الخليفة بذخه وسلطانه ونفوذه خوف تغيره ونقمته فقال جعفر : (ان

---

(١) الجهشيارى ص١٨٩ .

(٢) Brown, History of Peraia Literature. P. 257.

(٣) الدورى الجذور التاريخية للشعوبية ص٤٦ ـ ٤٧ .

الرشيد اعجز من ان يقوم بما يسيء الينا وانه والله ما اكل الخبز الا بنا وان دولته لم تقم الا على اكتافنا)[1] وقال في موضع آخر (ما كفاه اننا اقمنا ملكه ومهدنا امره حتى صار يحسدنا على ما اتانا الله من النعمة فو الله لئن لم يرجع عن غيه ليكونن ذلك وبالا سريعا عليه)[2] .

وقد روى اوثق المؤرخين قصة جعفر البرمكي مع عبدالملك بن صالح العباسي ، والتي تدل على ما وصل اليه البرامكة من النفوذ والمكانة والمنزلة تكاد تكون اقرب الى الخيال منها الى الواقع[3] .

ويرى بعض المؤرخين ان سبب التصادم بين الرشيد والبرامكة يعود لميول البرامكة السياسية وخطورتها على الدولة ، فقد اتهمهم الرشيد بالخيانة العظمى ، وذلك لميلهم الى اعدائه من العلويين ، فقد كلف الرشيد جعفر البرمكي بقتل يحيى بن عبدالله العلوى فتحرج جعفر واطلقه ، وسعى الى الرشيد بجعفر ، فقال له الرشيد : ما فعلت بالطالبي قال : هو في الحبس ، قال الرشيد : بحياتي ؟ ففطن جعفر فقال : لا وحياتك ، ولكني اطلقته لاني علمت ان ليس عنده مكروه[4] .

فكان هذا العمل تهديدا خطيرا للخليفة ويؤيد الطبرى ذلك بقوله : (من قال ان الرشيد قتل جعفر بن يحيى بغير سبب يحيى بن عبدالله العلوى

---

(١) المسعودي مروج الذهب جـ٦ ص٤٠٧ .

(٣) الاتليدى اعلام الناس ص١٦٨ ـ ١٦٩ ، المدور حضارة الاسلام ص ٢٩٦ .

(٣) الجهشيارى ص٢١٢ ـ ٢١٤ ، الفخرى ص١٨١ ـ ١٨٢ ، ابن خلكان الوفيات جـ١ ص١٠٦ .

(٤) الفخرى ص١٩ ، الطبري جـ١٠ ص٨٠ ، ابو الفدا جـ٢ ص١٧ ، ابن دكين ورقة ١٧٤و ، ابن خلكان جـ١ ص١٠٧، ابن العماد جـ١ ص٣١٢ .

فلا تصدقه)[١] • وقد كان يحيى بن عبدالله العلوي قد خرج على الرشيد ، ثم طلب جعفر له الامان فاجابه ، ثم سجنه الرشيد واطلقه جعفر سرا ، ثم اعترف للرشيد باطلاقه ، ولما غادر جعفر مجلس الرشيد قال الخليفة : (قتلني الله بسيف الهدى على عمل الظلالة ان لم اقتلك)[٢] •

ويقول الجهشيارى ان الرشيد اتهم يحيى البرمكي بميله الى يحيى العلوي وانه امده بمئتين الف دينار ابان ثورته في بلاد الديلم[٣] •

وقد اعترف يحيى البرمكي للرشيد بانه فعل ذلك لكي يقوى امر العلوى فيذهب اليه احد اولاده فيطفىء فتنته فتعظم مكانته عند الخليفة ، فقال له الرشيد وما يؤمنك ان تقوى شوكته فيقتل ابنك الفضل ويقتلني وفعل يحيى مثل ذلك مع احمد بن عيسى بن زيد العلوي ، فارسل له سبعين الف دينار في البصرة ليقوم بنفس الدور الذي قام به يحيى العلوى[٤] •

وبهذا عمل البرامكة على تشجيع الخارجين على الرشيد وعلى الدولة العباسية ، وتأييدهم ماديا وادبيا ، فيذكر الطبري (ان الرشيد اتهم عبدالملك ابن صالح العباسي بانه يطلب الخلافة لنفسه[٥] •

كما يقول ابن الاثير (لم تزل حالهم ـ البرامكة ـ سهلة حتى قبض الرشيد على عبدالملك بن صالح فشملهم بسخطه وجدد لهم التهمة عند

---

(١) الطبرى تاريخ جـ١٠ ص٨٠ •
(٢) الطبرى جـ١٠ ص٨٠ ـ ٨١ ، ابن تغرى بردى جـ٢ ص١١٥ •
(٣) الجهشيارى ص٢٤٣ ، مؤلف مجهول العيون والحدائق ص٣٠٧ •
(٤) الجهشيارى ص٢٤٣ •
(٥) الطبرى جـ١٠ ص٨٩ ، ابن الاثير الكامل جـ٦ ص٧٢ ، ابن كثير جـ١٠ ص١١٣ ، العصامي سمط النجوم العوالي ص٢٨٢ •

الرشيد[1] .

ويشير ابن الاثير أيضا الى خطر موسى البرمكي بقوله : (ان موسى ابن يحيى البرمكي كان متهما بتحريض أهل خراسان على نبذ الطاعة)[2] ويرى فيليب حتي ان الرشيد لما رأى ان عائلة البرامكة بدأت تقرب الشيعة من الفرس في المناصب وأصبحت لهم قوة فنكبهم[3] .

وقد عبر الرشيد عن مخاوفه من البرامكة بقوله : (اني خائف ان تمكن هؤلاء من خراسان ان يخرج الامر من يدي)[4] . ويؤيد ابن كثير هذا الرأي فيقول : (نكبهم لانهم (البرامكة) ارادوا ابطال الخلافة)[5] .

ويرى الاصفهاني ان البرامكة أرادوا الايقاع بين العباسيين وبين بني عمومتهم العلويين فيقول (ان السبب في اخذ موسى بن جعفر وحبسه ان الرشيد جعل ابنه محمد الامين في حضن جعفر بن محمد بن الاشعث فحسده يحيى بن خالد البرمكي ، وقال : ان افضت الخلافة اليه زالت دولتي ودولة ولدي ، فاحتال على جعفر بن محمد بن الاشعث ، وكان يقول بالامامة حتى داخله وانس به واسر اليه فرفعه الى الرشيد ، وقال ان الاموال تحمل اليه من الشرق والغرب ، وان له بيوت تحمل اليه ، وانه اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار سماها (اليسيرة) فسمع منه الرشيد ذلك فاخذه وحبسه حتى مات سنة ١٨٣هـ[6] .

---

(١) ابن الاثير الكامل ج ٦ ص ٧١ ، الطبري ج ١٠ ص ٩١ .
(٢) ابن الاثير الكامل ج ٦ ص ٧٠ .
(٣) فيليب حتى تاريخ العرب ص٢١٦ .
(٤) طنطاوي جوهري براة العباسة ص ٦٧ .
(٥) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٨٩ .
(٦) الاصفهاني مقاتل الطالبيين ص ٥٠١ .

اتهم البعض البرامكة بالزندقة والمجوسية فيذكر الدميري : (ان البرامكة أرادت اظهار الزندقة وفساد الملك فاوقع بهم الرشيد فقتلهم)[١] ويؤيد هذا القول الاربلي (وقيل أرادت البرامكة افساد الملك فقتلهم الرشيد لذلك)[٢] ويقول ابن النديم (ان البرامكة باسرها الا محمد بن خالد بن برمك كانت زنادقة ، وقيل في الفضل واخيه)[٣] .

ويذكر عبدالقاهر البغدادي (كان البرامكة قد زينوا للرشيد ان يتخذ في جوف الكعبة (مجمرة)[٤] يتبخر عليها العود ، فعلم الرشيد انهم أرادوا من ذلك عبادة النار في الكعبة ، وان تصير الكعبة بيت نار فكان ذلك أحد أسباب قبض الرشيد على البرامكة)[٥] وقال الذهبي (كان جعفر البرمكي يتهم بالمجوسية)[٦] ويقول براون ان حادثة ايوان كسرى ومحاولة يحيى البرمكي تأجيل النوروز لمدة شهرين ليدلان على ان البرامكة كانوا لا يزالون يضمرون المجوسية[٧] .

وقد صور بعض الشعراء ميول البرامكة الشعوبية واعتناقهم الزندقة في هذين البيتين[٨] :ـ

---

(١) الدميري حياة الحيوان الكبرى ج ٢ ص ١٣٢ ، القرماني اخبار الدول واثار الاول ص ١٥١ .

(٢) الاربلي التبر المسبوك ص ١٠٦ .

(٣) ابن النديم الفهرست ص ٤٨٧ .

(٤) المجمرة : وهي كالموقد عندنا يوضع فيه البخور .

(٥) عبدالقاهر البغدادي الفرق بين الفرق ص ٢٧٠ ، الجهشياري ص ٢٥٤ .

(٦) الذهبي العبر في خبر من غبر ج ١ ص ٢٤٦ .

(٧) Brown, History of Persia Literature. P. 259.

(٨) الجاحظ البيان والتبيين ج ٣ ص ٢٠٩ ، الجهشياري ص ٢٠٦ ، ابن قتيبة عيون الاخبار ج ١ ص ٥١ ، المعارف ص ١٩٤ .

اذا ذكر الشرك في مجلس   اضاءت وجـوه بني برمك

ولو تليـت عليهـم آية   اتوا بالاحاديث عـن مزدك

فقرب البرامكة الشعراء ، واجزلوا لهم العطاء والهبات ليمدحوهم ، وكانوا جميعا من الفرس ، ومن الذين يوصفون بالزندقة والالحاد والتهتك والخلاعة لافساد الدين والقيم الاخلاقية والمثل العليا ، ولافساد المجتمع ، فنجد مثلا الشاعر بشار بن برد ، وهو مولى فارسي يهزأ بالاسلام وينكر البعث والحساب ، ويفتن بشعره الى حد انه سمع جارية تغني به فيعجب ويقول : هذا والله احسن من سورة الحشر[1] .

ولعل استبداد البرامكة بالدولة العباسية ، واتساع نفوذهم ، وسيطرتهم على الخلافة كان عاملا حاسما في القضاء عليهم ، فيقول ابن خلدون : (انما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة)[2] . وتوغل نفوذهم في أعماق الدولة حتى قيل فيهم : (ان في دولة الرشيد دولة أخرى ملوكها البرامكة)[3] ويؤيد صاحب الفخري ذلك بقوله : (ان جعفرا والفضل ابني يحيى ظهر منهما الادلال ما لا تحتمله نفوس الملك فنكبهم بذلك)[4] وذكر الجهشياري (قصة رواها بختيشوع بن جبريل عن ابيه فقال : كنت جالسا عند الرشيد ارتفعت ضجة شديدة فقال الرشيد : ما هذا ؟ فقيل يحيى بن خالد ينظر في أمور المتظلمين فقال : فعل الله به وفعل ـ يذمه ويسبه ـ استبد بالامور دوني وامضاها على غير رأي وعمل بما احبه دون

---

(١) محمد عبدالغني صراع العرب خلال العصور ص ٢٨ .

(٢) ابن خلدون المقدمة ج ١ ص ١٤ .

(٣) الاصفهاني الاغاني ج ٤ ص ٣٩ .

(٤) الفخري ص ١٨٨ ، ابن خلكان ج ١ ص ١٠٦ ، ابن عبد ربه ج ٥ ص ٧٣ .

محبتي)[1] . وأصبحت الخلافة على الحقيقة ليحيى وأولاده وليس للرشيد منها الا اسمها . ويقول ابن الوردي : (وعظم شأنهم واشتهر امرهم واحبهم الناس ، والملوك لا تصبر على مثل ذلك)[2] .

ويرى كرد علي : ان الفرس كانوا يحاولون منذ القرن الاول الهجري ان يعيدوا الملك فيهم فارسيا ويخرجوه عن صبغته العربية[3] . ويرى كوك ان سلطان البرامكة كان يعلو ، ويماثل سلطان الخليفة[4] . ويرى فيليب حتي ان البرامكة وصلوا من القوة الى حد لم يطقه هارون ذو الادارة القوية فلم يعجبه ان يرى كبشين في قطيع واحد[5] .

وبفضل هذه السياسة التي اتبعها البرامكة تزاحمت على ابوابهم المواكب وأصبحت قصورهم كعبة المحتاجين والطامحين الى المناصب وبقيت ساحات أبواب قصر الخلد خالية الا من مواكب الزوار من حاشية الرشيد في فترات متقطعة[6] . وقد اورد بعض المؤرخين رواية مفادها ان جعفر البرمكي روى عن ابي مسلم الخراساني دوره في نقل الخلافة من الامويين الى العباسيين اذ قال : ان أبا مسلم نقل الدولة من قوم الى قوم بالقتل وسفك الدماء ، وانما الرجل من ينقل من غير سفك دم . وقد نقل ذلك الى الرشيد ، فنكب جعفرا وسائر أفراد اسرته لانهم شركاؤه في تدبير هذه المكيدة السياسية[7] . ويوضح اليعقوبي ما وصل اليه البرامكة من النفوذ

---

(١) الجهشياري ص ٢٢٦ .
(٢) ابن الوردي تاريخ ص ٢٠٧ ، ابن خلكان وفيات ج ١ ص ١٥٨ .
(٣) كرد علي الاسلام والحضارة العربية ج ٢ ص ٢١٣ .
(٤) رتشارد كوك بغداد مدينة السلام ص ٦٨ — ٧٣ .
(٥) فيليب حتي تاريخ العرب ص ٢٦٤ .
(٦) المسعودي مروج الذهب ج ٦ ص ٢٠٧ .
(٧) جرجي زيدان التمدن الاسلامي ج ٤ ص ١٥١ .

والسلطان بقوله : (ما كان ـ الرشيد ـ معهم ـ البرامكة ـ امر ولا نهي)[1] .

والواقع ان البرامكة كانوا يعدون العدة للانقضاض على الحكم في خلافة الرشيد ، فقد اعدوا الجيوش الكبيرة من الفرس في خراسان وغيرها، وكونوا فرقا كبيرة سموها (العباسية) وكان قوادها من العجم ، ودون أسماء الجند في سجلات خاصة ، واجرى عليهم أرزاق دائمة من بيت مال المسلمين ، وجعل ولائهم جميعا لآل برمك دون غيرهم ، وقال مروان بن أبي حفصه يصفهم ويمتدح البرامكة[2] :ـ

ما الفضل الا شهاب لا افول لـه ... عند الحروب اذا ما تأفل الشهب
حام على ملك قوم غرسهـم ... من الوراثة في ايديهـم سبب
كتائب بني العباس قـد عرفت ... ما الف الفضل منها العجم والعرب
اثبت خمس مئين في عدادهم ... من الالوف التي احصت لها الكتب

ويعتبر هذا العمل من الامور الخطيرة لتهديد الخليفة نفسه ، حيث اوجس الرشيد ريبه من ذلك لضخامة العدد ، ولعدم اخذ رأي الرشيد فيه ، فعجل الرشيد بعودة الفضل من خراسان ، ولما وصل بغداد كان معه فرقة قوامها عشرون ألف جندي من الاعاجم وليس فيهم عربي واحد[3] وقد ابقى البرامكة هذه الفرقة العسكرية في قلب بغداد ، فهيأوا لها مربضا واسعا بجانبهم في معسكر الرصافة ، وانزلوها فيه فعرفت عند البغداديين

---

(١) اليعقوبي تاريخ ج ٣ ص ١٥٩ .

(٢) الطبري ج ١٠ ص ٦٣ ، ابن كثير البداية والنهـاية ج ١٠ ص ١٧٢ .

(٣) الجومرد هرون الرشيد ج ٢ ص ٤٧٢ ـ ٤٧٣ .

بأسم (الكرمينية)[1] .

ويعلق الجومرد على ذلك بقوله : والذي يمعن النظر في هذه الخطة المدبرة يجد ان انقلابا عسكريا مسلحا وضع مصير الرشيد والخلافة العباسية في قبضة البرامكة ، اذ لم يبق بين سيادة العنصر العربي ، وبين خضوعه لحكم الفرس الا غضبة برمكية ، فيعتقل الجيش شخص الرشيد ، ثم يزحف جيش (العباسية) من خراسان لضم باقي أقاليم الدولة اليه . هذا اذا أراد آل برمك اعادتها فارسية محضة ، وما ذلك على طموح جعفر بن يحيى البرمكي ببعيد[2] .

ولعل سيطرة البرامكة على الاموال وانفاقها حسب رغباتهم واهوائهم كان سببا من أسباب التصادم ، وبالتالي عاملا من عوامل نكبتهم ، وقد اشرنا اليها مفصلا في موضوع (استئثار الوزراء بالسلطة والاموال) .

وقد أورد الجهشياري الحوار الذي دار بين الرشيد ويحيى البرمكي بعد ان سجنه الرشيد حيث قال الرشيد ليحيى (انت تعلم موقع عيالي مني ، فطلبت منك وأنا بالبصرة ألف ألف درهم ، وقد كان قد ورد من مال فارس ستة آلاف ألف درهم ، فقلت لي : ان اخذت منها درهما واحدا لهذا الشان ذهبت هيبتك ، فامسكت ، فاخذت أنت ألف ألف وخمس مئة ألف درهم منها ، ففرقتها في عمالك ، فاحتلت أبا بقرض تولاه يونس ، ما فرقته فيهم انت)[3] .

ومن عوامل التصادم أيضا ما قام به المعارضون لسياسة البرامكة من تنبيه الرشيد الى خطرهم ، واخص منهم بالذكر الربيع بن يونس وغيره ،

---

(١) الطبري تاريخ ج ٣ ص ٤٦٣ .

(٢) الجومرد هارون الرشيد ج ٢ ص ٤٧٥ .

(٣) الجهشياري ص ٢٤٤ ، الطبري تاريخ ج ١٠ ص ٨٠ .

وقد اوضح ابن خلدون هذه السياسة بقوله : (وكان ذلك بسبب نبوغ البرامكة وبعد صيتهم ، كشفت لهم وجوه المنافسة والحقد ، ودب الى مهادهم الوثير عقارب السعاية ، وقد تولى عظم هذا الامر الفضل بن الربيع واشياعه الذين كانوا يختفون خلف هذه الاسباب ، فيعظمون صغيرها ويبرزون خفيها لدى ولي الامر)[1] .

وذكر لطبري ان محمد بن الليث رفع رسالة الى الرشيد يعظه فيها ويخاطبه بقوله : (ان يحيى بن خالد لا يغنى عن الله شيئا وقد جعلته فيما بينك وبين الله فكيف أنت اذا وقفت بين يديه ، فسألك عما عملت في عباده وبلاده ، فقلت يا رب اني استكفيت يحيى امور عبادك اتراك تحتج بحجه يرضى بها ، مع كلام فيه توبيخ وتقريع)[2] فاستيقظ الرشيد من غفوته وشعر بخطأ سياسته وبانه مسؤول أمام الله والامة عما يفعله البرامكة .

كما رفعت الى الرشيد رقعة لم يعرف صاحبها مكتوب عليها ، وقيل هي لابي العتاهية[3] :ـ

قل لامين الله في ارضه	ومن اليه الحل والعقد
هذا بن يحيى قد غدا مالكا	مثلك ما بينكما حد
امرك مردود الى امره	وامره ليس له رد
ونحن نخشى انه وارث	ملكك ان غيبك اللحد
ولن يباهي العبد اربابه	الا اذا ما بطر العبد

وكان أهل الادب يجتمعون عند الرشيد فيسامرهم ، وكان فيمن يحضر انسان معروف بالادب يقال له أبو العود ، فأمر الرشيد يحيى

---

(١) ابن خلدون المقدمة ج ١ ص ٤٦١ ـ ٤٦٢ .

(٢) الطبري ج ١٠ ص ٨٠ ، أحمد الرفاعي عصر المأمون ج ١ ص ١٥٥ .

(٣) ابن العماد ج ١ ص ٣١٢ ، القرماني اخبار الدول ص ١٥١ .

البرمكي بان يعطيه ثلاثين ألف درهم ، وأخذ يحيى يماطله بالمال ، فاقبل يحتال ان يجد وقتا يحرض الرشيد فيه على البرامكة ، وقد شاع في الناس ما كان يهم الرشيد في امرهم ، فدخل عليه ليلة فتحدثوا ، فلم يزل أبو العود يحتال للحديث حتى وصله بقول عمر بن ابي ربيعة :ـ

وعدت هند وما كانت تعد ليت هندا انجزتنا ما تعد

واستبدت مرة واحـــدة انما العاجز من لا يستبد

فقال الرشيد : اجل والله انما العاجز من لا يستبد ، وجد الرشيد في أمرهم حتى وثب عليهم وازال نعمتهم[1] ٠

وقد كان رد فعل هذه العوامل السالفة الذكر ان اقدم الرشيد على انتزاع السلطة من البرامكة بصورة تدريجية فعمل على سلب سلطة الفضل سنة ١٨٣هـ ٠ ولم يرض عليه الا بعد توسط أم الفضل ـ وكانت قـد ارضعت الرشيد ـ ولكنه لم يرد اليه شيئا من اعماله[2] ٠ كما كان قد اخذ الخاتم من الفضل ودفعه الى الفضل بن الربيع بعد وفاة امه الخيزران ٠ وبلغ به التذمر من يحيى البرمكي بانمنع الخدم من القيام له ، وربما استسقى شربة ماء أو غيره فلا يسقونه[3] ٠ كما صرف الرشيد محمد بن خـــالد بن برمك عن حجابته ، وقلدهـــا الى عدوهم الاول الفضل بن الربيع[4] ٠ ثم اخذ قيادة الحرس من جعفر وقلدها لهرثمة ابن اعين[5] ٠

---

(١) الطبري تاريخ ج ١١ ص ١١ ، ابن الاثير الكامل ج ٧ ص ٤ ، ابن كثير البداية والنهاية ج ١٠ ص ٣٠١ ٠

(٢) الجهشياري ص ٢٢٧ ٠

(٣) الطبري ج ١٠ ص ٨٠ ، ابن خلكان ج ١ ص ١٠٨ ، ابن دكين روضة الاعيان (مخطوط) ورقة ١٧٤ و ظ ٠

(٤) الجهشياري ص ٢٣٣ ٠

(٥) الجهشياري ص ٢٠٧ ٠

اخذت مظاهر النفور والسخط تنهال على البرامكة من الرشيد ، فيروى الجهشياري عن ابن بختيشوع طبيبه قال (بينما كنت عند الرشيد اذ ارتفعت ضجة فقال الرشيد ما هذا ؟ فقيل يحيى بن خالد ينظر في المظالم فقال : فعل الله به وفعل استبد بالامور دوني وامضاها على غير رأي ، وعمل بما احبه دون محبتي)[1] .

وقد روى الطبري عن بختيشوع بن جبريل عن ابيه انه قال : (اني لقاعد في مجلس الرشيد اذ طلع يحيى بن خالد وكان فيما مضى يدخل بلا اذن ، فلما دخل وصار بالقرب من الرشيد ، وسلم رد عليه الرشيد ردا ضعيفا فعلم يحيى ان امرهم قد تغير ، قال : ثم اقبل على الرشيد فقال : يا جبريل يدخل عليك وانت في منزلك أحد بلا اذنك فقلت لا ، ولا يطمع في ذلك قال : فما بالنا يدخل علينا بلا اذن)[2] .

وعزل الرشيد جعفر بن يحيى عن ولاية مصر ، وتوليته اياها اسحاق ابن سليمان[3] .

وكانت السيدة زبيدة زوجة الرشيد تعتقد ان جعفرا سيكون سببا في الايقاع بين الاخوين الامين والمأمون ، اذا ما حانت منية الرشيد لذلك كانت تنبه الرشيد الى خطره ، وتوغر قلبه على جعفر كلمـــا حانت لها الفرصة[4] . وكان الفضل بن الربيع يساعدها في ايغار قلب الرشيد على البرامكة فيقول ابن خلكان : (وسعى الفضل بن الربيع بهم (البرامكة) وتمكن بالمجالسة مع الرشيد ، فاوغر قلبه عليهم ومالاءه على ذلك كاتبهم اسماعيل بن صبيح .

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

(٢) الطبري تاريخ ج ١٠ ص ٧٩ .

(٣) نفس المصدر السابق ج ١٠ ص ٦٢ .

(٤) الخضري تاريخ الامم الاسلامية ص ١٢٥ .

وكان الفضل يراقب حركاتهم فلما اطلق جعفر البرمكي يحيى بن عبدالله العلوي اخبر الرشيد بذلك فغضب غضبا شديدا ، واسرها له منذ ذلك الحين ، ولما اجتمعت هذه الاسباب فتك بهم سنة ١٨٧هـ[١] .

وبدأ الرشيد يخطط لنكبة البرامكة ، فاستخار الله في امر جعفر ، فقد روى الجاحظ في التاج عن مسرور الخادم انه قال : (اشهد بالله لكنت مع الرشيد وهو متعلق باستار الكعبة بحيث يمس ثوبي ثوبه ، وهو يقول في مناجاة ربه ، اللهم اني استخيرك في قتل جعفر بن يحيى ، ثم قتله بعد ذلك بخمس سنين أو ست)[٢] وروى اسماعيل بن صبيح ان الرشيد قال له يوما : اني اريد ان اوقع بالبرامكة ايقاعا ما اوقعه باحد ، واجعلهم احدوثة ونكالا الى آخر الابد . فقال له : وأنا مرتعب ، وفقك الله يا أمير المؤمنين وارشدك . فقال الرشيد : اذهب الآن في سبيلك . وكان هذا الحوار قبل وقوع النكبة بعامين أي سنة ١٨٥هـ[٣] .

وروى السندي ابن شاهنك ان الرشيد قال له هامسا : اذا كان بعد سنة من يومك هذا فوكل بدور البرامكة واسبابهم سرا ، ولا يشعر بذلك احدا[٤] .

من هذا يتبين لنا ان الرشيد كان يعد خطة مرسومة ومحكمة للايقاع بالبرامكة ، لا كما يزعم خصومه بانه نكب وزراءه فجأة لمجرد غضبة أو لوقوع حدث من الاحداث مما اثاره فاوقع بهم .

وما هذه النكبة في الواقع الا مظهرا من مظاهر الصدام العنيف بين

---

(١) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ١ ص ٤١٢ .

(٢) الجاحظ التاج في اخلاق الملوك ص ٦٦ .

(٣) اليعقوبي تاريخ ج ٣ ص ١٥٢ .

(٤) الجهشياري ص ٢٣٦ .

سلطة الخليفة وسلطة الوزير • وأدى سقوط البرامكة الى زيادة حدة الخصومة بين العرب والفرس حيث ظهرت بصورة واضحة وعنيفة خلال الصراع بين الامين والمأمون ، فأخذت العناصر الفارسية بعد تجمعها على اثر النكبة تنشر الاشاعات المغرضة والاباطيل الكاذبة للنيل من الخلافة العباسية ووصفها بالضعف والانحلال ، وباختلاق القصص الخيالية والملفقة للطعن في الشرف العباسي كقصة العباسة لاشفاء غليلهم[1] • نكاية بالعرب وانتقاما من الرشيد • فالجهشياري الذي يعتبر من اوثق المؤرخين ، يفند القصة فيقول : « ان عبيدالله بن يحيى بن خاقان سال مسرور في أيام المتوكل عن سبب قتل الرشيد لجعفر وايقاعه بالبرامكة فقال : (كانك تريد ما تريده العامة وتردده في ما دعوه من امر المرأة فقلت له : ما اردت غيره فقال : لا والله ما لشيىء من هذا اصل)[2] •

وتذكر سورديل : انه بعد التحقيق ظهر ان قصة العباسة حكاية شعبية أو أسطورة خيالية حاكها ونسجها الفرس بعد النكبة مباشرة ، ومن اناس عاديين ، ولو انها قصة عاطفية بدليل ليس هنا بين أيدينا ما يدعمها من الرسائل الثبوتية ، كوثائق العقد وشهادة الشهود ، والتي هي من مستلزمات العقد الشرعي ، ولكن الحقائق تظهر لنا ان الرشيد كان ضد جعفر ، وكان سببه هو الصدام السياسي في أمور الدولة[3] •

ويرى بارتولد : ان أسباب نكبة البرامكة لا زالت غامضة لدى المؤرخين المحدثين[4] •

---

(١) الدوري العصر العباسي الاول ص ١٧٥ ــ ١٧٦ •

(٢) الجهشياري ص ٢٠٤ •

(٣) Sourdel, Le, Vizirat Abbaside. P. 167.

(٤) Barthold, The Encyclojaedia oflslam. V. I P. 1039.

ويرى البا حسين ان : فترة حكم البرامكة ما هي الا سلسلة من حركات فارسية كانت غايتها التطويح بحكم العرب الاسلامي بعد ما شعر الفرس ان الاسلام هو سر النجاح ، فأرادوا اعادة المجد الفارسي المجوسي الذي ذهب الى غير رجعة ، وكادوا للاسلام كيدا ولكن لم يفلحوا[١] .

ويرى بارتولد أيضا : ان سقوط البرامكة كان صدمة عنيفة للفرس ، كما أدى سكوت الرشيد عن ذكر أسباب النكبة ، الى أن لجأ العامة الى خلق بعض الاسباب الواهية مثل اسطورة العباسة التي حبكوها لتبرير ذلك الانهيار[٢] .

ان سقوط البرامكة ادهش الناس وتعللوا بأسباب مختلفة لسقوطهم منها حكاية العباسة غير الموثوقة ، وان أسباب سقوطهم الحقيقي لا يزال سرا للمؤرخين المحدثين .

ويظهر ان تمادي البرامكة في اتهام الموظفين الذين لم يجارهم كان قد ازعج الناس ، وأدى هذا الى عدم التوافق بين الخليفة ومستشاريه لانهم كانوا يعارضون الرشيد في رأيه ويسيرون الامور على عكس مشيئته[٣] .

وينفي احد الكتاب قصة العباسة ويقول : (لو جاز لنا قبول رواية تزويج العباسة بجعفر من قبل الرشيد ، فلابد من سند أو وثيقة رسمية مدونة وشهود لان من الشروط الشرعية لعقد الزواج التدوين والشهود من القضاة والعباسين وكبار القوم وغيرهم حتى يكتسب العقد شروط الاعلام[٤] .

---

(١) علي بن عبدالرحمن البا حسين البرامكة ص ٨٧ .

(٢) Barthold, The Encyclopaedia of Islam. V. I. P. 1034.

(٣) Barthold, V. I. P. 1034.

(٤) عبدالله الفياض تاريخ البرامكة ص ١٨ ، علي ابراهيم حسن نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب ص ٨٧ .

ويرى براون : ان حكم البرامكة أدى الى ازدهـــار حضارة بني العباس وان سبب نكبتهم ملل وحسد الحاشية[١] . ويمتـــدح نيكلسون البرامكة لكرمهم واهتمامهم بالادب والشعر بينمـــا يذم الرشيد بتعديه عليهم[٢] .

اما العباسة فقد كانت متزوجة محصنة ، ولكنها منكوبة منكودة الحظ في زواجها وحياتها الخاصة[٣] فقد تزوجت في عهد ابيها بالامير محمد بن سليمان الهاشمي والي البصرة فتوفي عنها[٤] . ثم تزوجت ثانية بوالي مصر ابراهيم بن صالح الهاشمي فمات هو أيضا[٥] . وقيل تزوجت بأمير ثالث ورابع فماتوا كلهم عنها فشاع شؤمها بين الناس وقالوا (من أراد الموت فليتزوج عباسه)[٦] .

فكيف تشهد هذه الارملة البائسة مجالس الانس والسمر مع الرشيد وجعفر وتمرح معهما[٧] ؟

ونحن ننفي هذه الرواية ونرى انها من نسج خيال الفرس على أثر نكبة البرامكة ، فليس من المنطق ان الرشيد وهو خليفة المسلمين وذلك التقي الورع يسمح بمنادمة اخته بحضور جعفـــر في مجلس شرابه مع ما نعرفه من نسب العباسه وحسبها ودينها[٨] . وهي كما يقول ابن خلدون

---

(١) Brown, History of Persia Literature. P. 257.

(٢) Nichilson, A Literary History of the ARabs. P. 261.

(٣) الجومرد هارون الرشيد ج ٢ ص ٤٦٣ .

(٤) الطبري ج ٣ ص ٥٤٦ ، ابن قتيبة المعارف ص ١٣٠ .

(٥) ابن تغري بردى النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٨٤ .

(٦) الجومرد هارون الرشيد ج ٢ ص ٤٦٣ .

(٧) نفس المصدر السابق .

(٨) حسن ابراهيم حسن تاريخ الاسلام السياسي ج ٢ ص ٩٦ .

(قريب عهد ببداوه العروبة وسذاجة الدين البعيـــدة عن عوائد الترف ومواقع الفواحش فاين يطلب الصون والعفاف اذا ذهب عنها ، أو اين توجد الطهارة والذكاء اذا فقد من بيتها ، أو كيف تلحم نسبها بجعفر ابن يحيى وتدنس شرفها العـــربي بمولى من موالي العجم ... وكيف يسوغ من الرشيد ان يصهر الى موالي الاعاجم على بعد همته وعظـم ابائه ... وابن قدر العباسة والرشيد منه)[1] وكيف يمكن للعباسه ان تحمل وتخفي حملها عن عين الرشيد مع ان الروايات التاريخية تذكر ان الرشيد كان لا يصبر على فراق العباسه وجعفر ، فكيف يصبر على فراقها شهور الحمل . ويصف كرد علي قصة العباسة بالمبالغة وان هدفها الطعن في شرف البيت العباسي[2] . ويرى الجومرد ان القصة من صنع عامة أهل بغداد حين خفيت عليهم أسباب النكبة وربما كانت أسباب النكبة وربما كانت أبواق دعاة البرامكة الذين كانوا لا يكفون عن التمجيد بهم ، والطعن بخصومهم لان النكبة شملتهم أيضا لحرمانهم من الاموال والمناصب بعد نكبتهم . ويستطرد قائلا : ولا ننسى ان العامة تألف الحكايات العاطفية والطاعنة بالشرف اذا كانت موجهة ضد كل ذي جاه وسلطان ، في حين ان الطبقة العامة كانت تانف الزواج بالاعاجم ، ولو أراد الرشيد ان يزوجها فكيف يزوجها على هذا الشرط الوضيع ، وكيف يتبع هـــذه الاساليب الخفية في تزويج اخته دون ان يكون لهذا الزواج مراسيم تليق بمكانة العروسين ، ودون ان يعلم احد بذلك)[3] . ويرى البا حسين أيضا ان قصة العباسة ليست سببا لنكبة البرامكة وانما هي نتيجة لنكبتهم اذ انبرى الكتاب الفرس يشنون حملة شعراء على العرب ، وسطروا الاساطير التي

---

(١) ابن خلدون المقدمة ص ٤٦٤ .

(٢) كرد علي الادارة الاسلامية في عز العرب ص ١٤٠ .

(٣) الجومرد هارون الرشيد ج ٢ ص ٤٦٣ ـ ٤٦٤ .

تحط من شأنهم ، ومنها قصة العباسة ، فهذه القصة تكون جانبا من حركة واسعة النطاق تسمى بالتاريخ (الحركة الشعوبية)[1] والتي اتخــذت وسائل مختلفة ضد العرب سواء في الادب والتاريخ وحتى في الاحاديث ،

---

(١) الحركة الشعوبية :ــ هي حركة عنصرية سياسية دينية ظاهرها المطالبة بنزعة المساواة معتمدة على آيات من القرآن مثل (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) القرآن ٤٩ : ١٣ وعلى أحاديث نبوية مثل (ليس لعربي على اعجمي فضل الا بالتقوى) ، وباطنها ازالة السلطان العربي والدين الاسلامي واعادة مجد الامبراطورية الفارسية ودينها المجوسي .

بدأت الحركة الشعوبية في أواخر العصر الاموي واندفعت بقوة في العصر العباسي بدافع عنصري اوضحه الدوري بقوله (انها تمثل جانبا من محاولات شعوب غير عربية لضرب السلطان العربي عن طريق الفكــرة والعقيدة الذي انكشف في الصراع الديني والثقــافي الواسع) (الدوري الجذور التأريخية للشعوبية ص ٩) وقد نشطت الشعوبية في العراق في العصر العباسي باعتباره مقر الخلافة العباسية ، واتخذت اتجاهات متعددة منها سياسية حيث دعوا الى ازالة السلطان العربي واحياء المجد الفارسي (المقريزي الخطط ج ٤ ص ١٩٠ ــ ١٩١ ، ابن الجــوزي المنتظم ج ٥ ص ١١٠ ــ ١١١) حيث بشر سنباذ بنهاية السلطان العربي واعلن عن عزمه على الذهاب الى الحجاز وهدم الكعبــة (الدوري العصر العباسي ص ٨٦) ومنها دينية عندما دعت الشعوبية الى المجوسية ومحاربة الاسلام الذي هو دين العرب فاعلن اسحاق الترك (انه نبي انفذه زورادشت) و (انه يخرج حتى يقيم الدين لهم) (الفهرست ابن النديم ص ٤٨٣) ويقول البيروني عن المقنع (انه شرع لاتباعه جميــع ما اتى به مزدك) (الاثار الباقية ص ٢١١) وذكر المسعودي ان زوجة جاويدان سلف بابك الخرمي (ان بابك سوف يرد المزدكية) (مروج الذهب ج ٤ ص ٩) ويرى المقريزي (ان حركة بابك والثورات الدينية الايرانية كانت مدفوعة بالحقد على الاسلام وانها ترمي الى (كيد الاسلام بالمحاربة) (الخطط ج ١ ص ١٩٠ ــ ١٩١) ويقول المسعودي : ان المازيار اقر على الأفشين انــه بعثه على الخروج والعصيان لمذهب كانوا قد اجمعوا عليه ودين اتفقوا عليه من مذاهب التنويه والمجوس) (مروج الذهب جـ٤ ص١٦) وجـاء في =

اذ اختلقوا أحاديث نسبوها للرسول للحط من شأن العرب ، وقد سايرهم بعض المستشرقين من حيث لا يشعرون[1] .

وهل يستطيع أي انسان مهما كان دينه وقوميته ان يركن في مجالس الشراب واللهو الى الجلوس مع شقيقته وبحضور شخص لا يوازيها شرفا ولا مكانة وفي قصره مئات الجواري الفاتنات[2] .

وأخـيرا فاختلاف بعض المؤرخين في عدد الاولاد الذين انجبتهم العباسة واشارة البعض الآخر منهم الى انها تزوجت من أميرين هاشميين ، ولم تنجب منهما . يدل على ان هذه القصة موضوعة ومختلقة ، اشاعها أعداء الرشيد من الشعوبيين وغيرهم من أنصار البرامكة بعـد النكبة ، وتناقلتها العامة عن قصد أو غير قصد بحيث رواها المؤرخون على علاتها دون نقد أو تحقيق بينما لم تشع هذه القصة قبل النكبة مما يدل على زيفهـا وبطلانها .

وبعد وفاة الرشيد لعب الوزراء دورا خطيرا في سياسة الدولة العباسية

= رسالة من اخي بابك الخرمي الى اخي المازيار بيان كيفية القضاء على العرب حتى (يعود الدين الى ما كان عليه أيام العجم) (الطبري ج ١٠ ص ٣٦٧ ، المسعودي التنبيه والاشراف ص ٣٠٦) وقد ظهرت هذه الحركة بصورة سافرة في الدعوة الى تمجيد الفرس وكل ما هو فارسي والى تحقير العرب وكل ما هو عربي ، واخذوا بمهاجمة الفضائل العربية وعملوا على تفسيخ القيم الخلقية العربية الاسلامية ، فاكثروا من المجون والشراب وجاهروا بالخلاعة والانحراف الجنسي واعتبروا ذلك نوعا من التحرر ومثـلا في الظرف ، وقد اشار صاحب الاغاني الى قصص غريبة عن تحللهم الخلقي والديني وعن دورهم في افساد الدين والاخلاق . (الاغاني ج ١٢ ص ٩٥ ـ ٩٦ ، ص ١٠٠ ـ ١٠٢ ، ج ١٢ ص ٧٦ ، ج ٣ ص ٤٠) .

(١) الباحسين البرامكة ص ١٤٢ .

(٢) برانق البرامكة في ضلال الخلفاء ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .

بما كانوا يعدونه من الدسائس والمؤامرات لتحقيق غاياتهم واطماعهم الخطيرة وقد بدأت عوامل الفتنة بين الاخوين (الامين والمأمون) تظهر نتيجـــة تحريض وزيريهما لان تصادم مصالح الخليفتين ومصالح الوزيرين أدت دورها في هذا النزاع ، فالفضل بن الربيع كان يعتقد ان آلت الخلافة بعد الامين الى المأمون فلم يكن له شأن . فعمل بالتعاون مع بني هاشم ـ الكتلة العربية التي تكونت منذ خلافـــة الرشيد ـ ومع بعض العناصر الفارسية المنحرفة عن المأمون وبني سهل لاسباب نفعية وشخصية كعلي بن عيسى بن ماهان ، على الوقوف ضد فكرة استخلاف المأمون ، وكان الفضل بن سهل وكتلته من الفرس تؤيد استخلاف المأمون ، ويشكلون جميعا كتلة معادية للامين ولوزيره وللكتلة العربية . واستطاع الفضل بن الربيع ان يسعى في اغراء الامين وحثه على خلع المأمون واخذ العهـــد لابنه موسى[1] . ويؤيد ذلك الجهشياري بقوله :

(ولما استوثق الامر لمحمد ـ الامين ـ زين له الفضل بن الربيع خلع المأمون ، وكان يخافه ان افضى الامر اليه وعاون الفضل على ذلك علياً بن عيسى بن ماهان)[2] ويقول اليعقوبي (فأفسد قوم قلب محمد الامين على المأمون واوقعوا بينهما الشر ، وكان الذي يحرضه علي بن عيسى بن ماهان والفضل بن الربيع ، وزينا له ان يبايع لابنه بولاية العهد بعده ، وبخلع المأمون ففعل ذلك وبايع لابنه موسى)[3] .

بينما شجع الفضل بن سهل المأمون على الاقامة في خراسان والتمسك

---

(١) ابن الاثير الكامل ج ٦ ص ٧٥ ، ابن تغري بردى النجوم ج ٢ ص ١٣٨ .

(٢) الجهشياري ص ٢٣٧ .

(٣) اليعقوبي ج ٣ ص ١٦٦ .

بحقوقه وبين له قوة مركزه فقال له : (وكيف بك وانت نازل في اخوالك وبيعتك في اعناقهم ... اصبر وانا اضمن لك الخلافة)[1] . وكانت أم المأمون أم ولد فارسية فالتف الفرس حوله وقالوا له (ابن اختنا وابن عم رسول الله)[2] .

وسرعان ما اشتد الخلاف وتأزم الموقف بين الاخوين وتحول هذا الخلاف الى نزاع مسلح نتيجة مساعي الوزيرين ، وانتهى الصراع بمقتل الامين وانتصار جيوش المأمون فعظم شأن الفضل بن سهل ، وعقد له المأمون على المشرق وجعل له عمالة ثلاثة ملايين درهم ، وعقد له لواء على سنان ذي شعبتين ولقبه ذا الرياستين ، رياسة السيف ورياسة القلم ، وولى اخاه الحسن ابن سهل ديوان الخراج)[3] وجعل له المأمون لقب الامارة مع لقب الوزارة وهو أول وزير يجمع له اللقبين[4] .

وبالغ المأمون في اكرام الفضل بن سهل ، ففوضه للوزارة بتوقيع خاص وخطي وهذا أول تشريف من نوعه جاء فيه : (وقد جعلت لك ... مرتبة من يقول في كل شيء فيسمع منه ، ولا تتقدمك مرتبة احد ما لزمت ما امرتك به من العمل لله ولنبيه والقيام بصلاح دولة أنت ولي بقيامها)[5] .

كما ان المأمون عرض على الفضل بن سهل ان يتزوج من احدى

---

(١) الجهشياري ص ٢٧٨ .

(٢) الطبري ج ١٠ ص ١٢٩ ، الجهشياري ص ٢٧٩ .

(٣) الجهشياري ص ٣٠٥ ، الطبري ج ١٠ ص ١٦١ ، ابن الوردي ص ٣١٠ ، ابن الاثير الكامل ج ٦ ص ٨٥ ، اليعقوبي ج ٣ ص ١٦٧ .

(٤) الجهشياري ص ٣٠٦ .

(٥) الجهشياري ص ٣٠٦ .

بناته ، ولكن الفضل استكثر هذا التكريم على نفسه فشكر واعتذر[1] .

اما الفضل بن الربيع وزير الامين فقد استتر في رجب سنة ١٩٦هـ بعد فشل مساعيه[2] .

فقال في ذلك بعض الشعراء[3] :ـ

اضاع الخلافة غش الوزير	وفسق الامير وجهل المشير
ففضل وزير وبكر مشير	يريدان ما فيه حتف الامير
وما ذاك الا طريق غـرور	وشر المسالك طرق الغرور
واعجب من ذا وذا اننا	نبايع للطفل فينا والصغير

وكان الفضل بن سهل وزير المأمون ـ كغيره من الفرس ـ ينتصر للعنصر الفارسي ويعتقد ان العلويين أحق بحمل التاج لانهم يجمعون بين اشرف دم عربي وهو دم النبوة واشرف دم فارسي وهو دم الاكاسرة ، وعمل على ان تكون السيادة للعنصر الفارسي ، فحاول التخلص من القواد العرب الذين ناصروا المأمون في محنته مع اخيه الامين[4] . فدبر مؤامرة للخلاص من القائد العربي هرثمة بن اعين ، فسعى به اعوان الفضل من الفرس وكان هرثمة بن اعين يعرض على المأمون النصيحة ، وأراد ان يعرف المأمون ما يدبر عليه الفضل بن سهل ، وما يكتم عنه من الاخبار ،

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٣٠٧ .

(٢) الطبري ج ١٠ ص ١٧٨ ، ابن الاثير الكامل ج ٦ ص ٨١ ، السيوطي تاريخ الخلفاء ص ١٩٨ ، العصامي سمط النجوم ص ٣٠٦ .

(٣) الجهشياري ص ٢٩٣ أحمـــد شلبي التاريخ الاسلامي ج ٣ ص ١٨٩ .

(٤) حسن ابراهيم حسن تاريخ الاسلام السياسي ج ٢ ص ١١٢ .

وانه لا يدعه العودة الى بغداد ليتوسط سلطانه ، فعلم الفضل بذلك وسعى في تغيير قلب المأمون عليه بمكيدة ، فحبسه المأمون وشدد عليه الفضل في الحبس ثم دس اليه من قتله ، وقالوا مات حتف انفه(١) .

ومقتل هرثمة بن اعين دليل واضح على السياسة الفارسية التي سار عليها الفضل بن سهل ، وعلى قوة الحركة الشعوبية ومحاولتها القضاء على رجالات العرب ، وابعادهم عن مراكز القيادة والسياسة والادارة ، لكي تتمكن ان تعبث بسلامة ومكانة الدولة العباسية .

فسعى الفضل بن سهل في تحقيق خططه الخطرة فحسن للمأمون تولية علي الرضا عهده ، لتحويل الخلافة عمليا الى آل علي الذين يؤثرهم الفرس على سائر بني هاشم . فيقول الجهشياري : (وكان المأمون قد جد في تجديد العهد لعلي الرضا ، وتقدم الى الفضل بأخذ البيعة على الناس والكتابة الى الاقاليم في ابطال السواد ، وكتب الفضل الى اخيه الحسن يعلمه بذلك ، ويأمره بطرح السواد ، وان يلبس الخضرة ، ويجعل الاعلام والقلانس خضرا ، ويطالب الناس بذلك وكاتب فيه جميع عماله)(٢) .

وقد تجرأ بعض الشخصيات العربية كنعيم بن خازم ان يناقش الفضل بن سهل هذا التصرف الذي يرمي من وراءه تحويل الخلافة الى الفرس بقوله له : (انك انما تريد ان تزيل الملك عن بني العباس الى ولد علي ثم تحتال عليهم فتصير الملك كسرويا ، ولولا انك اردت ذلك لما عدلت عن لبسة علي وولده من البياض الى الخضرة وهي لباس كسرى

---

(١) ابن الاثير الكامل ج ٦ ص ١٠٧ ، ابو الفدا المختصر ج ٢ ص ٢٣ .

(٢) الجشياري ص ٣١٢ ، ابن الاثير الكامل ج ٦ ص ١١١ ، اليعقوبي ج ٣ ص ١٧٦ .

والمجوس[1] .

وكان رد الفعل لهذا التصرف من جانب المأمون ووزيره الفضل بن سهل ان اجتمع أهل بغداد ، وخلعوا المأمون وبايعوا ابراهيم بن المهدي بالخلافة وحجب الفضل الاخبار عن المأمون ، وموه عليه ولم يسمح بالدخول عليه الا من وثق به ، وكان علي الرضا ممن يدخلون على المأمون ، فاخبره بما الناس فيه من فتنة وخلاف منذ مقتل الامين ، وبما كان الفضل يكتمه من الاخبار ، فاستدعى المأمون جماعة من امرائه واقربائه فسألهم عن ذلك فأيدوا عليا الرضا فيما افضى به اليه ، وقالوا له : (ان الفضل حسن لك قتل هرثمة بن اعين ، وقد كان ناصحا لك فعاجله بقتله ، وان طاهر بن الحسين مهد لك الامور حتى قاد اليك الخلافة بزمامها فطردته الى الرقة وان الارض تفتقت بالشرور والفتن من اخطارها)[2] .

لقد ادرك المأمون حقيقة الامر وخطورة السياسة الفارسية التي انتهجها وزيره الفضل بن سهل ، فبدا الصدام الحقيقي بين الخليفة ووزيره . فقرر مغادرة خراسان والعودة الى بغداد . ويرى الدوري ان هذا الاتجاه لم يكن مجرد تبديل العاصمة بل كان انقلابا سياسيا على السياسة التي تمثلها العاصمة الاولى (مرو) ومعنى ذلك لزوم التخلص من الفضل بن سهل أيضا ومن ولي العهد[3] . لذلك دس ، وهو في الطريق الى بغداد الى الفضل بن سهل من قتله في احدى الحمامات في شعبان سنة ٢٠٢هـ بمدينة سرخس ، ثم تخلص من ولي العهد علي الرضا حيث مات مسموما في طوس سنة ٢٠٣هـ .

---

(١) الجهشياري ص ٣١٣ ، ابن الاثير الكامل ج ٦ ص ١١ .

(٢) الفخري ص ١٧٣ ، ابن الاثير الكامل ج ٦ ص ١١٨ ، مسكويه تجارب الامم ج ٦ ص ٤٤١ ــ ٤٤٢ ، ابن كثير ج ١٠ ص ٢٤٩ .

(٣) الدوري العصر العباسي الاول ص ٢١٤ .

وكتب المأمون الى الحسن بن سهل يعزيه فيه وولاه الوزارة مكانه[1] .

قدم المأمون الى بغداد سنة ٢٠٤هـ ، وبذلك عادت الى الخلافة قوتها وهيبتها . ثم خلع المأمون بعد بضعة أيام من وصوله لبس الخضرة استجابة الى رجاء قواده واهل بيته[2] . ورغم ذلك لم يقطع المأمون صلته ببني سهل ، فاستوزر أخيه الحسن بن سهل وتزوج من ابنته بوران[3] .

ولكن المأمون حرص على ان يشرف بنفسه على الامور بحيث لما صرفه عن الوزارة واستدعى أحمد بن خالد فقال له : (يا أمير المؤمنين اعفني من التسمية بالوزارة وطالبني بالواجب فيها ، وهذا الموقف يشبه موقف خالد البرمكي في عصر السفاح بعد مقتل أبو سلمه الخلال .

---

(١) الفخري ص ١٧٣ ، مسكويه تجارب الامم ج ٦ ص ٤٤٣ ، اليعقوبي ج ٣ ص ١٧٩ ـ ١٨٠ ، ابن كثير البداية ج ١٠ ص ٢٤٩ .

(٢) ابن الاثير الكامل ج ٦ ص ١١٨ ، ابن خلدون العبر ج ٣ ص ٢٤٩ اليعقوبي ج ٣ ص ١٨١ .

(٣) الجهشياري نصوص ضائعة ص ٢٤ ، الفخري ص ١٩٧ ، المسعودي التنبيه والاشراف ص ٣٠٤ ، اليعقوبي ج ٣ ص ١٨٦ .

٦ - الوزارة بين الوراثة والتعيين

جرت العادة في العصر العباسي ان يختار الوزير من الكتاب ، أو ابناء الكتاب ، وأصبحت بعض الاسر الكبيرة من الكتاب تتوارث منصب الوزارة ، وكانت معظم هـــذه الاسر من أصل فارسي كالبرامكة ، وآل يونس (الفضل والربيع) وبني سهل (الفضل والحسن) وقـــد تولوا الوزارة في العصر العباسي الاول . فاذا كانت بعض هـــذه البيوتات ، كالبرامكة وآل سهل قد لاقت مصيرا مؤلما لمحاولتها السيطرة على الحكم ، فان كثيرا منها احتفظت بسيادتها ومركزها لفترة من الزمن[١] . ونجح البرامكة في توارث الوزارة حتى أصبحوا دولة داخل الدولة العباسية[٢] .

واستمرت في الحكـــم بين سنتي ١٧٠ - ١٨٢هـ[٣] . أي سبعة عشرة سنة .

ويبدو ان ابناء الوزراء والكتاب والامراء وغيرهم ورثوا مناصبهم عن آبائهم وأجدادهم . فعلى سبيل المثال خلف الوزير ابن مقله ابنه وكان في الثامنة عشرة من عمره[٤] . وتولى أيضا أبو الفتح بن العميد الوزارة بعد ابيه وله من العمر احدى وعشرون سنة[٥] .

---

(١) جاك ويسلر الحضارة العربية ص ٧٣ .

SOurdel, Le, Vizirat, Abbasside. P. 565.

(٢) The Encyclopacdia of Islam. V. I. 1034, Sourdel,. P. 565.

(٣) فيليب حتي تاريخ العرب ص ٢٦٥ .

(٤) السيوطي حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٢٧ .

(٥) ياقوت ارشاد الاريب ج ٥ ص ٣٥٦ .

وفي نهاية القرن الثالث الهجري ظهرت عائلات جديدة توارثت منصب الوزارة يصبح وراثيا منحصرا في هذه الاسر • وتولى الوزارة من منصب الوزارة ، وأصبحت أكثر نفوذا من الاسر السالفة لها حتى كاد آل خاقان أربعة وزراء خلال سبعين عاما • كما تقلد أربعة وزراء من بني الفرات خلال خمسين سنة ، وكان بنو وهب ـ واصلهم من نصارى العراق ثم اسلموا وخدموا في الدواوين ـ من رؤساء الناس وفضلائهم[1] • وقد توارث عشرة منهم أرقى مناصب الدولة ، وتقلد أربعة منهم الوزارة ، ومن اشهرهم سليمان بن وهب بن سعيد ، وزير المهتدى ، واخوه عبدالله بن سليمان الذي ولي الوزارة للمعتمد، وكان من كبار الوزراء ومشايخ الكتاب[2] • ويليه الحسين بن القاسم بن وهب ، ويقول الفخري فيهم انهم اغرقوا الناس في الوزارة ، فهو وزير المقتدر ، وأبوه القاسم وزير المعتضد والمكتفي ، وجده عبيدالله وزير المعتضد ، وأبو جده سليمان بن وهب وزير المهتدى وفي ذلك يقول الشاعر[3] :ـ

يا وزير ابن وزير ابـ	ـن وزير ابن وزير
نسقا كالدر اذا نظـ	ـم في عقد النحور

وذكر ابن النديم نسب بني وهب والمناصب التي تقلدوها فيقول (وبنو وهب الحسن بن وهب بن سعيد بن عمر بن حصين بن قيس بن قنان كتب قنان ليزيد بن أبي سفيان ، ثم لمعاوية بعده ولابنه يزيد ، وفي خلافته مات ، واستكتب يزيد ابنه قيس ، وكتب قيس لمروان ، ولعبدالملك ثم لهشام ، وفي أيامه مات ، واستكتب هشام ابنه الحصين ، ثم استكتبه مروان ،

---

(١) ادم متز الحضارة الاسلامية ج ١ ص ١٤٤ •

(٢) الفخري ص ٢١٨ ، ص ٢٢٥ •

(٣) الفخري ص ٢٢٢ ، الثعالبي يتيمة الدهر ج ٣ ص ٣٣ ، ياقوت معجم الادباء ج ٣ ص ٥٤ •

وصار الى ابن هبيرة ، فلما خرج ابن هبيرة الى ابي جعفر اخذ للحصين امانا فخدم المنصور والمهدي ، فلما مات استكتب المهدي ابنه عمرا ثم كتب لخالد بن برمك ، وخلف ابنه سعيدا في خدمة آل برمك ، وتحول ابنه وهب فكتب بين يدى جعفر بن يحيى ثم صار بعده في جملة ذي الرياستين ، وقال فيه ذو الرياستين (عجبت لمن معه وهب كيف لا تهمه نفسه) ثم استكتبه الحسن بن سهل وقلده كرمان وفارس فاصلحهما ، وغرق في طريقه الى بغداد عند فم الصلح ، وكتب سليمان للمأمون وهو ابن اربع عشرة سنة ، ثم كتب لايتاخ ثم لاشناس ثم ولى الوزارة للمعتمد . واما الحسن بن وهب أخو سليمان فكان يكتب لمحمد بن عبدالملك الزيات ، وقد ولى ديوان الرسائل وكان شاعرا بليغا .

وتقلد الوزارة من آل الجراح أربعة وزراء ، وهم داود بن الجراح وكان يكتب للمستعين ، ومحمد بن داود بن الجراح وزر لعبدالله بن المعتز ، وعلي بن عيسى بن داود الجراح ، وكان بمنزلة من الرياسة يجل وصفها ، ومن الصناعة والفقه ، ووزر للمقتدر ثلاث مرات ومات سنة ٣٣٤هـ . وعبدالرحمن بن عيسى أخو أبي الحسن علي ، وكان فاضلا كاتبا وزر للمتقى وكان المسدد له والناظر في الامور علي بن عيسى بن الجراح[٢] .

وتقلد من بني مخلد خمسة وزراء ، ومن بني الخصيب وزيران ، وكذلك تولى من بني مقله وزيران .

وكان الخلفاء العباسيون يفضلون تعين أولاد الوزراء في مناصب الدولة البارزة وخاصة في الوظائف الادارية .

فكان ابن العميد وزيرا لعماد الدولة رأس اسرة بني بويه ، وكان

(١) ابن النديم الفهرست ص ١٨٣ .
(٢) ابن النديم الفهرست ص ١٩١ .

ابنه وحفيده وزيرين لركن الدولة[1] .

كما ان اسرة المهلبين شغلت ارفع المناصب طيلة أكثر من عشرة أجيال وبلغ أربعة من أهم أعضائها اسس المناصب ونجحوا في الاحتفاظ بها حتى ان هذه الاسرة التي كانت تكون من كبار الموظفين المزودين على نطاق واسع بالسلطة وبالتراث نهضت بتشكيل دولة داخل دولة[2] .

واذن فان خلفاء بني العباس في عصورهم المختلفة كانوا يختارون وزرائهم من بين الكتاب والادباء ، ويأبون اسناد منصب الوزارة الى العلماء وأصحاب الطيالس ، وقد اشير مرة على الخليفة المقتدر بتعيين محمد بن يوسف القاضي فقال : (لعمري انه عالم ثقة الا انني لو فعلت ذلك لافتضحت عند ملوك الاسلام والكفر ، لانني أكون بين أمرين اما ان تتصور مملكتي بانها خالية من كاتب يصلح للوزارة ، فيصغر الامر في نفوسهم ، أو اني عدلت عن الوزارة الى أصحاب الطيالس فأنسب الى سوء الاختيار)[3] .

وختاما يظهر لنا مما مر الاشارة اليه ان منصب الوزارة بقى محصورا لدى طبقة الكتاب ، وفي بعض الاسر منهم ، واوشكت ان تصبح كالخلافة وراثية في بعض العائلات ذات النفوذ والشهرة بالمقدرة الكتابية والادارية ، وبسبب التصادم الذي كان غالبا يحدث نتيجة امرين احدهما عدم تحديد صلاحيات الوزير بصورة ثابتة ودقيقة والثاني محاولة الوزير الاستبداد بالامر دون الخليفة .

---

(١) الثعالبي يتيمة الدهر ج ٣ ص ٣٣ .

(٢) جاك ويسلر الحضارة العربية ص ٧٣ .

(٣) الصابىء تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ص ٣٤٨ .

الفصل الثالث :

الخلافة والوزارة في عصر نفوذ الاتراك

٢١٨ ـ ٢٧٩هـ

١ ـ اثر استبداد الاتراك في ضعف سلطة الخلفاء والوزراء .

٢ ـ سياسة الوزراء المالية في عصر النفوذ التركي .

١ ـ اثر استبداد الاتراك في ضعف سلطة الخلفاء والوزراء •

يعتبر العصر العباسي الثاني في مطلع القرن الثالث الهجري من اخصب عصور الخلافة العباسية في الحضارة والثقافة والسياسة • ويعتبره المنجد (عصر ازدهار الترجمة عن الفرس واليونان التي انعشت التراث الاسلامي ، كما يعتبره عصر التراث الذي اتضح في قصور المعتصم ومن جاء بعده من خلفاء العصر الثاني)[١] •

وتتميز هذه الفترة أيضا بظهور ظروف جديدة كان لها اثر عميق في مركز الخلافة ومكانة الخليفة •

فيعتبر عصر المعتصم سنة (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ) (٨٣٣ ـ ٨٤٢م) بداية النفوذ التركي في الدولة العباسية ، وكانت الظروف السياسية هي التي اوحت الى المعتصم استخدام الاتراك في الجيش ومصالح الدولة • فقد كان العباسيون قد تخلوا عن الاعتماد على العنصر العربي واساءوا الظن به على اعتبار ان العرب أنصار الامويين[٢] • كما تعددت ثورات الجند العرب ضد العباسيين ، ومال بعضهم الى العلويين[٣] • فلم يعد العباسيون يطمئنون الى الفرس لطموحهم ولمحاولتهم استعادة مجدهم المندثر ودينهم المجوسي

فالبرامكة وبنو سهل ومن ثار في العصر العباسي الاول تحت شعار ديني ، كل هؤلاء كانت لهم مطامع قومية وعنصرية يريدون تحقيقها •

---

(١) البلاذري فتوح البلدان ج ١ ص ٨ من مقـــدمة صلاح الدين المنجـــد •

(٢) محمد جمال الدين سرور الحضارة الاسلامية ص ١٩ •

(٢) علي ظريف الاعظمي مختصر تاريخ بغداد ص ٢٥ •

اذن أصبح من المحتم للمعتصم ان يبحث عن عنصر ثالث جديد تعتمد عليه الدولة ، فاستخدم الاتراك . ويرى المسعودي ان المعتصم اثر استخدام غلمان الاتراك على المتقدمين من اوليائه ونصحائه[١] . ويقول أيضا : ان المعتصم كان يحب جمع الاتراك وشرائهم من أيدي مواليهم وانه البسهم الديباج والمناطق الذهبية والحلية وابانهم بالزي عن سائر جنوده[٢] . وينسب الدكتور الدوري استخدام المعتصم للاتراك الى ان امه كانت تركية فعمل على الاكثار منهم والعطف عليهم لكونهم اخواله ، ويرى أيضا ان هناك دافعا سياسيا نتيجة اختلال التوازن بين العرب والفرس واستحالة التوفيق بينهما فالتجأ الى الاتراك وجعل منهم قوة عسكرية يعتمد عليها[٣] . وتعتبر هذه السياسة خطيرة بالنسبة للعرب ، وخروجا على سياسة المنصور التقليدية في حفظ التوازن في الجيش بين الفرق العربية والاعجمية ، وظهر سخط الجند العربي واضحا في مؤامرة العباس بن المأمون[٤] .

وكثر عدد الاتراك وقويت شكيمتهم حتى بلغ عددهم سبعين ألفا ويشير الى ذلك علي بن الجهم بقوله[٥] :

امامي من له سبعون الفا   من الاتراك مسرعة السهام

وكان هؤلاء الاتراك قد قدموا من فرغانه ، واشروسنة ، والصفد ، والشاش[٦] . وأدت سذاجتهم وبداوتهم الى الاستخفاف بسلطان الخلافة

---

(١) المسعودي التنبيه والاشراف ص ٣٠٧ .

(٢) مروج الذهب ج ٤ ص ٩ ، السيوطي تاريخ الخلفاء ص ٢٢٣ .

(٣) الدوري العصر العباسي الاول ص ٢٢٧ ، محمد جمال سرور تاريخ الحضارة ص ٢٢ .

(٤) الدوري العصر العباسي الاول ص ٢٣٠ .

(٥) الاربلي خلاصة الذهب ص ١٦٠ ـ ١٦١ ، ياقوت معجم البلدان مادة (سر من رأى) .

(٦) المسعودي مروج الذهب ج ٤ ص ٩ .

في العاصمة وصاروا يستهترون بأرواح الناس ، فقال الخطيب البغدادي : (انهم كانوا عجما جفاة يركبون الدواب فيتراكضون في طرق بغداد وشوارعها فيصدمون الرجل والمرأة ويطأون الصبي)[1] وقد اضطر المعتصم الى نقل عاصمته من بغداد الى سامراء فسكنها بعسكره سنة ٢٢١هـ ، واستخدم المعتصم أيضا رجالا من خراسان من الفراغنه وغيرهم من الاشروسنية فكثر جيشه الا انهم كانوا قلة قليلة بالنسبة الى الاتراك[2] . بالاضافة الى الاعتماد على وحدات عسكرية عربية .

ادى التغاضي عن عبث الجند من الاتراك ، واستمرار اذاهم للناس الى ازدياد نفوذهم، حتى أصبحوا قوة خطيرة يحسب حسابها ، وأصبح الوضع ينذر بسوء الحال .

فلما ولي الواثق الخلافة (٢٢٧ - ٢٣٢هـ) (٨٤٢ - ٨٤٧م) ، اقتدى بابيه المعتصم في الاعتماد على الاتراك وأصبحت المناصب الخطيرة في الدولة في أيديهم فاستخلف اشناس التركي على السلطنة والبسه تاجا مرصعا بالجواهر[3] . وجعل صلاته أربعين ألف ألف درهم[4] . وقد علق السيوطي على عظم سلطته بقوله : (واظن انه - الواثق - أول خليفة استخلف سلطانا)[5] .

وبدء نفوذ الخلفاء يتقلص بسبب اتساع نفوذ الاتراك في شؤون الدولة فاستبدوا بالخليفة حتى أخذوا يتدخلون في اختيار الخلفاء ووزرائهم وعزل

---

(١) الخطيب البغدادي تاريخ بغداد ج ٣ ص ٣٤٦ .

(٢) المسعودي مروج الذهب ج ٣ ص ٣٦٥ .

(٣) القرماني اخبار الدول ص ١٥٧ .

(٤) ابن العديم زبدة الحلب ج ١ ص ٦٩ .

(٥) السيوطي تاريخ الخلفاء ص ٢٢٣ .

بعضهم أحيانا[1] . وقد عبر الشعراء عن تضاؤل سلطان الخلفاء ، واستبداد الاتراك منذ خلافة المعتصم ، فقد هجاه دعبل الخزاعي[2] قائلا :

لقد ضاع امر الناس حيث يسوسهم   وصيف واشناس وقد عظم الخطب
وهمك تركي عليه مهانة   فانت له ام وأنت له أب

ظهر الاتراك كقوة سياسية وعسكرية فعالة بعد وفاة الواثق سنة ٢٣٢هـ ، ولم يكن قد عهد الى أحد بالخلافة ، فاجتمع بدار الخلافة ايتاخ ووصيف والوزير ابن الزيات وابو الوزير أحمد بن خالد ، وعزموا على البيعة لمحمد بن الواثق وهو غلام امرد صغير فالبسوه دراعة سوداء وقلنسوة ، فاذا هو قصير ، فقال وصيف : (ما تتقون الله تولون هذا الخلافة) ثم تناظروا فيمن يولونه ، ثم ولوا المتوكل وكان عمره ستاً وعشرين سنة[3] .

وقد ظهر نفوذ الاتراك واضحا في اختيار المتوكل ، وأصبح امر اصطدامهم بخليفة قوى كالمتوكل أمرا محتما[4] .

وقد حاول المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧هـ) (٨٤٧ - ٨٦١م) الحد من طغيانهم حتى انه فكر في نقل العاصمة من العراق الى دمشق ، ولعله آراد بذلك الرجوع الى سياسة الاعتماد على العنصر العربي . وبالفعل رحل

---

(١) العدوى الدولتان الاسلامية والروم ص ١١٧ ، صبحي الصالح النظم الاسلامية ص ٢٧٠ ، أحمد أمين ظهر الاسلام ج ١ ص ١٠ .

(٢) العدوى الدولتان الاسلامية والروم ص ١١٧ .

(٣) الطبري ج ١١ ص ٢٦ ، ابن الاثير الكامل ج ٧ ص ١١ ، مسكويه ج ٦ ص ٥٣٥ ، ابن خلدون العبر ج ٣ ص ٥٧٨ ، ابن كثير البداية والنهاية ج ١٠ ص ٣١٠ .

(٤) الدوري العصور العباسية المتأخرة ص ٤١ .

اليها وعزم على المقام بها ونقل الدواوين اليها[1] والبناء بها .

ولكن المتوكل اضطر الرجوع الى العراق بسبب ثورات الاتراك لادراكهم محاولة الخليفة الاستعانة بالعرب عليهم . وبعد رجوعه اتبع سياسة الدسائس والمؤامرات للتخلص من الاتراك ، فوقع بايتاخ الذي كان المتوكل قد ولاه على مصر والكوفة والحجاز وتهامه والحرمين ، والدعاء له على المنابر واستصفى أمواله[2] .

ومع ذلك لم يتمكن المتوكل من ان يتخلص من الاتراك تماما لانهم اخذوا يدبرون له المكائد ، فاتفق ان صادر المتوكل أموال وصيف التركي فتعصب له باغرا التركي ، وثار الاتراك على المتوكل ، ودخل باغر التركي ومعه عشرة اتراك ، على المتوكل في مجلسه وعنده وزيره الفتح بن خاقان فضربه باغر بالسيف فطرح الفتح بن خاقان نفسه عليه فضربهما ثانية فماتا[3] . وبايع الاتراك المنتصر بالخلافة[4] .

ويعتبر الدكتور احمد شلبي مقتل المتوكل فاتحة عهد اسود للخلافة العباسية حيث استمر هذا الاسلوب طيلة عهد الاتراك ، واستمر فيما بعد الى عهد البويهيين[5] . حيث تعرض الخلفاء خلال هذين العهدين الى السمل والقتل والتعذيب ، وكان خلع الخلفاء ايسر ما ينزل بهم من الاذى ، وقل من الخلفاء من نجا من هذا المصير المؤلم .

---

(١) اليعقوبي تاريخ ج ٣ ص ٢١٠ .

(٢) أبو المحاسن النجوم الزهراء ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٣) الطبرى جـ١١ ص٦٢ ، المسعودي التنبيه ص٣١٣ ، ابن خلدون العبر جـ٣ ص٥١٧ ، العصامي سمط النجوم ص٣٣٨ .

(٤) ابن العبرى تاريخ مختصر الدول ص٢٤٨ ، الدميرى حياة الحيوان ص٩٥ ، كارل بركلمان تاريخ الشعوب الاسلامية جـ٢ ص٥٢ ، ابو المحاسن النجوم الزاهرة جـ٢ ص٣٢٤ .

(٥) احمد شلبي التاريخ الاسلامي جـ٤ ص٢٩ .

وقيل ان سبب مقتل المتوكل يعود الى ان ابنه المنتصر اتفق مع الاتراك على قتله ، لأن المتوكل هم بخلعه من ولاية العهد والبيعة لابنه الآخر المعتز لمحبته لامه[1] .

وكان مقتل المتوكل ايذانا بانتهاء مجد الخلفاء العباسيين ، اذ اصبحت حياة الخليفة متوقفة على رضا الاتراك . وبهذا اصبح الاتراك يهددون الخليفة نفسه ، ويستولون على خزائن الاموال[2] . ولم يكتف الاتراك بهذا بل اجبروا المنتصر على عزل اخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد[3] .

ثم توفي المنتصر بعد حكم لم تطل مدته غير ستة اشهر[4] . (شوال ٢٤٧ – ربيع الآخر ٢٤٨ هـ) (٨٦١–٨٦٢م) وقيل ان المنتصر كان على حذر من الاتراك وكان يسبهم ويلعنهم ويقول : (هؤلاء قتلة الخلفاء) فرشوا طبيبه ابن طيفور بثلاثين الف دينار ففصده بمبضع مسموم فمات[5] .

ولما مات المنتصر اجتمع الاتراك وبايعوا احمد بن المعتصم بالخلافة سنة ٢٤٨ هـ ولقبوه المستعين بالله[6] . (٢٤٨ – ٢٥٢ هـ) (٨٦٢ – ٨٦٦ م).

وكان المستعين مسرفا للاموال[7] . وخرجت عليه شرذمة من الاتراك يقولون يا معتز يا منصور ، فالتقى بهم خلق كثير ، وقام بنصرة المستعين

---

(١) ابن الاثير الكامل جـ٧ ص٣٥ ، الفخرى ص١٩٢ ، الكتبي فوات الوفيات جـ١ ص٢٠١ ، الدميرى ص٩٥ ، ابن العماد جـ٢ ص١١٤ .

(٢) عمر رضا كحالة مختصر تاريخ الدول ص٦٤ .

(٣) ابن الاثير الكامل جـ٧ ص٣٥ ، ابن كثير جـ١٠ ص٣٥٣ ، ابن العبرى مختصر الدول ص٢٤٨ .

(٤) الطبرى جـ١١ ص٦٣ .

(٥) المسعودي التنبيه ص٣١٤ ، الذهبي العبر جـ٢ ص٢ ، الدميرى ص٩٦ ، الخطيب البغدادي جـ٥ ص٨٤ .

(٦) الكتبي فوات الوفيات جـ١ ص١٢٤ .

(٧) ابن العبرى مختصر تاريخ الدول ص٢٥٤ .

قادة الجيش فاقتتلوا اياما فقتل خلق من كلا الفريقين ... وانتهبت اماكن كثيرة من بغداد ، فركب وصيف وبغا الصغير وعامة الاتراك فقتلوا كثيرا من العامة[1] .

ويظهر ان العامة نقمة على الاتراك لتغلبهم على الخلافة ولقتلهم الخلفاء كالمتوكل والمنتصر ، ولاستضعافهم المستعين ، وتهكم شاعر على الخليفة المستعين في وصفه مع الاتراك قائلا[2] :ـ

خليفة في قفص بين وصيف وبغا

يقول ما قالا له كما يقول الببغا

حاول المستعين اضعاف نفوذ الاتراك ، وكان قد تخلص من بغا الكبير حيث ولاه في اول خلافته ديوان البريد ، وقيل ان بغا انتهب بيت المال وجمع اصحابه وفر ، وما لبثت الشرطة ان قتلته[3] .

ظل المستعين مقهورا مع الاتراك ، فتحول من سامراء الى بغداد ، فتوجهوا اليه يعتذرون ، ويسألونه الرجوع فامتنع ، فاخرجوا من الحبس المعتز بالله ، وبايعوه بالخلافة ، ودارت الحرب بين جند المستعين والمعتز وانتهت بالصلح ، حيث تنازل المستعين عن الخلافة بشروط سنة ٢٥٢ هـ وما لبث ان قتله المعتز[4] . وفيه يقول الشاعر :ـ

---

(١) ابن الاثير الكامل جـ٧ ص٣٩ ، ابن كثير جـ١١ ص٢ .

(٢) المسعودي مروج الذهب جـ٤ ص٦١ ، العدوى الدولتان الاسلامية والروم ص١١٧ .

(٣) ابن عساكر التاريخ الكبير جـ٣ ص٢٧٣ .

(٤) الطبرى جـ١١ ص١٣٧ ، ابن الاثير الكامل جـ٧ ص٥٤ ، المسعودي التنبيه ص٣١٥ ، الفخرى ص١٩٤ ، الذهبي العبر جـ٢ ص٢ ، ابن العماد جـ١ ص١٢٤ ، العصامي ص٣٤٥ .

خلع الخليفة احمد بن محمد وسيقتل التالي لـه او يخلع
ايـه بني العباس ان سبيلكم في قتل اعبدكم سبيل مهيع
رقعتم دنيـاكم فتمزقت بكم الحياة تمزقا لا يرقع

واجه المعتز (٢٥٢ – ٢٥٥ هـ) (٨٦٦ – ٨٦٩ م) خطر الاتراك ، وهم اصحاب السلطان والنفوذ الحقيقي في الدولة وهم فيما بينهم مختلفون ، ولا حيلة للخليفة الا مراعاة جانبهم حينا ، وتدبير الدسائس والوقيعة بينهم حينا آخر ٠

ففي سنة ٢٥٣ هـ تخلص من وصيف التركي ، وكان من اكبر امراء الدولة وفي سنة ٢٥٤ هـ قتل بغا الصغير ، وكان قد تمرد واستبد بالامور فكان المعتز يقول : (لا استلذ بحياة ما بقى بغا)[١] ٠

ويبدو ان ازدياد سيطرة الاتراك قد شجعهم على الاعتداء على الخلفاء انفسهم، فثاروا وطلبوا من المعتز مالا فاعتذر اليهم وقال : (ليس في الخزائن شيء ، فطلب من امه مالا فأبت عليه ، فاتفقوا على خلعه وقتله سنة ٢٥٥ هـ)[٢] ٠

ويصف المسعودي حالة المعتز مع الاتراك فقال : (وغلب المعتز على امره وقهر في سلطانه ، غلبه صالح بن وصيف ، فكانت الكتب تخرج باسمه كانه مرسوم بالوزارة لغلبته على الامر)[٣] ٠

وبايع الاتراك بعد المعتز محمد ابن الواثق ولقبوه المهتدى بالله سنة ٢٥٥ هـ ، وكان عادلا رحيما بالرعية يتشبه في سياسته بعمر بن عبدالعزيز

---

(١) ابن الاثير الكامل جـ٧ ص٧١ ، الذهبي العبر جـ٢ ص٥ – ٦ ٠

(٢) الفخرى ص١٩٧ ، ابن الاثير الكامل جـ٧ ص٦٣ – ٦٤ ، الدميرى حياة الحيوان ص٩٧ ، العصامي سمط النجوم ص٣٤٦ ، الذهبي العبر جـ٢ ص٩ ، ابن العبرى ص٢٥٥ ٠

(٣) المسعودى التنبيه ص٣١٧ ، ابن العماد شذرات جـ٢ ص١٢٨ ٠

ويقول : (اني استحى ان يكون في بني امية مثله ولا يكون مثله في بني العباس)[1] .

حاول المهتدى (٢٥٥ - ٢٥٦ هـ) (٨٦٩ - ٨٧٠ م) القبض على زمام الامور بقوة ، وذلك باضعاف نفوذ الاتراك ، ولكنهم تآمروا ضده ، وتألبوا عليه ، وثارت حرب بينهم وبينه انتهت بقتله سنة ٢٥٦هـ[2] .

ويبدو ان موقف الجند من قوادهم الاتراك قد تغير ، فقد سيطر هؤلاء القواد على الاموال ، ولم يلمس الجند أي تحسن في حالتهم بالاضافة الى ضعف الخلافة ، وعدم توفر الاموال في خزائن الدولة ، ولم يستفد الخليفة من هذا الموقف للايقاع بين الاتراك انفسهم ، والقيام بانقلاب عسكري معتمدا على سخط الجيش على قادتهم ، وانتهى امر الخليفة بالخلع[3] .

واخرج الاتراك من الحبس ابن عمه ابا جعفر احمد بن المتوكل ولقبوه بالمعتمد على الله (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ) (٨٧٠ - ٨٩٢ م) ، وكان ميالا للهو ، فقدم اخاه طلحه بن المتوكل ولقبه الموفق بالله وجعله ولي عهده .

وكان الموفق عاقلا مدبرا للامور شجاعا مهتما باحوال الرعية وسياسة الدولة فجمع الجيوش ، وتولى القضاء على (ثورة الزنج)[4] واحرز

---

(١) الفخرى ص١٩٩ .

(٢) الفخرى ص١٩٩ ، ابن الاثير الكامل جـ٧ ص١٠٤ ، ابن خلدون العبر جـ٣ ص٦٤٤ ، المسعودى التنبيه ص٣١٧ .

(٣) عمر رضا كحالة مختصر تاريخ الدول الاسلامية ص٦٥ .

(٤) ثورة الزنج :- ظهروا في خلافة المهتدى وقوى امرهم في خلافة المعتمد وتولى الموفق قتالهم . كان رئيسهم يسمى (صاحب الزنج) وهو اللقب الذي اطلقه المؤرخون على علي بن محمد الذي ظهر في فرات البصرة سنة ٦٥٥هـ ، فقاد الزنج (وهم العبيد الذين كانوا يعملون في ارض السواد) في ثورتهم الكبرى التي دامت من سنة ٢٥٥ الى سنة ٢٧٠هـ (فيصل السامر ثورة الزنج ص٣٨) . =

انتصارات عظيمة عليهم بقتل رئيسهم ، فلقب بالناصر لدين الله ، ومات الموفق سنة ٢٧٨هـ وتوفي المعتمد بعده سنة ٢٧٩ هـ[١] .

فاجتمع الاتراك وبايعوا ابنه ابا العباس بولاية العهد ولقبوه المعتضد بالله[٢] . (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ) (٨٩٢ - ٩٠٢ م) .

هكذا شهدنا حالة الخلافة العباسية في الفترة الاولى من العصر التركي وما لقيه الخلفاء على يد الاتراك من القتل والاعتداء والاضطهاد والتعذيب نتيجة سيطرة العنصر الاجنبي على الحكم في الدولة العباسية وقد ادى تسلط الاتراك على الخلافة في العصر العباسي الثاني الى ضعف مركز الوزير ، وانتقلت السلطة الفعلية الى زعماء الاتراك ، ومع ذلك فقد لعب الوزراء

= ادعى صاحب الزنج انه علوى ويقول ابن ابي الحديد (ان صاحبنا غير نسبه تبعا للظروف فانتقل من احمد بن زيد الى احمد بن محمد بن زيد ثم الى يحيى بن زيد بن علي) (شرح نهج البلاغة جـ٨ ص٣١٨) وحين شخص الى البحرين سنة ٢٤٩هـ ادعى انه علي بن محمد بن الفضل بن حسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن ابي طالب (الطبرى جـ٧ ص٥٤٣) وان ابن ابي الحديد يطعنه في دينه ويرميه بالزندقة والالحاد (شرح نهج البلاغة جـ٨ ص٣٢٢) . ويؤيد هذا الرأى السيوطي حيث يقول : (ان صاحب الزنج كان يصعد على المنبر ويسب عثمان وعلي ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة وكان ينادى على المرأة العلوية في عسكره بدرهمين وثلاثة ، وكان عند الواحد من الزنج العشر من العلويات يطؤهن ويستخدمهن السيوطي تاريخ الخلفاء ص٣٦٤) ويؤكد جمهرة من الباحثين انه من اصل فارسي من قرية (ورزنين) في فارس واسمه (بهبوذ) ابن الجوزي المنتظم جـ٥ ص٦٩ ، السيوطي تاريخ الخلفاء ص٢٤٢ ، ابو المحاسن النجوم الزاهرة جـ٣ ص٤٨ .

(١) الفخرى ص٢٠٢ ، المسعودى التنبيه ص ٣١٩ ، ابن خلدون جـ٣ ص ٦٤٢ .

(٢) ابن الاثير الكامل جـ٧ ص١٤٧ ، ابن العبرى مختصر الدول ص ٢٥٩ .

في هذا العصر دورا خطيرا في العلاقة بين الخلفاء والقواد والاتراك ، وفي تسيير دفة الحكم رغم تعرضهم الدائم لسخط الخلفاء او القواد الاتراك والذي غالبا ما ينتهي بقتلهم .

لقد ضعفت سلطة الوزير السياسية والعسكرية نتيجة استبداد الاتراك بالحكم ، ولم تعد سيطرة الوزير الا على الجباية ، والاشراف على الامور الادارية ، عدا تعين الولاة الذين اصبح تعينهم يتوقف على رغبة الاتراك .

وفي بداية العصر العباسي الثاني تولى المعتصم الخلافة ، واختار الفضل بن مروان وزيرا له ، وكان قد تولى الكتابة له قبل توليه الخلافة ، وقرب المعتصم وزيره الفضل اليه ، اذ كان الفضل قد اخذ البيعة للمعتصم بعد وفاة اخيه المأمون فاعترف المعتصم له بحسن صنيعه[١] . وسمت منزلة الفضل عند المعتصم حتى قال فيه الطبرى : (وحل من قلبه ـ المعتصم ـ المحل الذي لم يكن احد يطمع فيه ، فضلا عن منازعته والاعتراض في امره ونهيه وارادته وحكمه)[٢] .

واستمر الفضل في الوزارة واظهر استقلالا في تصرفاته[٣] . حتى انه كان يتجرأ على مناقشة آراء الخليفة ، ويعارضها فكان ذلك يسوء المعتصم[٤] .

وبالاضافة الى عدم كفاءة اللوزير ، فقد قال فيه صاحب الفخرى : (وكان عاميا لاعلم عنده ولا معرفة وكان ردىء السيرة جهولا بالامور)[٥] .

وفيه يقول بعض شعراء عصره :ـ

---

(١) ابن خلكان وفيات الاعيان جـ١ ص٤١٤ ، ابن الوردى جـ١ ص٣٢١ ، ابو الفدا المتصر جـ٢ ص٣٥ .

(٢) الطبرى جـ١٠ ص٣١٢ ، القلقشندى مآثر الاناقة جـ١ ص٢٢٠ .

(٣) ابن خلكان وفيات الاعيان جـ١ ص٤١٤ .

(٤) الطبرى جـ١٠ ص٣١٣ .

(٥) الفخرى ص١٨٩ .

ثلاثـة امـلاك مضـوا لسبيلهم ابـادهم التقيد والاسـر والقتل
تفرعنت يا فضل بن مروان فاعتبر فقبلك كان الفضل والفضل والفضل

ويصف ابن النديم الفضل بن مروان بانه (كان قليل المعرفة بالعلم ، حسن المعرفة بخدمة الخلفاء)[1] .

وقد حاول الفضل الحد من نفقات المعتصم مما آثار نقمته عليه فيذكر الطبرى (انه حملته الدالة وحركته الحرمة على خلافه للمعتصم في بعض ما كان يأمر به ، ومنعه ما كان يحتاج اليه من الاموال في مهم اموره)[2] .

حاز الفضل اموالا عظيمة ، اذ كان شغوفا بجمع المال حتى قال فيه المعتصم بعد النكبة : (ما كنت اعلم ان في الدنيا من له مثل هذا المال)[3] .

ويبدو ان تمكن الفضل من المعتصم وتفرده بالامور وتضيقه على الخليفة واستئثاره بالاموال ادى الى التعجيل بنهايته[4] . فعزله المعتصم وصادر امواله فكانت عشرة ملايين دينار ، ثم نكبه واهل بيته ونفاه الى قرية في طريق الموصل سنة ٢١٩ هـ ، وبطش بجماعة من اصحابه واستصفى اموالهم[5] .

وقيل ان الخليفة سجنه خمسة اشهر ثم اطلقه ، وقال فيه المعتصم : (عصى الله في طاعة فسلطني عليه)[6] .

---

(١) ابن النديم الفهرست ص١٩٠ ، ابن خلكان جـ١٠ ص٤١٢ .

(٢) الطبرى جـ١٠ ص٣١٣ ، ابن الاثير الكامل جـ٦ ص١٥٣ ، مؤلف مجهول العيون والحدائق جـ٣ ص٣٨٤ .

(٣) مسكويه جـ٦ ص٤٧٩ ، مجهول العيون جـ٣ ص٣٨٤ .

(٤) الفخرى ص١٨٩ ، الطبرى جـ١٠ ص٣١٣ .

(٥) ابن الاثير الكامل جـ٦ ص١٥٣ ، الفخرى ص١٨٩ ، اليعقوبي جـ٣ ص١٩٨ ، الذهبي العبر جـ١ ص٣٧٩ .

(٦) ابن خلكان وفيات الاعيان جـ١ ص٤١٥ .

واستمرت منزلة الوزارة في الضعف والتدهور بسبب تولي وزراء لا علم لهم بالادارة ولا دراية بالحكم • فقد استوزر المعتصم بعد الفضل بن مروان احمد بن عمار وكان هــذا الوزير لا يتمتع بالكفاءة والصلاحيات اللازمة مما كان سببا في عزله[1] •

فقيل ورد كتاب فيه (مطرنا مطرا كثر منه الكلاء ••• فقال له المعتصم ما الكلاء ؟ فقال : لا ادري فقال : (انا لله خليفة امي وكاتب عامي)[2] •

كما كان جاهلا بآداب الوزارة وفيه يقول بعض الشعراء[3] :ـ

سبحان ربي الخالق البارى	صرت وزيرا يا ابن عمــار
وكنت طحانا علـى بغلـة	بغـير دكـــان ولا دار
كفرت بالمقدار ان لـم تكن	قد خبرت في ذا كل مقـدار

وقيل ان احمد بن عمار من خاصة المعتصم وكان يتولى عرض الكتب عليه وان لم يكن وزيرا[4] •

ثم استوزر المعتصم محمد بن عبدالملك الزيات ، الذي اعاد للوزارة هيبتها وقوتها • وقد وصفه الجهشيارى بانه (كان نادرة وقته عقلا وفهما وذكاء وكتابة وشعرا وادبا وخبرة بآداب الرئاســة وقواعد الملوك ، نهض

---

(١) الفخرى ص٢١٢ ـ ٢١٣ •

(٢) ثم قال المعتصم من يقرب منا من كتاب الدار فعرض محمد بن عبدالملك الزيات فقال له : ما الكلاء فقال : النبات ، وذكر النباتات واصنافها فاعجب به المعتصــم ثم حضـى به حتى استوزره • الفخرى ص١٩٠ ، القلقشندى مآثر الاناقة جـ١ ص٢١٨ ـ ٢١٩ ، اليافعي مرآة الجنان جـ٢ ص١١١ •

(٣) الفخرى ص١٨٩ •

(٤) المسعودى التنبيه والاشراف ص٣٠٨ •

باعباء الوزارة نهوضا لم يكن لمن تقدمه من اضرابه وله ديوان شعر)[1] .

ويصفه صاحب الفخرى بقوله : (وكان جبارا متكبرا فظا غليظ القلب[2] . كما يصفه ابن خلكان بانه (كان من اهل الأدب الظاهر والفضل الباهر اديبا فاضلا عالما بالنحو واللغة)[3] . ويصفه ابن دكين بقوله : (كان شاعرا مجيدا بليغا مدح الحسن بن سهل بقصيدة فوصله بعشرة آلاف درهم)[4] . ويعتبره الدكتور الدوري خاتمة تلك السلسلة الذهبية من وزراء العصر العباسي الاول الذين ندر ان انتجت العصور المتأخرة مثلهم[5] . ولما ولي الواثق الخلافة استوزر محمد بن عبدالملك الزيات ايضا وبقي وزيرا حتى مات الواثق[6] . ويقول المسعودي : (وغلب على الواثق احمد بن ابي داود ومحمد بن عبدالملك الزيات ، فكان لا يصدر الا من رأيهما ، ولا يعتب عليهما فيما رآياه ، وقلدهما الامر وفوض اليهما ملكه)[7] .

ويبدو ان الواثق فوض وزراءه مسؤولية مهام الوزارة لما لمسه من قدرتهم وفطنتهم وقد كانت بين الواثق وابن الزيات منذ خلافة المعتصم خصومة ، وكان قد اقسم على انه ان ولي الخلافة ليقتلن ابن الزيات ، ولكن الواثق بالرغم من كراهيته له الا انه استبقاه وزيرا ، مما يدل على

---

(١) الجهشيارى نصوص ضائعة جمع كوركيس عواد ص٦٤ .

(٢) الفخرى ص١٩٠ .

(٣) ابن خلكان جـ٢ ص٥٤ ، الذهبي العبر جـ١ ص٤١٤ ، ابن النديم الفهرست ص١٨٣ ، ابن الخطيب تاريخ بغداد جـ٢ ص٣٤٢ .

(٤) ابن دكين روضة الاعيان ورقة ٣ ظ (مخطوط) .

(٥) الدورى العصر العباسي الاول ص٢٥٥ .

(٦) الخطيب البغدادي تاريخ بغداد جـ٢ ص٣٤٢ ، اليعقوبي جـ ٣ ص٢٠٨ ، المسعودي التنبيه والاشراف ص٣١٢ .

(٧) المسعودى مروج الذهب جـ٣ ص٤٧٧ .

مقدرته السياسية والادارية ، وعلى رجاحة عقل الواثق وتبصره بالامور . فلما استدعى الخليفة الوزير ، قال ابن الزيات : يا امير المؤمنين انا عبدك ان عاقبته فانت حاكم فيه ، وان كفرت عن يمينك واستبقيته كان اشبه بك ، فقال الواثق : (والله ما ابقيتك الا خوفا من خلو الدولة من مثلك ، وساكفر عن يميني فاني اجد المال عوضا ولا اجد عن مثلك عوضا ثم كفر عن يمينه واستوزره وقدمه وفوض اليه الامور)[1] .

وقيل عن الخليفة الواثق انه قال : (ان السلطان الى محمد بن عبدالملك احوج من محمد الى السلطان)[2] .

ويقول الوليد بن عباده[3] بما فيه من البلاغة :ـ

لتفننت في الكتابة حتى	عطل الناس فن عبدالحميد
في نظام من البلاغة ما	شك امرؤ انه نظام فريد
وبديع كانه الزهر الضا	حك في رونق الربيع الجديد

وقال فيه الفضل بن مروان : (ولا نعلم وزيرا وزر وزارة واحدة بلا صرف لثلاثة خلفاء منسقين غير محمد بن عبدالملك الزيات)[4] .

ولما تولى المتوكل الخلافة ابقى ابن الزيات في الوزارة ، الا انه كان يحقد عليه لسوء معاملته له في حياة اخيه الواثق ، فنكبه بعد اربعين يوما من توليه الخلافة[5] . وصادر امواله وعذبه حتى مات[6] .

---

(١) الفخرى ص١٩٠ ـ ١٩١ .
(٢) التنوخي نشوار المحاضرة ج٨ ص١٥ .
(٣) الخضري محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية ص٢٣٢ .
(٤) التنوخي نشوار المحاضرة ج٨ ص١٥ .
(٥) الطبرى ج١١ ص٢٩ ، ابن الاثير الكامل ج٧ ص١٣ ، ج١٠ ص٣١١ ، اليعقوبي ج٣ ص٢٠٩ ، المسعودى التنبيه والاشراف ص٣٣٤ .
(٦) الطبرى ج١١ ص٢٩ ، الفخرى ص١٩٢ ، اليعقوبي ج٣ ص٢٠٩ ، مسكويه تجارب الامم ج٦ ص٥٣٩ .

وكان ابن الزيات شـــديد القسوة قليـــل الرحمة للناس ، كثير الاستخفاف بهم ، لا يعرف له احسان ، وكان يقول : الحياء خنث ، والرحمة ضعف ، والسخاء حمق ، فلما نكب لم ير الا شامت به وفرح بنكبته ، وكان قد اتخذ للمصادرين والمغضوب عليهم تنورا فيه مسامير حديدية قائمة الى داخله ، وكان يعذب الناس فيه ، فلما غضب عليه المتوكل امر بادخاله في ذلك التنور ، فقال ابن الزيات للموكل به ان يأذن له في دواة وبطاقة ليكتب فيها ، فاستأذن المتوكل في ذلك فاذن له فكتب[1] :ـ

هي السبيل فمن يوم الى يوم ... كانه ما تريك العين في النوم

لاتتحيز عني رويدا انها دول ... دنيا تنقـل من قوم الى قوم

وينفرد ابن النديم برواية مفادها : ان سبب محاولة المتوكل قتل ابن الزيات هو اتهامه بالزندقة[2] .

واستكتب المتوكل بعد ابن الزيات رجلا من كتابه هو أحمد بن خالد ويقال له أبو الوزير ، غير انه لم يتلقب بالوزير ، ثم نكبه الخليفة واخذ منه مائتي الف دينار[3] .

واستوزر المتوكل أبا جعفر محمد بن الفضل الجرجرائي ، وكان شيخا ظريفا حسن الادب عالما بالغناء مشتهرا به ، ثم كثرت السعايات به فعزله المتوكل وقال : قد ضجرت من المشايخ اريد حدثا استوزره[4] . فاشير عليه بعبيدالله ابن يحيى بن خاقان ، وكان حسن الخط وله معرفة

---

(١) الفخرى ص١٩١ المسعودى مروج جـ٤ ص٦ ، ابن دكين روضة الاعيان (مخطوط) ورقة ٤ و ٥ ، اليعقوبي جـ٣ ص٢٠٩ ، اليافعي مرآة الجنان جـ٢ ص١١٣ ، ابن خلدون العبر جـ٣ ص٥٧٩ .

(٢) ابن النديم الفهرست ص٤٨٧ .

(٣) الفخرى ص١٩٢ ، المسعودى مروج الذهب جـ٤ ص٦ .

(٤) الفخرى ص١٩٢ .

بالحساب والاستيفاء ... وكان كريما حسن الاخلاق ، وكان كرمه يستر كثيرا من عيوبه ، وكان فيه تعفف[1] .

ويرى التنوخي ان منصب الوزارة ضعف لسيطرة الاتراك عليها ، وتسييرها حسب اهوائهم ورغباتهم فيقول : (جعل المتوكل الكتب باسم وصيف التركي ، وانتصب منصب الوزارة وان كان لم يسم بها ، فاختار من الكتاب عبدالله بن يحيى بن خاقان وصار امره يقوى ، فكان يعرض الاعمال عليه ، كما كان الوزراء يعرضونها ، وليس هو بعد قدير لها ، واثبت المتوكل اسمه ثم امر له الخليفة بعد زمن الوزارة ثم خوطب بها وكان وزيرا اميرا[2] .

وقد لعب الوزراء دورا خطيرا في مقتـــل المتوكل حيث قام الوزير عبدالله بن خاقان ونديمه الفتح بن خاقان بمهمة توسيع شقة الخلاف بين المتوكل والمنتصر وشجعاه على ابعاد المنتصر وتقريب المعتز وكانا سببا في مقتله[3] . وفي ذلك يقول السلمي[4] :ـ

لقد شد ركن الدين بالبيعة الرضا　　وصـار بعـد جعفر بن محمد

لمنتصـــر بالله اثبت عهـــده　　واكـد بالمعتز ثم المؤيـــد

وادعى المنتصر ان الفتح بن خاقان قتل اباه المتوكل فقتله به[6] .

ويمتدح الجاحظ الفتح بن خاقان ، ويثني على علمه وادبه بقوله :

---

(١) نفس المصدر السابق ص١٩٣ .

(٢) التنوخي نشوار المحاضرة جـ٨ ص١١ ـ ١٣ .

(٣) ابن الاثير الكامل ج ٧ ص ٣٠ ، ابن العمـــاد شذرات الذهب ج ٢ ص ١١٤ ، المسعودي مروج الذهب ج ٣ ص ٦٩ .

(٤) ابن العماد شذرات الذهب ج ٢ ص ١١٤ .

(٥) الطبري ج ١١ ص ٦٥ ، ابن الوردي ج ١ ص ٢٢٨ ، القلقشندي مآثر الانافة ج ١ ص ٢٣٧ .

(انا لم نر في صدر الدولة العباسية ولا في تاريخها وأيامها فتى اجتمعت له فضائل الملوك وآدابها ومكارمها ، فحاز الاختصاص في التفضيل من خلفاء بني العباس الطيبين ، والتبني من المعتصم بالله واخوته الابرار من ائمة المؤمنين عدا الفتح بن خاقان)[1] .

وقد صحب مقتل المتوكل ضعف الوزارة ، واختلال الادارة ، وازدياد استبداد الاتراك ، في أمور الدولة ، وعلى الخليفة نفسه ، وقد اشار صاحب الفخري الى ذلك بقوله (ان الاتراك كانوا قد استولوا منذ مقتل المتوكل على المملكة واستضعفوا الخلفاء ، فكان الخليفة في ايديهم كالاسير ، ان شاؤا ابقوه ، وان شاؤا خلعوه وان شاؤا قتلوه)[2] .

اما الوزراء فكانت تتحدد سلطتهم حسب قوة الخليفة وموقف الاتراك منه ، فسلطة الوزير من الناحية النظرية مستمدة ومفوضة من الخليفة ، ولكن عمليا كان نفوذ الاتراك يحدد من سلطة الوزير وصلاحياته .

فلما تولى المنتصر الخلافة سقطت هيبة الوزارة بسبب اختياره وزراء ضعاف لا خبرة لهم بأمور الدولة كأحمد بن الخصيب ، فكان هذا مقصرا في صناعته ، ومطعونا عليه في عقله ، وكانت فيه حدة وطيش ، ومن الامثلة على ذلك : انه ركب ذات يوم فتظلم اليه متظلم برقعة ، فاخرج رجله من الركاب فزج بها في صدر المتظلم فقتله ، فتحدث الناس بذلك فقال بعض الشعراء فيه :ـ

قل للخليفة يا ابن عم محمد	اشكل وزيرك انه ركال
اشكله عن ركل الرجال فان ترد	مالا فعند وزيرك الاموال
قد نال من اعراضنا بلسانه	ولرجله عند الصدور مجال[3]

(١) الجاحظ التاج في أخلاق الملوك ص ٧٨ .

(٢) الفخرى ص ١٩٧ .

(٣) الفخري ص ١٩٤ ، المسعودي مروج الذهب ج ٤ ص ٤٨ .

ومات الخليفة المنتصر وأحمد بن الصيب لا يزال وزيرا ، فلما اجتمع الاتراك على اختيار المستعين للخـلافة ، وبايعوه سنة ٢٤٨هـ • استبقى المستعين أحمد بن الخصيب وزيرا مدة شهرين ، ثم لم يلبث ان غضب الاتراك عليه واستصفوا أمواله ، فاختاروا للوزارة أبا موسى اوتامش ، وكان المتولى لامر الوزارة والقيم بها كاتب اتامش ، يقال له شجاع بن قاسم[١] •

وبعد مقتل اتامش تولى الوزارة ، أبو صـالح عبدالله بن يزداد ، وكان ذا فضل وأدب ، قويا حازما ، فحاول ارجاع هيبة الخلافة والوزارة ، فضبط الاموال ومنع الاتراك من تصرفهم بها ، فتهددوه بالقتل فهرب سنة ٢٤٩هـ[٢] •

وقيل غضب بغا الصغير على الوزير ابن يزداد فهرب[٣] •

واستوزر المستعين بعده محمد بن الفضل الجرجرائي ، فعزله بعد فترة قصيرة ، واستوزر عيدالله بن يحيى بن خاقان[٤] • واصبح الامر كله لبغا ووصيف ، وفي المستعين يقول بعض الشعراء[٥] :ـ

خليفة في قفص بين وصيف وبغا

يقول ما قالا له كما يقول الببغا

أقيل ابن خاقان من الوزارة ، وكان ذلك بفعل الاتراك ، فيروى المسعودي : « ان المستعين نفى أحمـد بن الخصيب الى اقريطش سنة ٢٤٨هـ ، ونفى عيدالله بن يحيى بن خاقان الى برقة ، واستوزر الخليفة

(١) المسعودي مروج الذهب ج ٤ ص ٦٠ ، ابن خلدون العبر ج ٣ ص ٥٩٨ ، مسكويه تجارب الامم ج ٦ ص ٥٦٦ •

(٢) الفخري ص ١٩٦ •

(٣) ابن الاثير الكامل ج ٧ ص ٣٩ •

(٤) الاربلي خلاصة الذهب المسبوك ص ١٦٦ •

(٥) المسعودي مروج الذهب ج ٤ ص ٦١ •

عيسى فرخانشاه)[1] .

ولعل هذا الاجراء كان بتأثير بعض الاتراك لان الوزير أحمد بن الخطيب أشار على المستعين ان يبايع أحمد بن المعتصم ، فبايعوه وانكر بعض الاتراك تولي ابي عبدالله المعتز بالله الخلافة ، واشتبك الاتراك معه في صراع مرير[2] . ومهما يكن من الامر فقد تولى المعتز بالله الخلافة سنة ٢٥٢هـ بعد خلع المستعين ، وكان الاتراك قد استولوا على شؤون الدولة منذ مقتل الخليفة المتوكل ، فسيطروا على الخلفاء ، حتى ان المعتز بالله حين تولى الخلافة جمع خواصه واحضروا المنجمين وقالوا لهم : انظروا كم يعيش ؟ وكم يبقى في الخلافة؟ وكان بالمجلس بعض الظرفاء فقال احدهم : انا اعرف من هؤلاء مقدار عمره وخلافته ، فقالوا له : فكم ؟ قال : مهما أراد الاتراك[3] .

وفي أيام المعتز بالله ازداد ضعف الوزارة وسقوط هيبتها حيث استوزر أبو الفضل جعفر الاسكافي ، ولم يكن له علم ولا دراية بأمور الوزارة ، ولكنه كان يستميل القلوب بالهدايا والعطايا ، وكان الخليفة المعتز يبغضه .

ويبدو ان بعض قادة الاتراك فرضه على الخليفة المعتز ، واتهم الوزير بالتشيع وثارت بسببه فتنة ، فعزله المعتز واستوزر بدله أبا موسى عيسى بن فرخانشاه .

ويبدو ان الاتراك نقموا عليه لانه احدث فتنة بين الاتراك فعزله المعتز[4] . واستوزر أبا جعفر أحمد بن اسرائيل ، وكان كاتبا حاذقا ،

---

(١) المسعودي مروج الذهب ج ٤ ص ٦١ ، اليعقوبي في ٣ ص ٢١٨ ، ابن خلدون العبر ج ٣ ص ٥٩٨ .

(٢) اليعقوبي ج ٣ ص ٢١٨ .

(٣) الفخري ص ١٩٧ .

(٤) الفخري ص ١٩٧ ـ ١٩٨ .

حاول تنمية موارد الدولة ، والمحافظة على الاموال ، ومنع الاتراك من الاستئثار بها ، فوثبوا عليه وضربوه ، واستصفوا أمواله ، فشفع المعتز وامه الى صالح بن وصيف قائد الجيش فلم يلتفت اليهما ، فحبسه وضربه ، واستحضر صالح بن وصيف جعفر بن محمود الاسكافي ، واستوزره للمعتز للمرة الثانية ، ولما تولى الوزارة قال له بعض الشعراء[1] :ـ

يا نفس لا تولعي بتعنيد وعللي القلب بالمواعيد

وانتظري قد رأيت ما ساقه الله الى جعفر بن محمود

ولم تكن للوزير أهمية تذكر فكانت الكتب تخرج باسم صالح بن وصيف وكأنه مرسوم بالوزارة[2] .

وبلغ من استبداد الاتراك بالامور ، ان امر صالح بن وصيف بضرب أحمد بن اسرائيل الذي كان وزيرا للمعتز ، وابي نوح عيسى بن ابراهيم كاتب قبيحة أم المعتز ، فضرب كل واحد منهما خمسمائة سوط بعد استخلاص اموالهما ، ثم طيف بهما على بغلين منكسين فماتا[3] .

ولما بويع المهتدي بالخلافة أقر جعفر الاسكافي على وزارته ، ثم عزله واستوزر سليمان بن وهب ، فعظمت هيبة الخلافة والوزارة في عهده ، وكان كما يقول صاحب الفخري (أحد كتاب الدنيا ، ورؤسائها ، فضلا وأدبا وكتابة ... واحد عقلاء العالم وذوى الرأي منهم)[4] . وبقي على وزارته للمهتدى حتى خلعا معا .

وبويع بالخلافة أبو العباس أحمد بن المتوكل سنة ٢٥٦هـ ولقب المعتمد على الله ، وكان مستضعفا والغالب على امره اخوه الموفق طلحة ،

---

(١) الفخري ص ١٩٨ .

(٢) الطبري ج ١١ ص ٨٦ ، المسعودي مروج الذهب ج ٤ ص ٨٤ .

(٣) ابن كثير البداية والنهاية ج ١١ ص ١٨ .

(٤) الفخري ص ٢٠٠ .

وكانا كالشريكين في الخلافة ، فارتفعت هيبة الخلافة لقيام طلحة بالامر والنهي وقيادة الجيش ، وحماية الثغور ، وتولية الوزراء ، فضـلا عن اخضاع ثورة الزنج .

كما ظهرت قوة الخلافة والوزارة ، نتيجة اختيـار الخليفة وزراء اكفاء قاموا باعباء الدولة خير قيام ، فانتعشت الوزارة باستيزار عبيدالله بن يحيى بن خـاقان ، اذ كان خبيرا بأحوال الرعايا والاعمال ضابطـا للاموال[1] .

ولما مات ابن خاقان استوزر الخليفة المعتمد ، الحسن بن مخلد بن الجراح ، كاتب اخيه الموفق ، وكان كما يقول صاحب الفخري (احـد كتاب الدنيا)[2] .

فكان له دفتر صغير يعمله بيده ، فيه أصول أموال الممالك ومحمولاتها بتواريخها ، فلا ينام كل ليلة حتى يقرأه ويتحقق ما فيه ، بحيث لو سئل الغد على أي شيء كانت منه ، أجاب من خاطره بغير توقف ولا مراجعة دستور . ولقب الموفق ، الحسن بن مخلد (ذا الوزارتين) تقديرا لخدماته للدولة[3] . ووجد هذا اللقب على دينار المعتمد سنة ٢٥٦هـ[4] .

وقد وصفه الشابشتي بانه (من رجالات الناس حزما وضبطا وكفاية وكرما ونبلا وكان كثير الصلوات والصدقات)[5] ثم سخط عليه موسى بن

(١) الفخري ص ٢٠٣ ، اليعقوبي ج ٣ ص ٢٩٩ ، ابن خلدون العبر ج ٣ ص ٦٤٣ .

(٢) الفخري ص ٢٠٤ .

(٣) السيوطي تاريخ الخلفاء ص ٢٤٢ .

(٤) محمد باقر الحسيني العملـة الاسلامية في العهـد الاتابكي ص ٢٣ .

(٥) الشابشتي الديارات ص ١٧٥ .

بغا واختفى[١] .

وقيل شكا اليه الموفق قلة الاموال اللازمة لارضاء العسكر فقال : والله ما لي حيلة أكثر من حط النفقات ومنع المرتزقين ، فعرض الموفق عليه زيادة الضرائب على التجار فرفض الوزير هذا الاقتراح .

وبدأ العداء بين الرجلين ، وخرج ابن مخلد الى بغداد ، وانتهى الامر بالقبض على الوزير واسرته ومصادرة أموالهم ، وبلغت ثروتهم أكثر من مليون درهم ، ولم يزل الوزير محبوسا الى سنة ٢٩٥هـ حيث مات في الحبس[٢] .

ومما نأخذه على الخليفة المعتمد ، على الرغم من اختياره نخبة طيبة من الوزراء ، الا انه اسرف في التولية والعزل ، ويعود ذلك بسبب تأثير الاتراك عليه ، كما وان الظروف السياسية التي احاطت بالدولة في خلافته كانت تستوجب عزل بعض الوزراء وتعيين من هم أكثر صلاحية ، نتيجة للظروف السياسية حينئذ ، لاسيما وان الخليفة كان مهتما بالقضاء على الثورات التي تهدد أمن الدولة ، كثورة الزنج ، هذا بالاضافة الى محاولة بعض الوزراء الاستئثار بالاموال ، واستبدادهم بالسلطة الى جانب ما حدث من صدام بين المعتمد وأحمد بن الموفق عندما هدد ابن الموفق برد سليمان ابن وهب للوزارة[٣] . فعزل المعتمد الحسن بن مخلد ، واستوزر سليمان ابن وهب وكان من اعظم الوزراء ، ومن كبار الكتاب ، فقد كتب للمأمون وهو حدث اذ كان عمره أربعة عشرة سنة ، ثم كتب لايتاخ التركي ، ثم لاشناس التركي وكان عظيم الكفاءة ، تولى خراج مصر سنة ٢٤٢هـ ، وولى الوزارة للمعتز وللمهتدى ثم للمعتمد سنة ٢٦٣هـ ، ونقم عليه الموفق

---

(١) ابن خلدون العبر ج ٣ ص ٦٤٤ .

(٢) الشابشتي الديارات ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .

(٣) ابن كثير ج ١١ ص ٣٦ ، الطبري ج ١١ ص ٢٥١ ، (وقد تولى سليمان بن وهب والحسن ابن مخلد الوزارة أكثر من مرة) .

فحبسه في سنة ٢٦٥هـ هو وابنه عبيدالله ، واخذ اموالهما واملاكهما ، ثم صالحه على تسعمئة الف دينار ، ثم نقم عليه مرة أخرى فحبسه ، فمات في حبسه سنة ٢٧٢هـ[١] .

واستوزر المعتمد ابي الصقر اسماعيل بن بلبل ، وكان كريما بلغ من الوزارة مبلغا عظيما ، وجمع له السيف والقلم ، فنظر في امر العساكر أيضا وسمى (الوزير الشكور) ولم يلبث فترة حتى قبض عليه المعتمد وحبسه وقتله واصطفى أمواله[٢] .

واستوزر المعتمد بعده أحمد بن صالح بن شيرزاد ، وكان كاتبا بليغا بارعا مجيدا في النظم والنثر ، ومكث في الوزارة نحو شهر ثم صرف عنها ومات سنة ٢٦٦هـ .

وتولى الوزارة بعده عبيدالله بن سليمان بن وهب ، وكان من كبار الوزراء والكتاب بارعا في صناعته ، حاذقا ماهرا ، لبيبا جليلا[٣] .

وهكذا تعتبر الفترة الاولى من العصر التركي فترة تميزت بضعف الخلافة والوزارة . اذ سقطت هيبة الوزارة على الرغم من وجود نخبة طيبة من الوزراء ، الا ان سيطرة الاتراك على الخلافة ، ووقوع الخلفاء تحت تأثيرهم أدى الى الاسراف في تولية الوزراء وعزلهم ، وخصوصا اولئك الوزراء الذين حاولوا الحد من استبداد الاتراك واستئثارهم بالاموال ، بل تدخل الاتراك أيضا حتى في اختيار الخليفة ، كما حدث في اختيار المتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز ، كما اقدم الاتراك على الخلاص من الخلفاء بالقتل والسمل ، كما حدث للمتوكل والمعتز والمهتدى .

---

(١) الجهشياري نصوص ضائعة جمع كوركيس عواد ص ٦٥ ، ابن الجوزي المنتظم ج ٥ ص ٤٥ ، ابن خلكان ج ١ ص ٢١٧ ، ياقوت معجم الادباء ج ٢٠ ص ٣٥ .

(٢) الفخري ص ٢٠٤ .

(٣) نفس المصدر السابق ص ٢٠٦ .

٢ ـ سياسة الوزارة المالية في عصر النفوذ التركي •

لاشك ان الوزراء يقومون بدور رئيسي في المحافظة على نظام الحكم وتدعيمه وتثبيت أركان الدولة عن طريق اختيار اداريين اكفاء يديرون الاقاليم المختلفة واختيار القادة من ذوي الكفاءة العسكرية ، وتعبئة الجيوش ، وتنظيم جباية الاموال وصرفها ، كما قد يكون الوزراء أحيانا أخرى اداة فعالة في تقويض كيان الدولة عن طريق اختيار شخصيات ادارية وعسكرية لا خبرة لها ولا دراية لها في واجباتها ، أو حين يقوم الوزراء بابتزاز أموال الدولة وانفاقها دون تنظيم أو تخطيط ، وبذلك يقوضون دعائم الدولة •

وقد ظهر في الفترة الاولى من العصر التركي بعض الوزراء والعمال الذين كان همهم الوحيد هو ابتزاز أموال الجباية ، كما اتبعوا أسلوب المصادرة كوسيلة لتوفير الاموال للدولة ولهم أيضا ، وأصبحت بمرور الزمن سنة يلجأ اليها الوزراء والخلفاء والعمال ، فانتشرت الرشوة ، وضاعت الحقوق ، وانتشرت الفوضى والاضطرابات في الدولة ، اذ لم يكن الوزراء والعمال يكتفون بما يحصلون عليه من مرتباتهم واقطاعاتهم بل اتبعوا أساليب نهب أموال الجباية والمصادرة الى جانب ما يحصلون عليه من الهدايا التي كانت تقدم لهم في المناسبات المختلفة ، فأصبحت لديهم نتيجة ذلك أموال طائلة • الا ان هذه الاموال كانت مهددة دائما بالمصادرة ، لان الوزير اذا تعرض لغضب الخليفة عزله أو سجنه أو قتله بالاضافة الى مصادرة أمواله ، وأموال خاصته وأعوانه وأهله ، مما أدى الى رفض بعض الشخصيات قبول منصب الوزارة •

وقد شمل الاستصفاء سائر رجال الدولة بل والرعية أيضا ، فالعامل

يستصفي أموال الرعية ، والوزير يستصفي مما للعمال ، والخليفة يستصفي أموال الوزير وسائر الناس على اختلاف طبقاتهم ، حتى انهم انشأوا في العصر العباسي الثاني ديوانا للاستصفاء مثل سائر دواوين الحكومة[١] . يدعى (ديوان المصادرين)[٢] وقل ان ينجو الوزير من النكبة اذا طالت أيامه لان الخليفة اذا احتاج الى المال ولم يجده في خزائنه يدرك ان وزيره قد اثرى وعبث بأموال الدولة ، فينقلب على وزيره ، فيصادر أمواله وربما يسجنه أو يقتله[٣] .

وأدى ما صحب فترة سيادة النفوذ التركي من الفتن والاضطرابات وظهور الحركات الاستقلالية ، الى قلة الاموال الواردة الى خزينة الدولة ، بالاضافة الى الاموال الكثيرة التي انفقها الاتراك على رفاهيتهم ، والى جانب الاموال العظيمة التي انفقتها اسرة الخليفة أو الوزراء ، وما انفق منها في تجهيز الجيوش والعساكر لقتال الخارجين على الدولة ، فضعف مركز الوزير وأصبح عاجزا عن توفير الاموال اللازمة لانفاقها في وجوهها الضرورية .

وحينما تولى المعتصم الخلافة استوزر الفضل بن مروان ، حتى اذا خرج لغزو الروم استخلفه في العاصمة سامراء ، فلما عاد من الغزو طمع في مال وزيره وقال له : قد وردت وقد ذهب المال ، والجيش مستحق فاحتال لي مائة ألف دينار من مالك وجاهك ففعل ، وبعد شهر طلب الخليفة من الوزير خمسين ألف دينار فاداها له ، ثم عاد الخليفة يطلب أيضا ثلاثين ألف دينار أخرى فحملها الوزير اليه ، فعلم الوزير ان

---

(١) أحمد فريد الرفاعي عصر المأمون ص ٣١٢ ـ ٣١٣ .

(٢) مسكويه تجارب الامم ج ١ ص ٢١ ، ص ١٥٤ ، الصابىء الوزراء ص ٣١٠ .

(٣) محمد كرد علي الاسلام والحضارة العربية ج ٢ ص ٢٤٠ .

المعتصم قال لابنه الواثق : هذا النبطي بن النبطيه اخذ مالي جملة وهو ذا يتصدق على به تفاريق . ثم قبض الخليفة على الوزير بعد أيام ، واخذ منه أربعين مليون درهم[1] .

وقد روى الوزير حامد بن العباس عن الوزير الفضل بن مروان انه قال : « ما في الارض اجهل من وزير يطلب الخليفة منه مالا وهو في ولايته فيعطيه اياه ، فانه يطعمه في نعمته ، وانما يدفع النكبة مدة ثم تحدث وقد ذهب المال[2] .

وتولى الوزارة بعد الفضل بن مروان ، محمد بن عبدالملك الزيات ، الذي بقي في منصبه طيلة أيام المعتصم والواثق وانتهى امره في خلافة المتوكل ، حيث امر الخليفة بوضعه في التنور ومصادرة أمواله[3] . ولما طلب الواثق الاموال ولم يجدها أمر في سنة ٢٣٩هـ بحبس الكتاب والزامهم بتأدية الاموال ، فدفع أحمد بن اسرائيل الى اسحق بن يحيى بن معاذ صاحب الحرس ، وامر بضربه في كل يوم عشرة أسواط ، فضربه فيما قيل نحوا من الف سوط فادى ثمانين ألف دينار ، واخذ من سليمان بن وهب كاتب ايتاخ اربعمائة ألف دينار ، ومن الحسن بن وهب أربعة عشر ألف دينار ، ومن أحمد بن الخصيب وكتابه مليون دينار ، ومن ابراهيم ابن رباح وكتابه مائة ألف دينار ، ومن نجاح ستين ألف دينار ، ومن ابي الوزير صلحا مائة ألف وأربعين الف دينار ، وذلك سوى ما اخذ

---

(١) التنوخي جامع التواريخ ج ٨ ص ٣٠ ، أبو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٣٣ .

(٢) التنوخي جامع التواريخ ج ٨ ص ٢٩ .

(٣) ابو الفدا المختصر في اخبار البشر ج٢ ص٣٩ .

من العمال بسبب عمالاتهم[1] .

ولما طلب الخليفة المتوكل المال من وزيره أحمد بن ابي داود ، وعجز هذا الوزير عن توفيرها للخليفـــة ، غضب المتوكل عليه وامر بالتوكيل بمصادرة أمواله وحبسه هو وأولاده وأخوته ، وبلغت الاموال المصادرة (١٢٠) ألف دينار وكثيرا من الجواهر[2] .

ويبدو ان اسراف المتوكل في مصادرة أموال الوزراء والكتاب يعود الى حاجته الشديدة للاموال ، وعجز الوزراء عن توفيرها للخليفة ، والاعتقاد بان أسلوب المصادرة خير وسيلة لاسترداد بعض أموال الدولة التي استولى عليها الوزراء بطريقة غير شرعية ، كما ان بذخ الخليفة واسرته والاموال الطائلة التي انفقها على بناء القصور جعلته في حاجة دائمة الى أموال كثيرة فقد انفق المتوكل مثلا على بناء البرج مليون وسبعمائة الف دينار[3] . كما انفق في بناء (الماحوزه) أكثر من مليون دينار[4] .

تبع مقتل المتوكل استبداد الاتراك بالحكم ، وتطاولهم على الخلافة بحيث أصبح الخليفة آلة يحركونها كيف شـــاءوا ، وظهرت حركات انفصالية وانتشرت الاضطرابات في البلاد ، وخاصة في فارس ومصـر ، واختلت نظم الادارة ، وتضاءلت أهمية الوزارة ، وضعف مركز الوزير ، واخذ القواد يتحكمون في اختيار الوزراء وعزلهم ، كما أصبح لكل وزير أنصار من القواد والكتاب ، وهؤلاء يأملون من الوزير السماح لهـــم بالحصول على الاموال والمناصب ان هو تولى الوزارة ، لذا نجد ان كل

---

(١) الطبري ج ١١ ص ١٠ ، أبو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٥٦ ، التنوخي نشوار المحاضرة ج ١ ص ٨٧ ، مسكويه ج ٦ ص ٥٢٧ .

(٢) مسكويه تجارب الامم ج ٦ ص ٥٤٧ .

(٣) اليعقوبي ج ٣ ص ٢١٥ .

(٤) الطبري تاريخ ج ١١ ص ٦٠ .

وزير يعزل أو ينكب تصادر أمواله وأموال أعوانه • ويستولي الوزير الجديد على الاموال المصادرة ، بعد ان يدفع الوزير للخليفة قدرا من هذا المال المصادر[1] •

ولما توفي المنتصر اتفق كبراء الاتراك على تولية المستعين الخلافة ، فاستوزر اتامش أحد زعماء الاتراك ، واطلق المستعين يد وزيره اتامش في أمور الدولة ، فهيمن هو وشاهنك الخادم على بيوت الاموال ، فكانت الاموال التي ترد على السلطان من الافاق يستولي الاتراك عليها ، فعمد اتامش الى ما في بيوت الاموال فاستولى على ما فيها ، وكانت الرعية تنظر الى الاموال تبعثر في ألم وحسرة ، فثاروا على اتامش سنة ٢٤٩هـ فقتلوه هو وكاتبه شجاع بن القاسم جزاء استئثارهم بأموال المسلمين[2] •

ضاق المستعين من نفوذ الاتراك فاضطر الى الرحيل الى بغداد ، وحاول اقناعه بالعودة الى سامراء فأبى ، فالقوا به في السجن وولوا المعتز ، فسيطر المعتز على بيت مال المستعين فوجد به خمسمائة ألف دينار كما وجد بيت مال أم المستعين مليون دينار ، ووجد في بيت مال العباس بن المستعين ستمائة ألف دينار[3] •

سيطر الاتراك على المعتز ، واستولوا على الامور ، واصطفوا الاموال لانفسهم[4] • ففرغت بيوت المال ، وطالب الجند بأرزاقهم ، وعجز الوزير عن توفير المال للجند فطالبوا المعتز بها ، ولم يكن عنده مال يعطيهم ،

---

(١) الدوري العصور العباسية المتأخرة ص ١٩٢ •

(٢) الطبري ج ١١ ص ٨٦ ، ابن الاثير الكامل ج ٧ ص ٣٩ ، ابن خلدون العبر جـ٣ ص٦٠١ ، أبو الفدا المختصر في اخبار البشر جـ٢ ص ٢٥ •

(٣) الطبري ج ١١ ص ٩٥ ، ابن كثير البداية ج ١١ ص ٧ •

(٤) ابن العماد شذرات الذهب ج ٢ ص ١٢٨ •

فارسل المعتز وسأل امه قبيحة في ذلك ، فقالت : ما عندي شيء ، فاتفق الاتراك والمغاربة والفراغنة على خلعه ، فدخلوا عليه وجروه من رجله ، وضربوه بالدبابيس واقاموه في الشمس ، ثم ادخلوه سردابا وجصصوه عليه فمات[1] .

وصادر مقدم الاتراك صالح بن وصيف أموال قبيحـــة أم المعتز ، واخذ منها ثلاثة ملايين دينار ثم نفاها الى مكة[2] .

ثم صادر صالح بن وصيف أموال أحمد بن اسرائيل ، وعيسى بن ابراهيم كاتب قبيحة وضربهما حتى ماتا[3] .

ويبدو ان المعتز كان عاجزا عن اتباع سياسة اسلافه من الخلفاء في مصادرة أموال الوزراء والكتاب والعمال لتوفير الاموال له فلقي حتفه نتيجة افلاس خزائنه وسوء تدبيره .

وبويع المهتدى بالخلافة سنة ٢٥٥هـ ، فاستوزر سليمان بن وهب ، وانتعشت الوزارة في عهده ، وقام بالامور خير قيام طيلة خلافة المهتدى .

ولما تولى المعتمد الخلافة كانت البلاد في فوضى واضطراب ، وطغيان النفوذ التركي في البلاد ، وفساد نظام جباية الضرائب ، وانعدام الاموال وكثرة النفقات العسكرية ، لمقاومة الحركات الانفصالية والفتن الداخلية ، وقلة وسائل توفير الاموال ، الى جانب قيام ثورة الزنج .

فحاول الخليفة المعتمد مواجهة هـــذه المشاكل بكل دقة واحكام ، فاسند قيادة الجيش الى اخيه الموفق ، واسترد النفوذ للعباسيين من الاتراك ، واختار وزراء اكفاء عملوا على تنظيم الادارة وجباية الضرائب ، ومن هؤلاء

---

(١) أبو الفدا المختصر في اخبار البشر جـ٢ ص٤٨ .

(٢) ابو الفدا ج ٢ ص ٤٩ ، ابن العماد الشذرات ج ٢ ص ١٣١ .

(٣) ابن كثير البداية والنهاية ج ١١ ص ١٧ .

الوزراء الاكفاء سليمان بن وهب[1] .

ولعل المعتمد لم يحد عن الاسلوب الذي اتبعه اسلافه من الخلفاء وخاصة أسلوب المصادرة ، فأصبح من تقاليد الخلافة العباسية ان يقلد الخليفة أحد القواد المتقدمين الذين يفهمون المناظرة لاستخراج أموال الوزراء ، فلما تقدم سليمان بن وهب في وزارته للمعتمد بمناظرة الحسن ابن مخلد الذي انشد :

من صادر الناس صادروه وكابر الناس كابروه
وباهتوه الحقوق بهتا وبالاباطيل ناظروه
بمثل ما راح من قبيح أو حسن منه باكروه[2]

ويذكر التنوخي أيضا ان الخليفة المعتمد احتاج الى الاموال وطالب وزيره سليمان بن وهب توفيرها له ، فعجز الوزير عن تهيئتها له ودافعه بذلك فقبض عليه وقال له : قد تقلدت منذ أيام المعتز والى الان اعمالا متوالية منها الوزارة للمهتدى ، وأمرة الجبل وغير ذلك ، وما نكبت ولا صودرت ، واريد منك خمسمائة ألف دينار[3] .

وخلاصة القول : عمل وزراء الفترة الاولى من العصر العباسي الثاني على سلب أموال الدولة ، ومصادرة أموال الوزراء السابقين وأموال الولاة ، وكان الخليفة اذا احتاج الى المال ووجد خزائنه فارغة عمد الى مصادرة وزيره ، نتيجة عجز هؤلاء الوزراء عن تنظيم الجباية ، وتنمية موارد الدولة ، فيتعذر على الوزير توفير الاموال اللازمة ، فيلجأ الخليفة الى مصادرة أموال الوزير، وأصبح ذلك سنة سار عليها خلفاء بني العباس في هذا العصر .

---

(١) أحمد شلبي التاريخ الاسلامي ج ٤ ص ٣١ .

(٢) التنوخي نشوار المحاضرة ج ٨ ص ٨٥ .

(٣) نفس المصدر السابق ج ٨ ص ٥٤ .

الفصل الرابع :

الوزارة في أواخر عصر النفوذ التركي
وعصر أمرة الامراء

١ ـ الخلافة والوزارة في أواخر عصر النفوذ التركي

٢ ـ الوزارة في عصر امرة الامراء

٣ ـ تدخل الحريم والجيش في اختيار الوزير وعزله

٤ ـ المنافسة والمساومة على الوزارة

١ ـ الخلافة والوزارة في أواخر عصر النفوذ التركي

تعتبر عهود المعتمد والمعتضد والمكتفي من العصور المجيدة في تاريخ الدولة العباسية ، لما امتازت به من القوة بالنسبة لما سبقته من عهود وما تلاه من العصور ، ويرجع سبب ذلك : الى ان امراء الترك أصبح من العسير عليهم التدخل في شؤون الخلافة ، أو التطاول على سلطة الخليفة اذ كان هؤلاء الخلفاء على جانب كبير من القوة والحزم ، فانتعشت الخلافة والوزارة عن العصر السابق ، وظهرت هيبة الدولة وقوتها ، وانصرف الخلفاء للقضاء على الخارجين على طاعة الدولة ، وعلى الحركات الانفصالية ، ونجحوا في ذلك لقوة شخصيتهم ، ولمقدرتهم السياسية والعسكرية ، ولاعتمادهم على شخصيات ذات كفاءة نادرة ، وثم القضاء على الثورات وخاصة ثورة الزنج[١] .

انتعشت الخلافة موقتا بين سنتي ٢٥٦ ـ ٢٩٥هـ ، وتقلص نفوذ الاتراك حتى خلافة المقتدر الذي انتهى حكمه سنة ٣٢٠هـ ، بعد حرب بينه وبين الاتراك ، وبعد قتل الخليفة المقتدر عادت سيطرة الاتراك على السلطة من جديد ولكن سلطات الاتراك لم تعد على ما كانت عليه من قبل ، كما ضعفت الخلافة مما شجع على انفصال بعض الدويلات عن جسم الدولة العباسية ، وقيام الثورات في مختلف أنحاء البلاد ، مما أدى الى عجز خزانة

---

(١) ورغم ادعاء صاحب الزنج بانه ينتسب الى الفاطميين الا انه نادى بمبادىء الخوارج واتضحت خطورة ثورة الزنج اذ انها قامت في وقت متقارب مع قيام ثورة القرامطة ، ولكن الثورتين لم تنجحا في توحيد جهودهما ، وانصرف معظم الناس عن تأييد ثورة الزنج لما صاحبها من مظاهر العنف والارهاب .

(من بحث الدكتور علي حسني الخربوطلي بمجلة الهلال) .

الدولة عن دفع رواتب الجند واستمر التدهور حتى سنة ٣٢٤هـ ، حيث ضعف منصب الوزارة ، وأصبح الوزير عاجزا عن توفير الاموال ، مما اضطر الخليفة الى استحداث منصب (امير الامراء) الذي يعبر حقيقة عن ضعف الخلافة والوزارة .

ويبدأ عصر قوة الخلافة وانتعاش الوزارة بخلافة المعتضد بالله ، الذي استهل عهده في رجب سنة ٢٧٩هـ ، بالعمل على توطيد دعائم الخلافة ورفع شأنها ، واضعاف سلطة الاتراك ، فكان شديد الوطأة عليهم ، فهابه الناس وهدأت الفتن في عهده حتى انه كان يسمى (السفاح الثاني) لانه جدد ملك بني العباس ، وقد مدحه ابن الرومي بقصيدة منها[1] :ـ

هنيئــا بني العباس ان امامكم	امام الهدى والبأس والجود احمد
كما بأبي العباس انشىء ملككم	كـذا بأبي العباس أيضا يجـدد
امام يظـل الاسى يعمل نحـوه	تلهف ملهـوف ويشتاقه الغـد

ولكن لم يخل عصر المعتضد من ثورات وفتن ، الا انه استطاع ان يقضي على بعضها ، وان يضع مـن شوكة البعض الاخر ، ومن هـذه الثورات التي ظهرت في عهده كثورة القرامطة وحركاتهم[2] . فأعـد

(١) السيوطي تاريخ الخلفاء ص ٢٤٦ ، الكتبي فوات الوفيات ج ١ ص ٨٣ ، الاربلي خلاصة الذهب ص ١٧٣ ، العصامي سمط النجوم العوالي ص ٣٥٠ .

(٢) القرامطة : وكان ابتداء امرهم ان رجلا منهم قدم من ناحيـة خوزستان الى سواد الكوفة ، يظهر الزهد والتقشف ويأكل من كسب يده ويكثر الصلاة ، وكان يقول : ان الصلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة ، ثم اعلم الناس انه يدعو الى الامام من آل بيت الرسول ، فلم يزل على ذلك حتى استجاب له جمع كثير ، وكان يأخذ من الرجل الذي اجابه دينارا ويزعم انه للامام ، واتخذ له اثنى عشر نقيبا امرهم ان يدعو الناس الى مذهبه ، وقال لهم انتم كحواري عيسى بن مريم . (ابن الاثير الكامل ج ٧ ص ١٤٧ ـ ١٤٨ ، المسعودي مروج الذهب ج ٤ ص ١٨١) .

المعتضد الجيوش لقتالهم ، وكان هذا الخليفة يتصف بالمقدرة فيصفه ابن الجوزي بقوله (وكان من رجالات بني العباس واكثرهم تجربة)[1] .

كما قال ابن المعتز فيه أيضا :ـ

يا أمير المؤمنين المرجى — قد اقر الله فيك العيونا
انت اقررت مشاكل نفسي — وفرشت الارض للخائفين

ويقول صاحب فوات الوفيات عن المعتضد أيضا : (وكان شجاعا مهابا وافر العقل ظاهر الجبروت شديد الوطأة ... يقدم على الاسد وحده بشجاعته وكان يبخل ويجمع المال ، وفي أيامه سكنت الفتن لعظم هيبته ... واسقط المكوس ، ونشر العدل ، ورفع المظالم عن الرعية)[2] . ويصفه الدميري بانه كان (عادلا ذا هيبة مع سطوة وجبروت ، وحزم وذكاء مفرط في احكامه)[3] .

واستطاع المعتضد بحزمه وشجاعته ان يقضي على خصومه ، وعلى الثورات والحركات الانفصالية ، ومن هذه الثورات ، ثورة قام بها محمد ابن الحسن بن سهل وهو ابن اخي الوزير الفضل بن سهل ، وتآمر مع عبدالله بن المهتدى على قتل المعتضد فالقى المعتضد القبض عليهما ثم عفا عن ابن المهتدى ، وقتل محمد بن الحسن بن سهل وصلبه[4] .

وفي سنة ٢٨١هـ ، تقدم المعتضد الى الموصل لاخماد ثورة قام بها الاعراب والاكراد ، وهزمهم ، وفي سنة ٢٨١هـ تقدم المعتضد الى الشام لقتال وصيف الخادم الذي خلع طاعة الخليفة فألقى القبض عليه وحمله الى بغداد وصلبه[5] . وفي سنة ٢٨٣هـ ظفر المعتضد بهارون الشاري زعيم

---

(١) ابن الجوزي المنتظم ج ٥ ص ١٢٣ .
(٢) الكتبي فوات الوفيات ج ١ ص ٨٣ ـ ٨٤ ، القرماني ص ١٦٤ .
(٣) الدميري ص ١٠٠ ، ابن كثير البداية والنهاية ج ١١ ص ٨٦ .
(٤) المسعودي مروج الذهب ج ٤ ص ١٥٥ .
(٥) المسعودي مروج الذهب ج ٤ ص ١٧٨ .

الخوارج بالجزيرة وصلبه[1] .

وفتح المعتضد في سنة ٢٨٥هـ حصن آمد كما فتح قنسرين ، وفي سنة ٢٨٧هـ اعاد المعتضد نفوذ الخلافة وسيطرتها على بلاد ما وراء النهر وخراسان كما عدل المعتضد نظم الخراج وامر بالتخفيف عن الناس ، كما ابطل بعض العادات والتقاليد المأخوذة عن المجوس ، وخاصة في عيد النيروز[2] .

وفي سنة ٢٨٩هـ قبض المعتضد على زعيم القرامطة بسواد الكوفة وقطع اطرافه ثم قتله)[3] .

ينسب المؤرخ المسعودي نجاح المعتضد الى انه : (كان سريع النهضة عند الحادثة قليل الفتور ، ينفرد بالامور ويمضي تدبيره بغير توقف ، ولى الامر بضبط وحركة وتجربة ، فكف من كان يتوثب ويتشغب من الموالي)[4] .

كما اشار ابن طباطبا بجهود المعتضد فقال : (ولي المعتضد والدنيا خراب والثغور مهملة ، فقام قياما مرضيا حتى عمرت مملكته ، وكثرت الاموال وضبطت الثغور ، وكان قوى السياسة ، شديدا على أهل الفساد ، حاسما لمواد اطماع عساكره عن اذى الرعية ، فلما مات ترك في خزانته

---

(١) الذهبي العبر في خبر من غبر ج ٢ ص ٦٦ .

(٢) ابن الوردي ج ١ ص ٢٤٥ ، ابن كثير ج ١١ ص ٧٠ ـ ٧٢ ، اليافعي ج ٢ ص ١٩٨ ، القلقشندي مآثر الانافه ج ١ ص ٦٤ ، أبو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٨٦ .

(٣) ابن العبري تاريخ مختصر الدول ص ٢٦٢ ، ص ٢٦٣ .

(٤) المسعودي التنبيه والاشراف ص ٣٢٠ .

بضعة عشر ألف ألف دينار سنة ٢٨٩هـ)[1] .

وقد مدح ابن المعتز المعتضد فقال[2] :-

اما ترى ملك بني هاشم عاد عزيزا بعد ما ذللا
يا طالبا للملك كن مثله تستوجب الملك والا فلا

وعلى الرغم مما بذله المعتضد من الاموال لاعداد الحملات العسكرية ، وقتال الخارجين على الدولة الا انه كما يقول المسعودي : (خلف في بيوت الاموال تسعة آلاف ألف دينار ، ومن الورق أربعين ألف ألف درهم ، ومن الدواب والبغال والجمازات والحمير والجمال اثني عشر ألف رأس)[3] .

وتوفي المعتضد سنة ٢٨٩هـ ، وبويع ابنه المكتفي بالخلافة (٢٨٩ - ٢٩٥هـ) (٩٠٢ - ٩٠٨م) ، وقد سار على سياسة أبيه في قتال الخارجين على الدولة ، واعادة هيبة الخلافة ، فواصل جهود أبيه في قتال القرامطة الذين استفحل شرهم في أرجاء الدولة الاسلامية فتقدم من بغداد الى الرقة ، وانفذ الجيوش لقتالهم ، ونجح في القضاء على زعيم القرامطة[4] . في

---

(١) الفخري ص ٢٠٧ ، ابن كثير ج ١١ ص ٨٦ ، أبو الفدا ج ٢ ص ٦٣ .

(٢) السيوطي تاريخ الخلفاء ص ٢٤٦ ، العصامي ص ٣٥٠ .

(٣) المسعودي المروج ج ٤ ص ١٤٤ .

(٤) القرامطة : وأول من خرج من القرامطة في الشام يحيى بن بهرويه القرمطي وهم طائفة اباحية يدعون الى الامام الحق بعد النبي ، وهو محمد ابن الحنفية ، وينسبون اليه أقاويل باطلة لا أصل لها ، فقاتلهم المكتفي وقتله فقام بعده أخوه الحسين ، وظهر ابن عمه عيسى بن مهرويه ويلقب (المدثر) وزعم انه المراد بالسورة الشريفة (يا ايها المدثر) ، ولقب غلاما بالمطوق بالنور ، وزعم انه المهدي ، ودعا لنفسه على المنابر وافسد بالشام وعاث بها ، فحارب المكتفي الثلاثة وقتلهم سنة ٢٩١هـ) (العصامي سمط النجوم العوالي ص ٣٥٣) .

معرة النعمان ، كما القى القبض على صاحب الشامة القرمطي ، وعلى ابن عمه المدثر فسار بهم من الرقة الى بغداد حيث قتلهم[1] .

وفي سنة ٢٩٢هـ استرد المكتفي مدينة دمشق كما استعاد حكم مصر ، فكان يحكمها هارون بن خمارويه فقتله ، كما قبض على الطولونيين واستصفى مالهم وقيدهم وحملهم الى بغداد[2] .

وفي سنة ٢٩٤هـ عاد خطر القرامطة وهاجموا قوافل الحجاج في طريق العراق وقتلوا كثيرا منهم ، وسلبوا أموالهم ، وكان زعيم القرامطة حينئذ هو (زكرويه) فجهز المكتفي جيشا نجح في هزيمة زكرويه واسره ، وقدم العسكر برأسه الى بغداد فطيف بها[3] .

وعاود القرامطة هجومهم على قوافل الحجاج ، ثم اغاروا على مكة ، واقتلعوا الحجر الاسود من الكعبة ، فبذل المكتفي كثيرا من الجهود والاموال في محاربتهم حتى قضى عليهم[4] .

وعمل المكتفي على التقرب من الرعية والاحسان عليهم ، فأمر بهدم المطامير التي كان المعتضد قد اتخذها لتعذيب المجرمين . كما اطلق سراح من كان محبوسا فيها ، وأمر برد المنازل التي كان المعتضد قد اتخذها للمطامير الى اصحابها ، فمالت قلوب الرعية اليه وكثر الدعاء له[5] .

ورغم كثرة الاموال التي انفقها في اعداد الجيوش ، وفي اجتذاب قلوب الرعية فانه حين مات ترك في بيوت الاموال ثمانية ملايين دينار

---

(١) ابن الوردي تاريخ ج ١ ص ٢٤٧ ، المسعودي مروج الذهب ج ٤ ص ١٩٠ ، العصامي سمط النجوم العوالي ص ٣٥٣ .

(٢) ابن الوردي ج ١ ص ٢٤٨ ، اليافعي ج ٢ ص ١٩٨ .

(٣) ابن الوردي ج ١ ص ٢٤٩ .

(٤) الاربلي خلاصة الذهب المسبوك ص ١٧٤ .

(٥) المسعودي مروج الذهب ج ٤ ص ١٨٧ .

وخمسة وعشرين مليون درهم[1] .

أدى ازدهار الخلافة في عهد المعتضد والمكتفي الى ارتفاع شأن الوزارة من جديد ، فقد انتعشت سلطة الخلفاء في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وتطور نظام الوزارة الى الذروة ، ورغم ان سلطة الوزير ظلت تعتمد على رضا الخليفة الا ان الوزير بعد تفويض السلطة اليه ، كان يلعب الدور المهم في تسيير دفة الحكم ، ورغم ان الجيش كان تحت سلطة الوزير، الا ان هذه السلطة ضعفت بصورة تدريجية ، واصبح ابرز اعمال الوزير ادارة الامور المالية في الدولة والاشراف على تنظيم الميزانية وجباية الضرائب، والاموال ، وتولية وعزل الولاة في ارجاء الامبراطورية العباسية .

ويعزى نجاح المعتضد والمكتفي ، وازدهار عهديهما الى مقدرتهما في اختيار وزرائهما من ذوى المقدرة والكفاية الادارية والمالية ، ونخص بالذكر منهم الوزير عبد الله بن سليمان بن وهب ، وهو سليل اسرة نابهة الشأن ، فقد تبوأ سبعة من اسلافه المناصب الكبرى في الحكومة ، كما تبوأها بعد ذلك اثنان من ابنائه[2] .

فلما تولى المعتضد الخلافة سنة ٢٧٩ هـ استوزر عبد الله بن سليمان ابن وهب ارسله الى الجبل سنة ٢٨٣ هـ لحرب ابن ابي دلف باصبهان[3] . واستمر يلي الوزارة حتى مات سنة ٢٨٨ هـ . فلما علم المعتضد بموته خر ساجدا ، فقيل له : يا امير المؤمنين لقد كان عبد الله يخدمك وينصح لك . فقال : انما سجدت شكرا لله اني لم اعزله ولم اؤذه[3] .

---

(١) نفس المصدار السابق ج ٤ ص ١٩١ .

(٢) ريجارد كوك بغداد مدينة السلام ص١٣١ .

(٣) الطبرى تاريخ جـ١١ ص٣٤٩ .

(٤) ابن كثير البداية والنهاية في التاريخ جـ١١ ص٩١ .

ويقول صاحب الفخرى (عزم المعتضد على ان يستأصل شافة اولاد عبيد الله بن سليمان ، ويستصفى اموالهم ، فحضر القاسم بن عبيد الله ، وكتب خطا بالفي الف دينار فاستوزره)[1] . وكان القاسم من دهاة عصره ومن افاضل الوزراء ، وكان شهما فاضلا لبيبا محصلا كريما مهيبا[2] . بينما وصفه ابن تغرى بردى بانه كان (شابا غرا قليل الخبرة بالامور ، مستهتكا للمحارم ، وانما استوزره المكتفي لانه اخذ البيعة له ، وحفظ عليه الاموال)[3] . وتحدث الطبرى عن هذا الوزير فقال : (وفي سنة ٢٨٩ هـ لسبع بقين من ربيع الآخر جلس الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب في دار السلطان ، واذن للناس فعزوه بالمعتضد وهناوه بما جدد له من امر المكتفي ، وتقدم الى الكتاب والقواد في تجديد البيعة للمكتفي فقبلوا)[4] .

فلما قدم المكتفي الى بغداد ونزل دار الخلافة خلع على القاسم بن عبيد الله سبع خلع ، واستوزره ، فاستمر يلي الوزارة الى ان توفي سنة ٢٩١ هـ[5] .

احتفظت الوزارة بقوتها وهيبتها ، واصبح الوزير مهيمنا على جميع مرافق الدولة ، بل تدخل احيانا في اختيار الخليفة نفسه ، فلما مات المكتفي دون عهد صريح ظهرت مشكلة ولي العهد ، فاخذ الوزير يستشير رؤساء الدواوين والكتاب في الامر ، فوجدهم مختلفين في الرأى ، فرشح محمد

---

(١) الفخرى ص٢٠٧ ، ابن خلدون العبر جـ٣ ص٧٤٤ .

(٢) الفخرى ص٢٠٧ .

(٣) ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة جـ٣ ص١٣٣ .

(٤) الطبرى جـ١١ ص٣٧٣ .

(٥) الذهبي العبر جـ٢ ص٨٩ ، ابن خلدون العبر جـ٣ ص٧٥٢ ، الاربلي ص١٧٦ ، الاسحاقي اخبار الاول ص٩٢ .

ابن داود بن الجراح وابن عبدون ، عبدالله بن المعتز ، لتحقيق مصالحهم الشخصية ولاعتقادهم بقدرته على القيام بالامور السياسية والحربية[1] .

واما ابن الفرات فلم يرق له تولية خليفة قوى ، فمال الى ترشيح جعفر بن المعتضد (المقتدر) وكان حدثا لم يبلغ الثالثة عشرة سنة ، فكان يعتقد انه سيكون صاحب السلطة الحقيقية ، وان الخليفة لن يعزله[2] .

استجاب الوزير لرأى ابن الفرات ، وعين جعفرا ، ولقبه (المقتدر) (٢٩٥ ـ ٣٢٠ هـ) (٩٠٨ ـ ٩٣٢ م) ولم ترضى عامة الناس على المقتدر لصغر سنه ، ولتسلط نساء القصر عليه وخاصة ام المقتدر ، وام موسى قهرمانة القصر حتى كانت جارية لامه تدعى (ثومال) أو (ثمل) تجلس للمظالم في كل يوم جمعة ، فغضب القواد ، والقضاة ، واجتمعوا بالوزير العباس ابن الحسن ، واتفقوا على خلع المقتدر ، والبيعة لعبدالله بن المعتز ، واشتد الخصام بينهم ، فوثب الحسين بن حمدان ، فقتل الوزير العباس بن الحسن ، لانه خرج على ابن المعتز ، ومال الى المقتدر وانتهى الامر بالبيعة لابن المعتز ولقبوه المرتضى بالله[3] .

ويقول الطبرى انهم لقبوه الراضي بالله[4] . بينما قال الصولي انهم

---

(١) الدورى العصور العباسية المتأخرة ص١٩٥ .

(٢) الصابىء الوزراء ص١١٤ ـ ١١٥ .

(٣) عريب صلة الطبرى ج١٢ ص١٥ ـ ١٦ ، الهمداني تكملة الطبرى ص٨ ـ ١١ ، المقريزى السلوك ج١ ص١٨ ، ابن مسكويه ج١ ص٧ ـ ٨ ، السيوطي ص٢٥٣ ، الصابىء ص٢٣ ، ص ٩٣ ، ابن خلدون ج٣ ص٧٥٤ ، الخطيب البغدادي ج١٠ ص٩٨ ، ابن الاثير ج٨ ص٨ ، القلقشندى مآثر الانافه ج١ ص٢٧٦ .

(٤) الطبرى ج١١ ص١٠٥ ، ابن الجوزي ج٦ ص٦٩ ، مسكويه ج١ ص٥ ، عريب الصلة ج١٢ ص١٥ ، القلقشندى ج١ ص٢٧٣ .

لقبوه (المنتصف بالله)[١] ، وقيل ايضا انه لقب الغالب بالله[٢] .

الا ان القواد ، ومنهم مؤنس ، ايدوا المقتدر ، وصمدوا للثائرين ، وقضوا عليهم وقتلوا ابن المعتز[٣] .

انتهت هذه الفتنة التي بدأ بها عهد ضعف الخلافة ، وسقوط هيبتها ، واستمر الانتكاس في عهد المقتدر حتى لم يعد للخلافة ادنى سلطان[٤] . وخرجت القراطة في ايامه ، وحملوا الحجر الاسود من الكعبة الى بلادهم، كما خرج عليه ايضا الديلم ، وظهر عبيد الله المهدى ببلاد المغرب ، ودعا لنفسه ، وقطع دعوة بني العباس من بلاد المغرب وبرقة ، ثم خلع المقتدر مرة ثانية ، وتولى القاهر فترة من الزمن ، حتى استرد المقتدر الخلافة ، واستمرت سيطرة النساء على سياسة الدولة[٥] .

واصبح منصب الوزارة من الضعف بحيث تولاه كل من يدفع مالا اكثر فتضاءلت هيبة الوزراء ، رغم تولي نخبة طيبة من الوزراء ، وقد اصبح نظام الادارة من افسد النظم نتيجة تسلط النساء والجوارى والاتراك على شؤون الدولة ، ونتيجة تعدد الوزراء ، وما تبعه من تغير العمال الاكفاء في ارجاء الدولة وما صاحب ذلك من استبداد الحكام بالناس وسيطرتهم على اموالهم بدون حق ، وادت هذه المظالم الى قيام الثورات ، وتدخل القواد الاتراك في جميع شؤون الدولة ، وخاصة في تولية الوزراء وعزلهم ،

---

(١) ابن كثير البداية والنهاية جـ١١ ص١٠٧ .

(٢) السيوطي تاريخ الخلفاء ص٢٥٢ .

(٣) ابن الوردي تاريخ جـ١ ص٢٤٩ .

(٤) الخضرى محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية ص٣٣٦ .

(٥) المقريزى السلوك جـ١ ص١٨ ، ابن كثير جـ١١ ص١٢٩ ، اليافعي مرآة الجنان جـ٢ ص٢٤٦ .

واسرف الخليفة المقتدر في تعيين الوزراء وعزلهم ايضا ، بحيث بلغ عددهم في عهده اثنتي عشـرة وزيرا وتعرض معظم هؤلاء الوزراء للمصـادرة او السـجن او القتل ، نتيجة حاجـة الخليفة الى المال لتسـيير امور الدولة ، وللانفاق على جهاز الادارة والجيش بالاضافة الى نفقات الخليفة الخاصـة الباهظـة ، فقد انفق المقتدر ثمـانين مليون دينار[1] . الى جانب ما كان يستولي الوزراء عليه من الاموال من بيت المال ، حتى اصبحت الخزانـة خاوية من الاموال .

وثمة عامل آخر دفع المقتدر الى الاسراف في تولية وعزل الوزراء ، هو ان بعض الطامعين بالوزارة كان يتعهد للخليفة باداء مبلغ كبير من المال مقابل حصوله على منصب الوزارة ، فادى هـذا الاسلوب الى زيادة حدة المنافسة والى المساومة على طلب الوزارة ، وادى ايضا الى اضطراب شؤون الدولة والادارة ، وعدم كفاءة الوزراء ، حيث تولى هذا المنصب شخصيات ضعيفة كانت تسيء الى البلاد .

ومن ابرز وزراء المقتدر ، ابو الحسن علي بن الحسن بن الفرات ، ويصفه الصولي بقوله : (فقد نهض في تسكين فتنة ابن المعتز ، ودبر الدولة وقرر القواعد ، واستمال الناس)[2] . تولى ابن الفرات الوزارة للمقتدر ثلاث مرات اولها سنة ٢٩٦ هـ ، ولم يزل وزيرا الى ان قبض المقتدر عليه سنة ٢٩٩هـ ونكبه ونهب داره وامواله، وصادر املاكه[3] . وهتك حرمه[4] .

---

(١) الدميرى حيـاة الحيوان ص١٠٢ ، ابن كثير البدايـة جـ١١ ص١٦٩ ، اليافعي مرآة الجنان جـ٢ ص٢٧٩ .

(٢) الفخرى ص٢١٤ .

(٣) ابن كثير جـ١١ ص١٠٧ ، ابو المحاسـن النجوم الزاهرة جـ٣ ص١٧٧ .

(٤) ابن الوردى تاريخ جـ١ ص٢٥٣ .

ثم اعاده الى الوزارة سنة ٣٠٤ هـ ، وخلع عليه ، ومنحه ثلثمائة الف درهم لغلمانه وخمسون بغلا لثقله ، وعشرون خادما ، ولم يزل وزيرا الى ان قبض عليه ثانية سنة ٣٠٦هـ ، ثم اعاده الى الوزارة للمرة الثالثة سنة ٣١١هـ، واطلق يد ابنه المحسن ، فقتل حامد بن العباس الذي كان يتولى الوزارة قبل ابيه ولم يزل يتولى الوزارة الى ان قبض عليه ، وعلى ابنه سنة ٣١٢هـ ، وكان يملك اموالا كثيرة تزيد على عشرة ملايين دينار ، وكان ايراده من ضياعه في كل سنة مليوني دينار[١] .

ويبدو ان تولي ابن الفرات هذه المرات الثلاث منصب الوزارة ، نتيجة حاجة المقتدر اليه كشخصية ادارية فذة ، كما كان المقتدر بحاجة الى الاموال التي كان يستحصلها منه بعد عزله .

اما الشخصية الوزارية الثانية في عصر المقتدر ، فهو علي بن عيسى بن الجراح ويصفه الصابىء بقوله : (وكان رجلا عالما ، متدينا ، عارفا بالاعمال، حافظا للاموال ، كثير الوقار والجد ، بعيدا عن التبذل والهزل ، على شح غالبا في طباعه ، وتجهم ظاهر في اخلاقه ، وما كان يخل بصلاة الجماعة والجمعة في كل يوم جمعة ، ولا يدع المناوبة في ذلك بين المساجد الجامعة)[٢] .

اما الشخصية الثالثة : فهو ابو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ، وكان كاتبا مجودا قلده المقتدر الوزارة سنة ٣٢٠هـ ، وخلع عليه ، ولم يزل وزيره الى ان قتل المقتدر[٣] .

---

(١) مسكويه تجارب الامم جـ١ ص٢٠ ، ابن الجوزى المنتظم جـ٦ ص٦٩ ، ابن خلكان جـ١ ص٣٧٢ ، عريب جـ١٢ ص٢٠ .

(٢) الصابىء الوزراء ص٢٨٢ .

(٣) ابن خلكان وفيات الاعيان جـ١ ص٣٧٣ .

وقال صاحب الفخري عن آل الفرات : (وبنو الفرات من اجل الناس فضلا وكرما ، ونبلا ووقارا ومرؤة ، وكان ابو الحسن علي بن الفرات من اجل الناس واعظمهم كرما وجودا ، دبر الدولة ، وقرر القواعد، ولم يبت تلك الليلة الا والامور مستقيمة للمقتدر ، واحوال دولة قد تمهدت ، وفي ذلك قال عنه بعض الشعراء[1] :ـ

ودبرت في ساعة دولة تميل بغيرك في شهر

وبدأت عوامل الضعف والانحطاط ، تنال منصب الوزارة ، بعد تولي وزراء ضعاف همهم استنزاف الاموال ، والحصول على الرشوة .

ويبدو ان ابن الفرات لم يراع جانب الاتراك ، وخاصة مقدمهم مؤنس ، مما ادى الى العداء بينهما ، الى جانب حدوث ازمة مالية ، وبالاضافة الى دسائس الخاقاني الذي اوهم الخليفة ان ابن الفرات يسعى لخلعه ، فقبض عليه ونهب دوره ، وتولى الخاقاني الوزارة[2] . ولما قبض الخليفة المقتدر على ابن الفرات بعد وزارته الاولى سنة ٢٩٩هـ ، استوزر ابا علي محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وكان (سيء السيرة والتدبير ، متشاغلا بخدمة السلطان ومراعاته اعدائه ، لا يقرأ الكتب الواردة والنافذة ، متشاغلا بالشراب ، ففسدت الامور)[3] .

وكان كثير التولية والعزل حتى قيل : انه ولى في يوم واحد تسعة عشر ناظرا للكوفة ، بعد ان حصل على رشوة من كل منهم ، وتدخل ابناؤه في الحكم ، وتنافسوا في الحصول على الرشوة ، وهجاهم الشعراء فقال

---

(١) الفخري ص٢١٤ .

(٢) Bowen, The good Vizeir Ili Ibin Isa. P. 106—107.

(٣) مسكويه تجارب الامم جـ١ ص٢٣ .

احدهم[1] :ـ

فيلقى الخطوب حيث المت   منك رأى غث وعقل ضئيل
فيلقى الخطوب حيث المت   منك رأى غث وعقت ضئيل
ان سمنتم من الخيانة والجو   ر فللارتفاع جسم نحيل

ومما قيل فيه ايضا[2] :ـ

وزير لا يمل من الرقاعه   يولى ثم يعزل بعد ساعة
وبدت من تعجل منه مال   ويبعد من توسل بالشفاعة
اذا اهل الرشا صاروا اليه   فاحظى القوم اوفرهم بضاعة

ويقول الهمداني عن الوزير ابن خاقان : (واجتمع بحلوان في خان بها سبعة عمال اولاهم في عشرين يوما ، ماه الكوفة ، فاجتمعو في الطريق فسار الاخير وعاد الباقون)[3] .

وبالموصل اجتمع خمسة قد قلدوا (فردى وبازبدى) وانهم تشاكوا ما دفعوا اليه وخرج عن ايديهم من نفقات[4] وقال عريب عنه ايضا : (ان امر محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان قد ضعف منذ سنة ٣٠٠هـ ، وتغلب ابنه عبدالله عليه ، وتحكمه في الامور دونه ، وكثر التخليط من محمد في رأيه ، وجميع اموره ، فكان يولي العمل الواحد جماعة في اسبوع من الايام ، وتقدم المصانعات حتى قلد (بادوريا) في احد عشر شهرا احد عشر عاملا)[5] .

---

(١) ابن الوردى جـ١ ص٢٥٣ ، الفخرى ص٢١٥ .
(٢) الفخرى ص٢١٥ ، عريب صلة الطبرى جـ١٢ ص٢٢ .
(٣) مسكويه تجارب الامم جـ١ ص٢٣ ، ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٢١ ، الصابىء الوزراء ص٢٨٦ .
(٤) الصابىء الوزراء ص٢٨٦ ، الخضرى الدولة العباسية ص٣٣٩ .
(٥) عريب صلة الطبرى جـ١٢ ص٢١ .

فاضطربت الامور وساءت الاحوال في عهده ، وارتكبت الادارة في وزارته مما اضطر المقتدر الى عزله ، فصادره واسبابه[1] .

ويبدو ان الوزير اصرف الى الاهتمام بمصالح الخليفة ، والقواد والحريم وكبار رجال الدولة ، والى توفير الاموال لهم ، بالاضافة الى محاولته السيطرة على الاموال والاقطاعات ، واحتكار الوظائف الهامة لاقربائه واتباعه ، وبيع المناصب بالاموال ، بينما كان الشعب بعيدا عن العناية والرعاية والاصلاح وكان على الناس ان يؤدوا ما يفرضه عليهم الوزير من الضرائب ، مما دفع الافراد الى شكوى الوزير الى ديوان المظالم .

وقد ادى فساد الادارة واضطراب الامور الى ان يولي المقتدر علي بن عيسى بن الجراح الوزارة سنة ٣٠١هـ ، بعد ان استشار مؤنس الخادم[2] .

وحاول هذا الوزير اصلاح الادارة واعادة تنظيم الوزارة ، واعتمد على عناصر ذات خبرة في تسيير امور الدولة ، بالاضافة الى تعيين الاقارب والاصحاب في المناصب الحساسة[3] . كالفضل بن جعفر بن الفرات – ابن اخت ابن الفرات – وقد ولاه ديوان المشرق[4] . وقد شهد المقتدر بمقدرة وزيره علي بن عيسى ، وحسن سياسته وادارته ، فقال : (ولم يبق من يصلح بتدبير المملكة غيره لامانته ودينه)[5] .

وكان الوزير ابن الجراح عالما بالسياسة ، وسير الخلفاء ، الى جانب

---

(١) الهمداني تكملة الطبرى ص١٩ .

(٢) مسكويه تجارب الامم جـ١ ص٢٦ .

(٣) عريب صلة الطبرى جـ١٢ ص٣٢ .

(٤) الصابىء الوزراء ص٧٩ ، ص٢٠٨ ، ص٢٧١ .

(٥) ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٢٣ ، الصابىء الوزراء ص٢٨٧ ، ابو المحاسن النجوم الزاهرة جـ٣ ص١٨١ .

تدينه واجادته بعض العلوم[1] • ويقول فيه الصابىء : (ورتب علي بن عيسى الامور والدواوين ، على ما رأى الصلاح والسداد ، وكان رجلا عاقلا متدينا متعففا عارفا بالاعمال ، حافظا للاموال ، كثير الوقار والجد بعيدا عن التبذل والهزل)[2] •

ويصفه صاحب الفخرى بقوله : (كان شيخا من شيوخ الكتاب ، فاضلا دينا ورعا متزهدا ، وقال الصولي : عن هذا الوزير ايضا (ولا اعلم انه وزر لبني العباس وزير يشبه علي بن عيسى بن الجراح ، في زهده وعفته وحفظه للقرآن وعلمه وكتابته وحسابه ، وصدقاته ومبراته ، نهض بامور الوزارة وقرر قواعدها)[3] •

وكان علي بن عيسى كثير الاحسان على الضعفاء والفقراء ، فكان دخله من ضياعه في كل سنة نيفا وثمانين الف دينار ، ينفق نصفها على الفقراء والمحتاجين • ويقول الهمداني عن هذا الوزير : (وفي عهده عمرت البلاد فزادت العمارة وتضاعفت الزراعة)[4] • ويقول ابن كثير عنه ايضا : (وكان من خيار الوزراء ، واقصدهم للعدل والاحسان ، واتباع الحق)[5]• ويصفه الخطيب البغدادي انه (كان صدوقا عفيفا دينا محمودا في وزارته ، كثير البر صحب اهل العلم وجالسهم)[6] •

وقد اهتم علي بن عيسى بن الجراح اثناء ولايته للوزارة باصلاح شؤون البلاد فضبط الدواوين ، واستتب الامن ، وحذر حكام الولايات من

---

(١) اسماعيل البغدادي هدية العارفين جـ١ ص٦٧٨ •
(٢) الصابىء الوزراء ص٣٠٦ •
(٣) الفخرى ص٢١٦ •
(٤) الهمداني تكملة الطبرى ص٢٠ •
(٥) ابن كثير البداية والنهاية جـ١١ ص١٢٠ •
(٦) الخطيب البغدادي تاريخ بغداد جـ١٢ ص١٤ •

اساءتهم معاملة رعاياهم ، وامرهم بانصافهم ، والنظر في شكايات الناس ضد جباة الضرائب واعلن انه لن يتغاضى عن اي تقصير يحدث من جانب موظفي الدولة . واندر باتخاذ اجراءات شديدة وقاسية ضد كل شخص يعمل على تحقيق اطماعه الشخصية عن طريق الرشوة[١] .

ولكن لم يلبث الوزير علي بن عيسى ان عزل ، بتحريض الحريم ، وضغط افراد الحاشية ، كنصر الحاجب وابن الحوارى[٢] . وسعاية بن مقلة الذي اوهم المقتدر ان علي بن عيسى قد اخفى عنه بعض الاموال ، لعدم مكافأة الخليفة للوزير لاخلاصه له[٣] .

واستوزر المقتدر حامد بن العباس ، وكان سقاء ، وبائع تمر قبل ان يلي الوزارة[٤] . ثم تقدمت به الحال (وضمن بعض المقاطعات من الدولة ، فجمع اموالا طائلة)[٥] .

وفي عهد وزارة حامد سنة ٣٠٨هـ ارتفعت الاسعار ، وشغبت العامة ، ووقع النهب ، وشغب الجند ، وتجددت المظالم ، وقصدت العامة دار حامد ابن العباس ، فخرج اليهم غلمانه ، فحاربهم واستمر القتال بينهم اياما وقتل كثير منهم ، ثم احرقت العامة الجسر ، وفتحوا السجون ، ونهبوا الدور واضطربت احوال الدولة ، وانتشرت الفتنة ، وقلت الخزائن من الاموال[٦] .

لم يكن اختيار حامد للوزارة في الحقيقة قائما على اساس الكفاءة

---

(١) Bowen, The good Vizier Ali Ibn Isa. P. 125.

(٢) الهمداني تكملة الطبرى ص٢٧ ، مسكوين جـ١ ص٤٠ .

(٣) Bowen, Ili Ibn Isa. P. 157—159.

(٤) ياقوت معجم الادباء جـ ٥ ص٣٢٥ .

(٥) عريب صلة الطبرى جـ١٢ ص٣٨ .

(٦) ابو المحاسن النجوم جـ٣ ص١٩٨ ، الذهبي العبر جـ٢ ص١٣٦ .

والمقدرة الادارية والمالية ، وانما الذي اوصله الى كرسي الوزارة وهو ليس جدير بها (ما اوجب عليه علي بن عيسى من فضل ضمانه اكثر من الفي الف دينار والح الوزير بمطالبته بها ، فظن انها تدفع عنه بدخوله في الوزارة)[1] .

وكان حامد بن العباس ، سيء السيرة ، وروى المسعودي عنه : انه خاطبه مخاطب ذات يوم ، فقلب ثيابه على كتفه ، ولكم حلقه[2] .

وذات يوم دخلت عليه ام موسى القهرمانة فخاطبته في شيء من الاموال عن رسالة المقتدر ، فكان مما خاطبها به ان قال[3] :ـ

اضرطي والتقطي   واحسبي لا تغلطي

وقال حامد بن العباس لعلي بن عيسى ـ بحضرة المقتدر ـ انا والله نلت هذا مرتين[4] .

واتضح للخليفة المقتدر ، وللقواد عدم كفاءة حامد بن العباس للوزارة، فسقطت منزلته عند المقتدر منذ سنة ٣٠٧هـ ورأى الخليفة ان لا جدوى من الاعتماد عليه في امور الدولة ، وكان هذا الوزير يختلف عن من سبقه من الوزراء ، لانه لم يعمل من قبل في الدواوين[5] . ولم يشتهر بكفاءة في شؤون الدولة ، مما دفع المقتدر الى اخراج علي بن عيسى من الحبس وقربه اليه وجعله نائبه ، لما اشتهر به من خبرة وكفاءة ، واصبحت سلطة حامد

---

(١) ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٣٥ ، ابن خلدون العبر جـ٣ ص٧٧٨ .
(٢) المسعودى مروج الذهب جـ٤ ص٤٩ .
(٣) التنوخي نشوار المحاضرة جـ٨ ص٤٩ .
(٤) نفس المصدر السابق جـ٨ ص٥١ .
(٥) فقد كان حامد بن العباس يضمن اعمال الخراج والضياع الخاصة والعامة والمستحدثة والفراتية بسواد بغداد والكوفة وواسط والبصرة والاهواز واصبهان . (ابن الاثير حوادث سنة ٣٠٧ هـ) .

اسمية فقط والامور كلها لعلي بن عيسى ، فقال في ذلك احد الشعراء[1] :ـ

قل لابن عيسى قولة ... يرضى بها ابن مجاهد
انت الوزير وانما ... سخروا بلحية حامد
جعلوه عندك ستره ... لصلاح امر فاسد
مهما شككت فقل له ... كم واحدا في واحد

وكان حامد يلبس السواد ، ويجلس في دست الوزارة ، ويجلس علي بن عيسى بين يديه كالنائب وليس عليه سواد ، بينما اصبح هو الوزير الفعلي فقال بعض الشعراء في ذلك :ـ

اعجب من كل ما رأينا ... ان وزيرين في بلاد
هذا سواد بلا وزير ... وذا وزير بلا سواد[2]

ثم عزل حامد بن العباس عن الوزارة سنة ٣١١هـ ، لاضطراب العامة وارتفاع الاسعار ، فزحفت العامة نحو دار حامد ، ومنعوا الخطبة له ، وكسروا المنابر ، وقتلوا بعض الشرطة ، وحرقوا كثيرا من الجسور[3] .

وما لبث ان عزل الخليفة علي بن عيسى ايضا بسبب محاولته الاقتصاد في نفقات البلاط ، ونتيجة دسائس وسعاية ابن الفرات ضده ، فازدادت حالة الخلافة سوءا ، لاعتماد الخليفة على وزراء ضعاف ، كحامد بن العباس ، وما تبعه من مثله كابن مقله .

ثم استوزر المقتدر ابن الفرات يعاونه ابنه المحسن في الوزارة ، وقد عذب المحسن الوزير المعزول علي بن عيسى وصادر امواله ، كما صادر

---

(١) الفخرى ص٢١٧ ، عريب جـ١٢ ص٣٨ ، مسكويه جـ١ ص٥٨ ، ابن كثير جـ١١ ص١٢٩ ، ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٣٥ .
(٢) الفخرى ص٢١٧ .
(٣) ابن كثير البداية والنهاية جـ١١ ص١٣٠ .

اموال حامد بن العباس وكثيرا من انصارهما[١] .

ونفي حامد بن العباس الى واسط[٢] . كما نفي علي بن عيسى الى مكة حتى لا يتآمر ضده[٣] .

ولكن سياسة ابن الفرات اثارت السخط العام ضده ، فقد سخط الناس على قسوة ولاته ، كما انه اغضب مؤنسا وابعده عن بغداد[٤] .

ويذكر ابن الجوزي ان امر ابي الحسن بن الفرات قد ضعف منذ سنة ٣١٢هـ ووثبت العامة عليه ، لان الحجاج تعرضوا لهجوم القرامطة

---

(١) فاخذ : ٥٠ الف دينار ـ من سليمان بن الحسن ثم اخرجه الى الصرة .

٧٠٠ = = ـ من ابي القاسم علي بن محمد الحواري .

١١ = = ـ من علي بن الحسن الباذيني .

١٧ = = ـ من ابي المنذر النعمان .

٣٠٠ = = ـ من احمد بن محمد بن بسطام ونفاه المحسن الى واسط .

١٠٠ = = ـ من ابي الحسن علي بن ماهون الاسكافي كاتب ابن الحوارى .

ـ وقبض بفارس على ابو الحسن محمد ابن احمد بن علي البغل وعلى زيد ابن ابراهيم ومصادرتهما على مال حدده المحسن لهم .

(الصابىء الوزراء ص٤٤ ـ ٥١) .

(٢) ابن الاثير جـ٨ ص٤٤ ، ابن الجوزي جـ٨ ص١٨٤ ، ابن خلدون العبر جـ٣ ص٧٧٨ ، عريب جـ١٢ ص١١٣ ، الصابىء الوزراء ص١٣٠ ـ ١٣١ ، مسكويه جـ١ ص٧٣ .

(٣) Bowen, The good Vizier Ali Ibn Isa. P. 226—227.

(٤) Bowen, Ali Ibn Isa. P. 237—239.

بزعامة ابي طاهر بن ابي سعيد الجنابي سنة ٣١١هـ ، وهم في طريق عودتهم من الحجاز فقتل القرامطة بعضهم ونهبوا اموالهم ، وخرجت النساء في بغداد منشورات الشعور ، يلطمن ويصرخن ، فاستغل نصر الحاجب الفرصة للكيد بالوزير ، وكان ينقم عليه ، ويتهمه بالخيانة ، كما انه ابعد مؤنس المظفر عن بغداد ، واتهمت عامة الناس الوزير ابن الفرات بالتعاون مع القرامطة وانتهى الامر بالقبض عليه وعلى ابنيه واتباعه ، ومصادرة امواله ، وما لبث ان قتل ابن الفرات وولده المحسن[1] .

والواقع ان الخلاف الذي حدث بين مؤنس قائد الجيش ، وبين الوزير ابن الفرات ، كان ناتجا عن محاولة الجيش التدخل في الامور السياسية والادارية ، كما كان نجاح الوزير في ابعاد مؤنس قائد الجيش عن العاصمة ، يمثل انتصارا للسلطة السياسية على التدخل العسكري ، ولكن مؤنس استدعي الى العاصمة بعد سقوط الوزير ابن الفرات ، فعاد يتدخل في الامور السياسية ، وتدخل فعلا في اختيار ابي القاسم الخاقاني للوزارة[2] .

ويعلق الدكتور الدوري على هذا الموقف فيقول : وبهذا تضاءلت هيبة الوزراء بعد مقتل ابن الفرات ، ا ذلم تبق شخصية قوية تجابه مؤنسا وصار يتدخل في امور الدولة ، ويتطاول على الخليفة نفسه ، فالخصيبي انذر بسوء الحال نتيجة تدخل الجيش ، فقوبل بالتهديد بالقتل عندما طالبه الجند بارزاقهم[3] .

ويشير ابن الجوزي الى ضعف منصب الوزارة بعد مقتل ابن الفرات فيقول : (فما مضت الا سنوات حتى ابتدأت الوزارة تتضع ، ويتقلدها من

---

(١) ابن الجوزي المنتظم جـ٦ ص١٨٨ ـ ١٨٩ .

(٢) عريب صلة الطبرى جـ١٢ ص٦٢ ـ ٦٣ .

(٣) الدوري العصور العباسية المتاخرة ص٢٠٨ .

ليس باهل ولا علم لهم بها)[١] .

خلف ابن الفرات في الوزارة ، ابو القاسم عبيد الله بن ابي علي الخاقاني ، الذي رشحه مؤنس لها ، فقال له المقتدر ـ ابوه خرب الدنيا وهو شر من ابيه ـ ولكن نصر الحاجب وابن الخال الحا على الخليفة حتى ولاه الوزارة[٢] . في الرابع من ذي الحجة سنة ٣١٢هـ ، وقلده تدبير اموره ، وخلع عليه ، واقطعه المقتدر ما في يد ابن الفرات من الضياع ، وامر له بخمسة آلاف دينار في كل شهر على رسم ابن الفرات ، ووهب له دار صاعد بن مخلد على دجلة[٣] .

وقد اهتم الوزير الجديد الخاقاني بمحاكمة ابن الفرات ، وابنه ، واتهمهما بمصادرة اموال الناس ، وعاملهما بقسوة وعنف ، فاجبر المحسن على دفع مليوني دينار[٤] ، فارتفعت بذلك منزلته عند المقتدر[٥] .

اضطربت الامور في عهد وزارة ابي القاسم الخاقاني مما ادى الى مصادرة امواله وعزله[٦] . ويرجع سبب عزله الى افلاس خزينة الدولة ، وتآمر نصر الحاجب عليه ، وسعاية الخصيبي كاتب السيدة ضده ، وبتأييد حرم القصر[٧] .

ثم تولى ابو العباس احمد بن الخصيب الوزارة سنة ٣١٣هـ ، وكان

---

(١) ابن الجوزي المنتظم جـ٦ ص١٩١ .

(٢) مسكويه جـ١ ص١٢٧ ، Bowen, P. 233—237

(٣) الصابىء الوزراء ص٢٨٤ .

(٤) ابن خلدون جـ٣ ص٧٨٤ ، الصابىء الوزراء ص٦٢ ، اليافعي مرآةالجنان جـ٢ ص٢٦٥ .

(٥) ابن الجوزى جـ٦ ص١٩٦ .

(٦) الفخرى ص٢١٧ ، ابو المحاسن النجوم الزاهرة جـ٣ ص٢١٣ .

(٧) مسكويه تجارب الامم جـ١ ص١٢٧ .

عفيفا ، متورعا من مال السلطان والرعية ، مجانبا للخيانة ، محافظا على الامانة وضعف امره لاشتداد الازمة المالية ، وازدياد شغب الجند ، وانحراف السيدة (ام المقتدر) عنه ، فعزل ، وقبضت امواله وذلك سنة ٣١٤هـ[١] ، وكان اكثر اعتماد الخصيبي في تنظيم مالية الدولة على أموال المصادرين ، وكان أول المصادرين أبو القاسم الخاقاني[٢] .

ويتهم بعض المؤرخين الخصيبي بالاهمال في أمور الدولة ، وانه انصرف الى اللهو وشرب الخمر[٣] .

وفي سنة ٣١٤هـ تفاقمت الازمة المالية ، ولم تتوفر له الاموال التي كان يتقرب بها الى الخليفة ، واشتد على الناس في الضرائب ، فامر المقتدر بالقبض عليه[٤] . في الوقت الذي كان يحوز معظم هذه الاموال له وينفقها على بذخه ولهوه فقد اشار مسكويه الى تلك النفقات لاربعة عشر شهرا ما يلي[٥] :

---

(١) الفخرى ص٢١٨ ، ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٤٩ .

(٢) مسكويه تجارب الامم جـ١ ص١٤٤ .

(٣) نفس المصدر السابق جـ١ ص١٤٣ .

(٤) عريب صلة الطبرى جـ١٢ ص٦٦ – ٦٧ .

(٥) وقد اشار مسكويه الى نفقات الخصيبي لاربعة عشر شهرا (٣١٣ – ٣١٥هـ) وقد تضمنت النفقات ما يلي :ـ

انفق في كل شهر (٢٥٠٠ دينار) تكون في اربعة عشر شهرا	٣٥٠٠٠ دينار
نفقات الكسوة والطيب والمؤونة والصلات	٢٠٠٠٠ دينار
ما انفقه على بناء داره وما اضاف اليه من عقارات	٤٠٠٠٠ دينار
هدايا النوروز والمهرجان لاولاده والسيدة والخالة وزيدان ومفلح	٣٥٠٠٠ دينار
ما انفقه على الخدم والقلمان وشراء البغال والدواب والجمال	١٠٠٠٠ دينار
الى من بدار الوزارة من الحجاب والبوابين واصحاب الرسائل والفرسان والرجاله	٢٠٠٠٠ دينار
	١٦٠ ٠٠٠ الف دينار

ويمثل الوزير الخاقاني والخصيبي مظهرا من مظاهر الضعف والانحلال في الدولة العباسية ، ولم يستطع هؤلاء الوزراء معالجة الامور ، مما أدى الى اضطراب أحوال الدولة . فاستدعى الخليفة علي بن عيسى ، واستخلف المقتدر - عبيدالله بن محمد الكلوذاني - الى حين قدوم علي بن عيسى ، وفي سنة ٣١٥هـ ، قدم علي بن عيسى الى بغداد وخرج الناس لاستقباله ، وخلع عليه المقتدر خلعا فاخرة وفرشا وعشرين الف دينار فأنشد[١] :-

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها فكيف ما انقلبت يوما به انقلبوا

يعظمون اخا الدنيا فان وثبت يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا

فاعيد علي بن عيسى للوزارة للمرة الثانية ، ليصلح الوضع ، وكانت توليته بتأثير مؤنس في ٥ صفر سنة ٣١٥هـ ، فوجد الحالة بالغة السوء ، فبدأ بمعالجة الاضطراب المالي ، فاستخدم كتابا قديرين ، وولى الكلوذاني ديوان السواد ، وعين ابن مقله على ديوان الضياع ، وسليمان بن الحسن ابن مخلد على ديوان بيت المال ، وعبدالرحمن بن عيسى (شقيقه) على ديوان الحرم ، وابا زنبور على ديوان الضياع المصادرة من ابن الفرات ، والفضل بن جعفر على ديوان المشرق ، وقد قدر لخمسة من هؤلاء الكتاب ان يتولوا الوزارة فيما بعد .

ان نفقات ان نفقات الخصيبي المسجلة لمدة اربعة عشر شهرا بلغت ١٦٠ الف دينار او ما تساوى ١١٤٢٨ ٤/٧ دينار في الشهر .

وقد علق الخصيبي نفسه على هذه القائمة بقوله (هذا عمل صحيح وليس كل ما انفقته كتبته فقد كنت اصوغ لحرمي وأولادي وانفق نفقات استرها عن كاتبي) (مسكويه ج ١ ص ١٥٥ - ١٥٦) .

(١) ابن الجوزي المنتظم جـ٦ ص٢٠٥ ، مسكويه جـ١ ص١٥١ ، ابن كثير البداية والنهاية جـ١١ ص١٥٤ .

استقامت الامور في عهد علي بن عيسى ، واخذ من الخصيبي ما كان قد استولى عليه من أموال الدولة[1] . ثم اهتم بحل المشكلة المالية ، والاقتصاد في النفقات العامة وتنظيم جمع الضرائب ، وحث العمال على جباية الاموال[2] . ورغم هذه الجهود الكثيرة ، فان المشكلة المالية تفاقمت نتيجة النفقات الكثيرة التي يحتاجها الخليفة والحاشية ، الى جانب ما انفق على الجيوش في قتال القرامطة ، بالاضافة الى الارزاق الاضافية التي اضطر الوزير منحها للجيش تنفيذا لاوامر المقتدر ، وانتهى الامر باستقالة الوزير ، فامره المقتدر بالبقاء ، واصر الوزير على الاستقالة ، فشاور المقتدر مؤنساً المظفر ، فرشح مؤنس له ثلاثة أسماء لم يرض المقتدر عنهم ، وبلغ أبا علي بن مقلة ذلك ، فجد في السعي حتى تولى الوزارة[3] .

واشتهر هذا الوزير بجودة الخط حتى ضرب به المثل[4] . ويقول صاحب الفخري عنه : (تعلق ابن مقله بابي الحسن بن الفرات واحتفى به ، فعلا شأنه ، وتمكن ابن مقله في دولة ابن الفرات الثانية ، ثم استوحش كل منهما من صاحبه ، ودخل ابن مقله في جملة اعدائه ، والسعاة عليه ، حتى جرت النكبة على ابن الفرات ، فلما رجع ابن الفرات الى الوزارة للمرة الثالثة قبض عليه وصادره على مائة الف دينار ادتها عنه زوجته)[5] .

واعتمد ابن مقله في تسيير أمور الدولة المالية على المصادرات والضمانات ، وعلى المساعدات المالية التي تقدم بها أبو عبدالله البريدى من

---

(١) الهمداني تكملة الطبرى ص٦٤ ، ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٥١ .

(٢) مسكويه تجارب الامم جـ١ ص١٨١ .

(٣) مسكويه جـ١ ص١٨٤ ، ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٥٧ ، ابن كثير جـ١١ ص١٥٨ ، اليافعي جـ١ ص٢٦٧ .

(٤) ياقوت معجم الادباء جـ٩ ص٢٩ .

(٥) الفخرى ص٢١٩ .

الاهواز فانفذ اليه بثلثمائة الف دينار[1] •

وتعاون ابن مقله مع الاتراك ، وخاصة مع مؤنس قائد الجيش ، وكان تعاونه معهم الى ابعد الحدود ، فاتسع نفوذ الاتراك في الادارة ، وسيطروا على الاموال ، وأخذوا يتدخلون في اختيار الوزراء ، وبهذا سيطروا بصورة تامة على الدولة ، واحتدم النزاع بين الخليفة المقتدر ومؤنس قائد الجيش ، واتهم المقتدر ابن مقلة بتأييد مؤنس ، واغتنم المقتدر فرصة غيبة مؤنس ، فقبض على ابن مقلة ، وانفذ الى داره بالليل من احرقها ، فاغتاظ مؤنس وراسل المقتدر في رد ابن مقلة ، ودعا المقتدر الحسين بن القاسم ، ليقلده الوزارة ، فغضب مؤنس لذلك ، وادرك المقتدر ان ليس باستطاعته معاداة مؤنس فرضى باقتراح علي بن عيسى بترشيح ، سليمان بن الحسن بن مخلد للوزارة ، وعهد المقتدر الى علي بن عيسى ، بالاشراف على الامور والاعمال ولا يعمل سليمان الا بموافقة علي بن عيسى ، فرضى بذلك مؤنس[2] •

وواجه سليمان بن الحسن كثيرا من المشاكل[3] • وكثرت المطالبات والدسائس والمكائد عليه ، وطالبه الجند بأرزاقهم[4] • وفي المحرم سنة ٣١٩هـ طالب قوم من الفرسان ببغداد الوزير سليمان بأرزاقهم ، واغلظوا له القول فرماهم غلمانه بالآجر ، فهاجموا دار الوزير واحرقوا بابها ، فخرج الوزير من باب آخر الى دار علي بن عيسى[5] •

وفي عهد سليمان بن الحسن ، تطاول الوزير على مقام الخليفة ، وظهر اللفظ القبيح في مجلسه ، مما يجل الوزراء عنه ، فاستنقصه الناس ، وهجاه الشعراء ، واستعظموا الوزارة لمثله ، وكانت لابن ياقوت أبيات ضمن

---

(١) مسكويه تجارب الامم جـ١ ص١٨٧ •
(٢) مسكويه جـ١ ص٢٠٣ ـ ٢٠٥ ، ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٦٨ •
(٣) الفخرى ص٢٢١ •
(٤) مسكويه جـ١ ص٢١٢ ، ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٧٠ •
(٥) عريب صلة الطبرى جـ١٢ ص٧٧ •

في آخرها هذا البيت[١] :ـ

يا سليمان غنيني ومن الراح فاسقيني

ولابن دريد فيه أيضا :ـ

سليمـــان الوزير يزيد نقصـا فأصر بان يعود بغير شخص
اعم مضـــرة من ابي خـــلاط وأعيا من ابي الفرج بن حفص

افسحت الاضطرابات في بغـداد المجال لمؤنس للتدخل في الامور بصورة أوضح فاستولى على الامور ، واسند الحجابه لابن رائق ، فلمـا أراد المقتدر استيزار الحسين بن القاسم ، ابى مؤنس ، واشـار بتقليد الكلوذاني فاضطر المقتدر الى تقليده الوزارة[٢] . وقبض الكلوذاني على سليمان بن الحسن واخذ خطه بمائتي الف دينار[٣] .

وعهد المقتدر الى علي بن عيسى بالاشراف على الامور والنظـر في المظالم دون الكلوذاني[٤] . وكثرت المصادرات في أيام الكلوذاني وشغب الجند عليه وشتموه ، فأقسم الا يستمر في منصب الوزارة وانقطع بداره[٥] . وربما كن سبب عزله استمرار المشكلة المالية وشغب الجند ، واضطراب الامن بسبب هجوم القرامطة المستمر على الكوفة ، وامتناع العمال عن ارسال الاموال الى العاصمة ، فاستعفى وقال : لا أصلح ان اكون وزيرا[٦] .

---

(١) نفس المصدر السابق جـ١٢ ص٨٣ .

(٢) مسكويه جـ١ ص٢١٢ ، ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٧٠ ، ابـو المحاسن النجوم الزاهرة جـ٣ ص٢٢٩ .

(٣) مسكويه جـ١ ص٢١٢ .

(٤) مسكويه جـ١ ص٢١٢ ، ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٧٠ .

(٥) الفخرى ص٢٢١ ، الهمداني تكملة الطبرى ص٨١ .

(٦) عريب صلة الطبرى جـ١٢ ص٨٥ ، مسكويه جـ١ ص٢١٩ .

وعهد المقتدر بالوزارة الى الحسين بن القاسم بن وهب ، وقد رشحه مؤنس حيث كان مقربا اليه ، والى حاشيته وقلده الوزارة سنة ٣٢٠هـ . وخلع المقتدر على الوزير ولقبه (عميد الدولة)[١] .

وصدر الوزير كتبه الى العمال بعبارة (من الوزير ابي علي عميد الدولة بن ولى الدولة القاسم بن عبيدالله) كما نقش اسمه على السكة[٢] .

وتغير الوزير على مؤنس بتأثير الخليفة المقتدر ، واستبد المقتدر بالسلطة واتضح لمؤنس ، تحالف الخليفة والوزير ضده ، فخرج مؤنس الى باب الشماسية وعسكر بها ، ونهب أصحابه دار الوزير الحسين بن القاسم ، وبلغ ذلك المقتدر فأمر بشحن القصر بالرجال[٣] .

ووجد الوزير الفرصة سانحة لمهاجمة أنصار مؤنس ، فاخذ من ابن مقله عشرين الف دينار ، ولكن نفوذه لم يدم ، اذ قلت الاموال في الخزينة واشتدت مطالبة الجند له بالاموال ، كما ان حماس الخليفة كان قد تضاءل فقبض المقتدر عليه في ربيع الآخر سنة ٣٢٠هـ[٤] . وقد هجاه جحظة البرمكي بهذه الابيات[٥] :ـ

اذا كان الوزير ابا الجمال	ومحتسب البلاد الدانيالي
فعد عن البلاد فعن قليل	ترى الايام في صور الليالي
نفضت بهجة الدنيا وولت	وآذن كل شيء بارتحال

(١) عريب صلة الطبرى جـ١٢ ص٨٥ .

(٢) الهمداني تكملة الطبرى ص٨٢ ، عريب جـ١٢ ص٨٦ .

(٣) عريب صلة الطبرى جـ١٢ ص٨٦ .

(٤) مسكويه جـ١ ص٢٢٦ ـ ٢٢٨ ، ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٧٤ ، ابن خلدون العبر جـ٣ ص٧٨٧ ، عريب جـ١٢ ص٨٩ ، ابو المحاسن النجوم الزاهرة جـ٣ ص٢٣٢ .

(٥) الفخرى ص٢٢٢ .

ثم استوزر المقتدر الفضل بن جعفر ، وقبض على الحسين بن قاسم ، وصادر أربعين ألف دينار من أمواله ثم ابعده الى البصرة[1] .

ولم تطل وزارة الفضل بن جعفر ، ولم تكن له سيرة مأثورة ، وقتل المقتدر وهو وزيره فاستتر[2] .

وكان الفضل بن جعفر مشهورا – عند الخاصة والعامة – بالفضل والعلم والكتابة ، وفي عهده شغب الجند الديلم عليه ، وهاجموا داره ورموها بالسهام ، وتوسط أحمد بن خاقان ، بين الوزير وبينهم فهدأت الامور[3] .

ولما انتشرت الاضطرابات في بغداد راسل الوزير مؤنسا ورغبه بالقدوم اليه ، فخرج مؤنس من الموصل ، وكتب الى المقتدر يطلب الصفح عنه ويقول له : ليس مذهبي الفتن ولا اراقة الدماء ... وخرج المقتدر الى باب الشماسية بنفسه ، وخلفه وزيره الفضل بن جعفر ... ووقعت الحرب بين الطرفين ، وأخيرا اقبل فارس فضرب المقتدر ، فسقط على الارض واحتزوا رأسه وحمل الى مؤنس ، فاستتر الوزير الفضل بن جعفر[4] .

مما تقدم يتبين لنا ان الخلافة العباسية في عهد المقتدر ، أصابها الضعف والوهن ، لصغر سن المقتدر ، ووقوعه تحت تأثير النساء والخدم ، وتبذيره الاموال ، واسرافه في تعين الوزراء وعزلهم ، وعجز الدولة عن توفير الاموال لنفقاته ونفقات حاشيته من الاتراك ، فضلا عن أرزاق الجند ومرتباتهم ، مما أدى الى استفحال نفوذ الوزراء واستئثارهم بالاموال ،

---

(١) الهمداني تكملة الطبرى ص٨٥ .

(٢) الفخرى ص٢٢٢ .

(٣) عريب صلة الطبرى ج١٢ ص٨٩ .

(٤) نفس المصدر السابق ج١٢ ص٩٠ – ٩٢ .

وقبول الرشوة في تعيين الولاة والعمال ، الى جانب ما تعرضت له البلاد من ويلات وحروب مستمرة ، اخلت بالامن ، وادت الى انفصال بعض الولايات عن سلطة الدولة ، مثل قيام دولة الادارسة ، ودولة الاغالبة في شمال فريقيا ، واستقرار ملك الدولة السامانية في بلاد ما وراء النهر وخراسان ، وقيام دولة آل حمدان في الموصل ، وقيام عبدالرحمن الناصر في الاندلس ، واتخاذ لقب أمير المؤمنين ، واستمرت البلاد تعاني الفساد في الادارة ، وتدخل الجيش في سياسة الدولة ، حتى مقتل المقتدر في سنة ٣٢٠هـ بعد ان حكم اربعا وعشرين سنة[١] .

كان مقتل الخليفة المقتدر على يد مؤنس واعوانه من الاتراك ، ومثل به حيث رفع رأسه على خشبة ، وسلبت ثيابه ، وبقي جسده مطروحا بدون ستر[٢] ، مما أدى الى اجتراء الاتراك على الاعتداء على الخلفاء فيما بعد .

ولما قتل المقتدر ، وحمل رأسه بين يدى مؤنس ، وقال ان تنصبوا ابنه ابي العباس بالخلافة ، فعارض أبو يعقوب اسحق بن اسماعيل النوبختي هذا الرأي ، وقال : بعد الكد استرحنا من له والده وخاله ، وخدم فنعود الى تلك الحالة ، وعدل به الى محمد بن المعتضد ، فلما توثقوا منه بالايمان والعهود ، بايعوه ، وبايعه من حضر من القواد ، والقضاة ولقب القاهر بالله[٣] (٣٢٠ – ٣٢٢هـ) (٩٣٢ – ٩٣٤م) .

---

(١) المقريزى السلوك جـ١ ص١٨ ، ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٢١ ، الذهبي دول الاسلام جـ١ ص١٤٣ ، القرماني اخبار الدول ص١٦٦ ، العصامي سمط النجوم العوالي ص٣٦٠ .

(٢) الهمداني ص٩٠ ، ابو الفدا جـ٢ ص٨١ ، ابن الجوزي جـ٦ ص٢٤٦ ، الذهبي العبر جـ٢ ص١٧٨ ، الاربلي ص١٧٧ .

(٣) ابن كثير البداية والنهاية جـ١١ ص١٧٠ .

وكان مؤنس كارها لتوليته الخلافة وللبيعة له فقال : انني عارف بشره وشؤمه ، وسوء نيته ، ولكن لا حيلة[1] .

وبدأ القاهر عهده بمصادرة اموال اصحاب المقتدر ، وتتبع اولاده ، فبدأ بأم الخليفة المقتدر ، فأمر بضربها ، وعلقت من رجليها ، واستمروا يضربوها ، وهي تقول : الست امك في كتاب الله واشهدت على نفسها ببيع املاكها[2] . اذ اشرفت على الهلاك من شدة الضرب ، وقيل انها ماتت[3] . رغم احسانها الى القاهر في ايام اعتقاله ، اذ كانت تحمل اليه الطعام ، والكسوة ، والطيب[4] .

واستدعى الخليفة القاهر اولاد المقتدر ، وامر بمصادرتهم ، وسلمهم الى حاجبه[5] . كما قبض القاهر على ابن اخيه المكتفي ، وامر به فاقيم في بيت ، وسد عليه بالآجر والجص حتى مات[6] .

ويعتبر عصر الخليفة القاهر فترة انتعاش للخلافة ، اذ كان شديد البطش لاعدائه ، واباد جماعة من اهل الدولة ، فهابه الناس ، وخشوا صولته ، واتخذ حربه عظيمه ، يحملها في يده اذا سعى في داره ، ويطرحها بين يديه في حالة جلوسه ... فهدأت الامور واستقر الامن[7] . واستقامت له احوال بغداد ، واطلقت ارزاق الجند فعظمت هيبة الخليفة القاهر في

---

(١) ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٧٦ ، ابن العبرى ص٢٧٦ .

(٢) ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٧٧ ، ابو الفدا جـ٢ ص٨١ ، الدميرى ص١٠٣ .

(٣) السيوطي ص٢٥٦ ، اليافعي جـ٢ ص٢٧٩ ، العصامي ص٣٦١ ، ابن الوردي جـ١ ص٢٦٣ ، القرماني ص١٦٧ .

(٤) الاربلي خلاصة الذهب المسبوك ص١٧٩ .

(٥) ابن كثير جـ١١ ص١٧١، القلقشندى مآثر الانافه جـ١ ص٢٨٢ .

(٦) القرماني ص١٦٧ ، العصامي ص٣٦١ ، الدميرى ص١٠٣ .

(٧) المسعودى مروج الذهب جـ٤ ص٢٢١ .

النفوس[1] .

ويبدو ان اساليب العنف ، والقسوة التي اتبعها القاهر في معاقبة معارضيه كان الغرض منها ، اضعاف نفوذ الاتراك ، وكبار رجال الجيش والوزراء فانتعشت الخلافة في عهده ، وقد حاول الاتراك التأكد من مدى قوة وسطوة الخليفة وشجاعته ، ففي سنة ٣٢١ هـ ، طلب ابن يلبق من الخليفة القاهر بما كان عنده من اثاث ام المقتدر[2] . فغضب القاهر لذلك وشرع يعد العدة للتخلص من منافسيه ، اذ شعر انهم اخذوا يضيقون عليه وعلى اتباعه ، ووكلوا بتفتيش كل من يدخل دار القاهر ويخرج منها ، واستطاع القاهر القضاء عليهم ، فراسل الساجيه اصحاب يوسف بن ابي الساج ، ليغريهم بمؤنس ويلبق ، ويقسم لهم على الوفاء ، فتغيرت قلوبهم ، وبلغ الوزير ابن مقله ان الخليفة يجتهد في التآمر ضدهم ، فنقل ذلك الى مؤنس ، ويلبق ، وابنه ، فاتفق رأيهم على خلع القاهر ، وتولية ابي احمد المكتفي الخلافة ، وبايعوه سرا فيما بينهم ، وقبض القاهر على يلبقاً وابنه ، ومؤنس ، واستتر ابن مقله ، وامر القاهر بذبحهم فطيف برؤوسهم في بغداد ، ونودى بان هذا جزاء من يخون الامام ، ويسعى في فساد دولته[3] .

وينسب المؤرخ ابن الاثير : الخلاف الذي حدث بين القاهر ومؤنس واعوانه الى ان محمد بن ياقوت علت منزلته عند القاهر ، مما أثار حسد وغيرة ابن مقله ، لعداوة كانت بينه وبين محمد بن ياقوت ، فزعم مؤنس ان

---

(١) اليافعي مرآة الجنان جـ٢ ص٢٨١ .

(٢) ابو المحاسن النجوم الزاهرة جـ٣ ص٢٣٨ .

(٣) مسكويه جـ١ ص٢٦١ ، ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٧٩ ـ ٨٢ ، ابن العبرى ص٢٧٦ ، ابو الفدا جـ٢ ص٨١ ، الاربلي ص١٧٩ ، ابو المحاسن النجوم جـ٣ ص٢٣٨ ، ابن كثير جـ١١ ص١٧٢، ابن الوردى جـ١ ص٢٦٤ .

محمدا يسعى به عند القاهر[1] . واخذ ابن مقله يراسل خواص المماليك من (الحجرية) و (الساجية) ، ويحرضهم ضد القاهر[2] . وكان لابن مقله الدور الفعال في نكبة الخليفة القاهر ، حيث استخدم شتى الاساليب والوسائل للكيد به والتخلص منـه ، فقد اعطى منجما مائـة دينار ليقول للقواد : ان عليهم مطعنا من القاهر ، وانتهى الامر بسجن القاهر وسمل عينيه سنة ٣٢٢ هـ[3] واخرجوا الراضي وبايعوه بالخلافة . (٣٢٢ - ٣٢٩ هـ) (٩٣٤ - ٩٤٠ م) . عانى القاهر من الفقر ، وقلة الاموال ، حتى انه قـام يوما بجامع المنصور ، فسأل الناس ، فاعطاه الرجل خمسمائة دينار . ويذهب بعض المؤرخين الى ان القاهر (انما اراد بسؤاله التشنيع عليهم)[4] .

استوزر القاهر - بعد ابن مقله - ابا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله ، فاستمر يلي الوزارة ، حتى قبض عليه في نفس السنة ، وعلى اولاده ، واخيه ، وحرمه ، ثم استوزر القاهر ابا العباس احمد بن عبيد الله بن سليمان الخصيبي ، واستمرت وزارته ثلاثة اشهر واربع عشر يوما[5] .

وهكذا كان القاهر ضحية استبداد القادة ، وخيانة الوزراء ، وجشعهم وتآمرهم على الخلافة . ولما قبض عـلى القاهر وسملت عينيه ، استخرج الساجية والحجرية - ابا العباس احمد بن المقتدر - من الحبس وسلم عليه

---

(١) ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٧٨ .

(٢) الاربلي ص١٨٠ ، الذهبي دول الاسلام جـ١ ص١٤٣ ، الهمداني تكملة الطبرى ص١٠١ .

(٣) ابن خلكان جـ١ ص٢٧٢ ، مسـكويه جـ١ ص٢٨٩ - ٢٩٢ ، الذهبي العبر جـ٢ ص١٨٩ ، الدميرى ص١٠٣ .

(٤) ابن كثير جـ١١ ص١٧٨ ، الذهبـي العبـر جـ٢ ص٢٥١ ، القلقشندى مآثر الانافة جـ١ ص٢٨١ ، العصامي ص٣٦١ .

(٥) المسعودي مروج الذهب جـ٤ ص٢٢٢ ، ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٨٤ .

بالخلافة ولقبوه (الراضي بالله) وذلك سنة ٣٢٢ هـ ٠

واراد الخليفة الراضي بالله استيزار علي بن عيسى ، فامتنع ، واشار بتولية ابي علي بن مقله ، وخلع عليه خلع الوزارة[١] ٠

اشتهر الخليفة الراضي بانه اخر خليفة له شعر مدون ، واخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والاموال ، واخر خليفة خطب على منبر في يوم الجمعة ، واخر خليفة جالس الندماء ، واخر خليفة كانت نفقته ، وجوائزه ومطابخه ، وشرابه ، ومجالسه ، وخدمه ، وحجابه ، واموره ، جارية على ترتيب الخلفاء الأول[٢] ٠

تولى الوزارة في عهد الخليفة الراضي ابو علي بن مقله ، وابنه علي ابو الحسين شريكا مع ابيه ، فكانت الكتب تصدر بعبارة (من ابي علي وعلي ابن ابي علي) ولم يل الوزارة اصغر سنا من علي ، اذ كان عمره ثمان عشرة سنة[٣] ٠

ضعف مركز الوزير في عصر الراضي ، فقد تعهد ابن مقله لسيما الشرابي بدفع خمسمائة الف دينار مقابل توليه الوزارة[٤] ٠

وعانى ابن مقلة خلال وزارته للراضي من ضائقة مالية لسوء تدبيره ومما زاد اضطراب الوضع المالي ، احتجاز ابن رائق الاموال الواردة من واسط والبصرة ، انتقاما من ابن مقلة ، وتحكم محمد بن ياقوت في الامور واستقلاله بها ، فظل الوزير ابن مقلة مجردا من السلطة ٠

---

(١) ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٨٩ ، مسكويه جـ١ ص٢٩٢ ، القلقشندى مآثر الانافه جـ١ ص٢٨٦ - ٢٨٧ ، الدميرى ص١٠٣ ٠

(٢) القرماني اخبار الدول ص١٦٨ ٠

(٣) السيوطي حسن المحاضرة جـ٢ ص١٢٧ ٠

(٤) Bowen, The good Vizier Ali Ibn Isa. P. 323 - 324.

وفي سنة ٣١٣ هـ ، قبض الخليفة الراضي على محمد بن ياقوت فعظم شأن الوزير ابن مقلة ، واستقل بتدبير الدولة ، ولم يلبث ان اطلق الراضي مظفر بن ياقوت ، وحلف للوزير على المصافاة ، وفي نفسه الحقد عليه ، لانه نكبه ونكب اخاه محمدا ، ثم اخذ يسعى في هلاكه[١] . وصادف ان تأخر ابن مقلة في دفع ارزاق الجند ، فقصد الجند داره ونهبوها[٢] .

وفي ١٦ جمادى الاولى سنة ٣٢٤ هـ ، قبض المظفر بن ياقوت ، والحجرية على ابن مقلة ، واتجهوا الى الراضي يعرفونه بذلك فاستحسن فعلهم[٣] . وصادر امواله ، وعذبه[٤] .

فرشحت الساجية والحجرية للراضي وزيرا هو علي بن عيسى ، فعرض الراضي الوزارة عليه فامتنع ، ورشح اخاه عبدالرحمن فاستوزره الخليفة الراضي[٥] .

وعجز عبدالرحمن عن ضبط الامور ، وتفاقمت المشكلة المالية ، فاستقال من الوزارة ، وقبض الراضي عليه ، وعلى اخيه علي بن عيسى ، واستوزر ابا جعفر محمد بن القاسم الكرخي ، فصادر اموال علي بن عيسى واخاه عبدالرحمن[٦] .

واخفق ابا جعفر محمد بن القاسم الكرخي في توفير الاموال ، نتيجة حجز ابن رائق ايرادات واسط والبصرة ، وقطع البريدى موارد الاهواز فقلت الاموال في بغداد ، فعزل الخليفة الكرخي ، واستوزر سليمان بن

---

(١) ابو المحاسن النجوم الزاهرة جـ٣ ص٢٤١ ـ ٢٥٧ .
(٢) ابن كثير البداية والنهاية جـ١١ ص١٨٢ .
(٣) ابن الاثير الكامل جـ٨ ص١٠٠ ، ابو الفدا المختصر جـ٢ ص٨٩ .
(٤) اليافعي جـ٢ ص٢٨٨ ، الذهبي العبر جـ٢ ص٢٠٠ ، مسكويه جـ١ ص٣٣٦ .
(٥) ابن الاثير الكامل جـ٨ ص١٠٠ .
(٦) مسكويه جـ١ ص٣٣٨ ، ابن الاثير الكامل جـ٨ ص١٠٠ .

الحسن[1] . فاخفق ايضا في توفير الاموال ، واضطر الخليفة الراضي الى ان يراسل محمد بن رائق ، وهو بواسط ، وطالبه بالاموال لتوفير نفقات الجيش والحاشية ، واعلمه انه قلده ، الامارة ، ورياسة الجيش ، وجعله (امير الامراء) ورد اليه تدبير اعمال الخراج والضياع وفوض اليه تدبير المملكة ، وامر بان يخطب على جميع المنابر في الممالك ، وبان يكنى ، وانفذ اليه الخلع ، واللواء ، فعلت مرتبة محمد بن رائق على مرتبة الوزير[2] .

---

(1) الهمداني ص١٢٢ ، مسكويه ج١ ص٣٥٠ ، ابو الفدا ج٢ ص٨٩ ، ابن الوردى ج١ ص٢٦٩ .

(2) مسكويه ج١ ص٣٥٠ ، الهمداني ص١٢٣ ، ابن خلكان ج١ ص٢٧٣ ، اليافعي ج٢ ص٢٩٢ .

٢ ـ الوزارة في عصر أمرة الامراء

ضعف شأن الوزارة في عصر امرة الامراء ، فلم يكن للوزير ينظر في شيء من امر النواحي ، ولا الدواوين ، ولا الاعمال ، ولا كان له غير اسم الوزارة فقط ، وعليه ان يحضر في ايام المواكب الى دار السلطان بسواد ، وسيف ، ومنطقة • بينما اصبح امير الامراء ابن رائق وكاتبه ينظران في جميع الامور ، وصارت اموال النواحي تحمل الى خزائن الامراء فيأمرون وينهون فيها ، وينفقون منها كما يرون ، ويطلقون لنفقات السلطان ما يريدون ، فبطلت بيوت الاموال[1] •

ويقول صاحب الفخري : (واستبد ابن رائق أمير الامراء بالامور ، ورد الحكم في جميع الامور الى نظره ، ولم يبق للوزير سوى الاسم من غير حكم ولا تدبير)[2] •

وهكذا زال نفوذ الوزير من الناحية العملية في عصر امرة الامراء ، ولم يبق منها الا الناحية الاسمية • واصبح منصب الوزير فخريا شرفيا ، واعتبر احد افراد حاشية الخليفة •

كما ان الخليفة باستحداثه هـذا المنصب (امير الامراء) فقد كل صلاحياته من سياسية ، ومالية ، وعسكرية ، وغيرها •

واقتصر نفوذ الخليفة على بغداد واعمالها ، والنفوذ الحقيقي فيها لابن رائق ، ولم يمتد نفوذ الخليفة الى الاطراف فكانت (البصرة) في يد ابن رائق ، (وخوزستان) في يد البريدى ، و (فارس) في يد عماد الدولة ابن بويه ، و (كرمان) في يد ابي علي محمد بن العباس ، و (الري)

---

(١) مسكويه جـ١ ص٣٥٠ ـ ٣٥٢ ، الهمداني ص١٢٣ ، الذهبي العبر جـ٢ ص٢٠٠ ـ ٢٠٤ ، السيوطي تاريخ الخلفاء ص٢٦٠ •

(٢) الفخرى ص٢٥٣

واصفهان والجبل في يد ركن الدولة ابن بويه ، وشمكير اخو مرداويج يتنازعان عليها ، و (الموصل وديار بكر ومضر وربيعة) في يد بني حمدان و (مصر والشام) في يد الاخشيد ، و (المغرب وافريقية) في يد القائم العلوي بن المهدى ، و (الاندلس) في يد عبدالرحمن الاموي الناصر لدين الله ، و (خراسان وما وراء النهر) في يد نصر بن احمد بن سامان ، و (طبرستان وجرجان) في يد الديلم ، و (البحرين واليمامة) في يد ابي طاهر القرمطي[١] .

ويقول ابن خلدون (واستبد العجم في امور الخلافة) ، ولم يتمكن هؤلاء ان ينتحلوا القاب الخلافة ، واستنكفوا من مشاركة الوزراء في اللقب لانهم (خول)[٢] لهم فتسموا بالامارة او السلطان ، وكان المستبد على الدولة يسمى (امير الامراء) او (السلطان) . الى ما يحليه به الخليفة من القابه ، كما تراه في القابهم ، وتركوا اسم الوزارة على من يتولاها للخليفة من خاصته ، ولم يزل هذا الشأن عندهم الى آخر دولتهم)[٣] .

واصبح الوزير بعد احداث هذا المنصب مجرد كاتب يتولى الامور المالية للخليفة وحده ، في حين انتقلت سلطات الوزير والخليفة الى امير الامراء وفي ذلك يقول مسكويه : (ان الراضي عرفه انه قلده الامارة ورياسة الجيش ، وجعله امير الامراء ، ورد اليه تدبير اعمال الخراج ، والضياع واعمال جميع النواحي ، وفوض اليه تدبير المملكة ، وامر بان يخطب له على جميع المنابر في الممالك)[٤] .

---

(١) ابو الفدا جـ٢ ص٨٩ ، الدميرى ص١٠٣ ، العصامي ص٣٦٢ .

(٢) خول : حشم الرجل واتباعه .

(٣) ابن خلدون المقدمة جـ١ ص٤٢٣ .

(٤) مسكويه تجارب الامم جـ١ ص٣٥٦ .

استفحل نفوذ امير الامراء حتى ان القائم بهذا المنصب في عهد الخليفة الراضي سنة ٣٢٢ هـ ، امر بذكر اسمه في خطبة الجمعة الى جانب اسم الخليفة ، وظل قادة الاتراك يتوارثون هذا المنصب حتى انتزعه منهم البويهيون الذين سيطروا على مقاليد الامور بصورة اوضح في بغداد سنة ٣٣٤ هـ ، في عهد الخليفة المستكفي .

وبهذا ضعف شأن الخليفة والوزير ، وصار لامير الامراء الحق في اختيار وزيرا للخليفة ، ففي سنة ٣٢٤ هـ كتب امير الامراء ابن رائق كتابا نيابة عن الخليفة الراضي الى ابي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ، يستدعيه ليجعله وزيرا ، وكان يتولى الخراج بمصر والشام ، وكان ابن رائق يظن انه اذا استوزره جبى له اموال مصر والشام ، فقدم الفضل الى بغداد وتولى الوزارة للخليفة وابن رائق على اللواء[1] .

ولما عجز ابن الفرات عن توفير الاموال بسبب ازدياد نفوذ القواد الاتراك وسيطرتهم على الاموال ، وعجز امير الامراء عن القضاء على الثورات بسبب الحروب الداخلية ، وانفصال بعض الولايات ، وتجريد الوزير من صلاحية تنظيم مالية الدولة ، نصح الوزير ابن الفرات ابن رائق بالخروج الى الشام ، واوهمه انه اذا رحل اليها حاز اموال مصر والشام ، فاستجاب ابن رائق للنصيحة ، واستوزر الراضي ابا علي بن مقلة ، ولم يكن له من الامر شيء وانما الامر جميعه لابن رائق ، واخذ ابن مقلة يسعى في الخلاص من ابن رائق ، فسعى عند الراضي في القبض عليه واقامة بجكم ، وكاتب بجكم يطمعه في منصب ابن رائق ، ولكن الراضي تحالف مع ابن رائق ضد ابن مقله ، واعلمه بمؤامرة ابن مقلة ، فشكر ابن رائق الراضي على ذلك ، وقبض على ابن مقله وقطع يده وعزله وصار ابن مقله يدعو على من ظلمه وقطع يده ، فوصل خبره الى الراضي وابن رائق ، فأمرا بقطع لسانه ،

---

(١) ابن الاثير الكامل جـ٨ ص١٠٥ ، ابن الوردى جـ١ ص٢٦٩ ، ابو المحاسن جـ٣ ص٢٦٠ .

وحبسه حتى مات في شوال سنة ٣٢٨هـ[١] .

وقال المؤرخون عنه : (خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات ، لثلاثة من الخلفاء وكتبت بها القرآن الكريم دفعتين ، تقطع كما تقطع ايدي اللصوص)[٢] .

ضعف امر ابن رائق نتيجة انتشار الاضطرابات في البلاد ، وقلة الاموال فتقدم بجكم التركي من واسط الى بغداد ، فهرب ابن رائق واختفى ، ودخل بجكم بغداد ، فخلع الخليفة الراضي عليه ، وعقد له لواء وجعله (امير الامراء)[٣] .

استوزر الخليفة الراضي باشارة بجكم ابا عبدالله البريدى ، ويبدو ان البريدى لم يكن طامعا بالوزارة ، وانما كان يطمع في المزيد ، وقيل ايضا ان البريدي امتنع عن الوزارة ، وقال لوسست بعض دواب الخليفة لشرفت بذلك ، فقال الخليفة الراضي : (ان الوزارة قطعة من الخلافة ، ووهنها وهن الخلافة)[٤] وفي سنة ٣٢٨ هـ ساءت العلاقات بين بجكم وبين الوزير ابي عبدالله البريدى ، وكان بنتيجتها ان عزل بجكم هذا الوزير ، واستوزر بدله ابا القاسم سليمان ابن الحسن بن مخلد[٥] .

ومات الراضي سنة ٣٢٩ هـ ، فبقي امر الخلافة معلقا حتى يقدم

---

(١) ابن الاثير الكامل جـ٨ ص١١١ ، ابن العبرى ص٢٨٤ ، القلقشندى مآثر الانافة جـ١ الانافة جـ١ ص٢٨٨ ، الذهبي دول الاسلام جـ١ ص١٤٧ ، ابن الوردى جـ١ ص٢٧٠ ، ابن كثير ص١٨٨ ، ابو المحاسن جـ٣ ص٢٦٢ .

(٢) مسكويه جـ١ ص٣٨٨ ، اليافعي جـ٢ ص٢٩٣ ، القلقشندى ، مآثر الانافة جـ١ ص٢٨٩ .

(٣) الذهبي العبر جـ٢ ص٢٠٦ ، القلقشندى مآثر الانافة جـ١ ص٢٨٩ ، مسكويه جـ١ ص٣٩٣ ، السيوطي تاريخ الخلفاء ص٢٦٠ .

(٤) الصولي (الاوراق) اخبار الراضي والمتقي ص١٣٤ – ١٣٥ .

(٥) الذهبي العبر جـ٢ ص٢١٠ ، ابو المحاسن جـ٣ ص٢٦٦ .

بجكم من واسط ، فارسل بجكم كاتبه ابي عبدالله الكوفي ، وامره بان يجتمع مع ابي القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد وزير الراضي ، ومع كل من تقلد الوزارة ، ومع اصحاب الدواوين ، والعلويين والقضاة ، والعباسيين ووجوه القوم فشاورهم الكوفي فيمن يتولى الخلافة ، فاجتمعوا ، واتفقوا على ابراهيم بن المقتدر ، وبويع له بالخلافة وعرضت عليه الالقاب فاختار لقب (المتقي لله) .

ولما بويع للمتقي بالخلافة (٣٢٩ - ٣٣٣هـ / ٩٤٠ - ٩٤٤م) ، سير الخلع واللواء الى بجكم بواسط ، واقر بجكم سليمان بن الحسن وزير الراضي في منصبه ، وان لم يكن له من الوزارة الا اسمها بينما التدبير كله للكوفي كاتب بجكم[١] . فقيل في ذلك[٢] :-

وزير رضى عن بأسه وانتقامه ... يملي رقاع حشوها النظم والنثر
كما تسجع الورقاء وهي حمامة ... وليس لها نهي يطاع ولا امر

ثم عزل الخليفة المتقي وزيره سليمان بن الحسن ، واستوزر كاتبه قبل الخلافة ابا الحسين احمد بن محمد بن ميمون ، ولما قدم ابو عبدالله البريدى يطلب الوزارة ، اجابه المتقي الى طلبه وقلده المنصب[٣] . واخفق البريدى في توفير المال ، فثارت الجند عليه وطالبوه ارزاقهم ، فخاف منهم وهرب ، وقيل عقد المتقي الامر الى علي بن عيسى واخوه عبدالرحمن دون تسميتهم بوزراء[٤] .

---

(١) ابو الفدا جـ٢ ص٩٣ ، ابن الاثير الكامل جـ٨ ص١١٩ ، الذهبي دول الاسلام جـ١ ص١٤٨ ، ابن كثير جـ١١ ص١٩٨ .

(٢) القلقشندى مآثر الانافة جـ١ ص٢٩٤ .

(٣) الذهبي دول الاسلام جـ١ ص١٤٨ ، مسكويه جـ٢ ص١٢ ، الصولي الاوراق (اخبار الراضي والمتقي) ص٢٠١ ، الهمداني ص١٤٧ .

(٤) الهمداني تكملة الطبرى ص١٥٢ .

ريثما يتم اختيار وزير له ، وولى الوزارة بعد ذلك ابا اسحاق محمد ابن احمد بن ابراهيم الاسكافي القراريطي ، فثار الجند ضده مطالبين بالاموال ، فعزله الخليفة عن الوزارة بعد ثلاثة واربعين يوما ، وتولى ابو جعفر محمد بن القاسم الكرخي الوزارة[1] .

ولم يلبث الوزير الجديد ان عزل ايضا بعد ثلاثة وثلاثين يوما ، فتضاءل شأن الوزارة ، نتيجة ضعف الدولة والخلافة[2] . ولانقطاع ورود الاموال الى بغداد من الاقاليم ، واستئثار العمال والولاة بها[3] .

فحاول بجكم حل الضائقة المالية ، فاتفق مع المتقي على الخروج الى واسط للحصول على الاموال ، واصلاح الاوضاع ، ثم خرج بجكم للصيد وهو بواسط فالتقى بجماعة من الاكراد وطمع في اموالهم ، فقتله صبي منهم سنة ٣٢٩هـ[4] . وقصد معظم عسكره الى ابن البريدى ، واخذ المتقي من دار بجكم ما زاد على مليوني دينار[5] . وقلد الخليفة امارة الامراء الى (كورتكين) ويبدو ان الخليفة المتقي لم يكن راضيا عن امير الامراء الجديد (كورتكين) كما تظلمت العامة من الديلم اتباع كورتكين ، وكان الخليفة قد كتب لابن رائق بالشام يستدعيه ليخلصه من مظالم الديلم ، ومن استبداد البريدى ، فقدم ابن رائق بغداد وهرب كورتكين منها ، ثم ظفر ابن رائق به واودعه السجن في دار الخلافة[6] . وتجدد الرأي لدى المتقي في رد

---

(١) الصولي اخبار الراضي والمتقي (الاوراق) ص٢٠٤ .

(٢) الذهبي العبر جـ٢ ص٢١٦ .

(٣) الذهبي دول الاسلام جـ١ ص١٤٨ .

(٤) القلقشندى مآثر الانافه جـ١ ص٢٩٤ ، الذهبي دول الاسلام جـ١ ص١٤٨ ، ابو الفدا جـ٢ ص٩٤ ، ابن العبرى ص٢٨٦ .

(٥) الاربلي خلاصة الذهب ص١٨٧ ، ابن كثير جـ١١ ص١٩٩ .

(٦) الصولي اخبار الراضي والمتقي (الاوراق) ص٢١٩ .

الوزارة الى ابي عبدالله البريدى فعقد له الوزارة سنة ٣٣٠هـ ، ومدحه الصولي[١] :ـ

هنيئا للوزير قضـاء دين   به اضحى الزمان قرير عين
وعود وزارة سيقت اليـه   كعودة قرب حب بعد بين

ولما عاد البريدى الى بغداد ، سادت الاضطرابات فيها ، ووقع النهب والسلب فهرب الخليفة المتقي ، وابن رائق الى الموصل ، ولاذ ببني حمدان ، وأمر ناصر الدولة الحمداني بقتل ابن رائق فقتل سنة ٣٣٠هـ ، وخلع الخليفة المتقي على ناصر الدولة ، وجعله امير الامراء ، وخلع على اخيه ابي الحسن ولقبه سيف الدولة ، ورحل الخليفة وبنو حمدان من الموصل الى بغداد . فهرب عنها ابو الحسين اخو البريدى فدخلهـا المتقي مع بني حمدان[٢] .

ورد الخليفة ابا اسحاق القراريطي الى الوزارة ، وقلد توزون شرطة بغداد سنة ٣٣٠هـ[٣] .

استأثر بنو حمدان بالسلطة ، واساءوا معاملة الخليفة ، وقد اشـار الصولى الى ذلك بقوله : (وضيق ناصر الدولة على المتقي في نفقاته ، وعلى اهل بيته ، وانتزع ضياعه وضياع والدته ، فجعلها في جملته)[٤] .

وثار الاتراك ضد سيف الدولة فاضطر الى الفرار الى الموصـل ،

---

(١) الصولي اخبار الراضي والمتقي ص٢١٩ .

(٢) ابن كثير جـ١١ ص٢٠٢ ـ ٢٠٣ ، القلقشندى مآثر الانافة جـ١ ص ٢٩٥ ، ابن العديم زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ١ ص ١٠٢ ، الذهبي دول الاسلام جـ١ ص١٤٩ .

(٣) مسكويه جـ٢ ص٢٣ ، ابن الاثير الكامل جـ٨ ص١٢٥ .

(٤) الصولي اخبار الراضي والمتقي ص٢٣٥ ، ص٢٤٢ .

واستنجد بتوزون ، فقدم الى بغداد سنة ٣٣١هـ ، وخلع المتقي عليه وولاه امرة الامراء[١] .

وعهد المتقي بالوزارة الى ابي العباس احمد بن عبدالله الاصفهاني ، وخلع عليه خلع الوزارة ، واصبح ابو عبدالله الكوفي المدبر الحقيقي للامور ، وصادر الخليفة اموال القراريطي[٢] .

ساءت العلاقات بين الخليفة المتقي وتوزون امير الامراء ، وتقدم المتقي الى الموصل ، وكان توزون حينئذ بواسط ، فلما علم بخروج المتقي عاد الى بغداد ، وتقدم ناصر الدولة الحمداني لقتال توزون الذي التقى بجيوشه عند تكريت ، فانهزم الحمدانيون الى الموصل ، وتبعهم توزون ، ورحل الخليفة المتقي وبنو حمدان الى نصيبين ، واقام المتقي بالرقة ، واستولى توزون على الموصل ، واخذ من اهلها مائـــة الف دينار[٣] . وكتب المتقي الى توزون يعرض عليه الصلح ، ويدعوه للقدوم الى بغداد ، واقسم توزون للخليفـــة المتقي على الطاعة ، فعاد المتقي الى بغداد ، واستقبله توزون بالسندية ، ولكن ما لبث ان قبض على الخليفة ، وسمل عينيه ، وبايع المستكفي بالخلافة سنة ٣٣٣هـ[٤] .

---

(١) السيوطي تاريخ الخلفــاء ص٢٦٢ ، ابن الاثير الكــامل جـ٨ ص١٢٩ .

(٢) الهمداني تكملة الطبرى ص١٦١ .

(٣) اليافعي مرآة الجنان جـ٢ ص٣١١ ، الذهبي العبر جـ٢ ص٢٢٨ .

(٤) ابن مســكويه جـ٢ ص٧٢ ، ابن الاثير الكامل جـ٨ ص١٣٦ ، الكتبي جـ١ ص٧ ـ ٨ ، الصولي الاوراق ص٢٨٢ ، الصفدى نكت الهميان ص٨٧ ، المسعودى مروج جـ٤ ص٢٤٩ ـ ٢٥٠ ، الخطيب البغدادي جـ٦ ص٥١ ، الهمداني ص١٧٥ ، اليافعي جـ٢ ص٣١٢ ، الدميرى ص١٠٤ ، العصامي ص٣٦٣ ، ابو الفدا جـ٢ ص٩٥، السيوطي تاريخ الخلفاء ص٢٦٣ .

ويبدو ان امير الامراء توزون لم يكتف باضطهاد الخليفة وتعذيبه بل تجرأ بالاعتداء على حياته . وفي ذلك يقول الشاعر[1] :ـ

صرت وابراهيم شيخ عمي   لابد للشيخين من مصدر
ما دام توزون لـه امرة   مطاعة فالميل في المجمر

ثم قبض توزون على الوزير ابي الحسن بن علي بن مقلة ، واطلقه بعد ان صادره على ثلاثين الف دينار من امواله[2] .

---

(١) السيوطي تاريخ الخلفاء ص٢٦٣ ، العصامي سمط النجوم ص٣٦٣ ، المقريزى السلوك جـ١ ص١٩ .

(٢) مسكويه تجارب الامم جـ٢ ص٨٠ .

٣ ـ تدخل الحريم والجيش في اختيار الوزير وعزله

لعب الحريم ورجال الجيش ، دورا كبيرا وخطيرا في سياسة الدولة ، وقد ادى تدخلهم الى اضعاف نفوذ الحكومة ، وخاصة نفوذ الوزراء والولاة ، واضحت هذه المناصب يتولاها اشخاص يفتقدون الخبرة والدراية والمقدرة ويعزى ضـعف الخلافة الى مكائد ومؤامرات النسـاء ، واطماع القواد والوزراء ، فلما افضت الخلافة الى المقتدر ، وكان صغير السن ، والكتاب . الامور بنفسه ، بل تولاها النساء والامراء ، والقواد ، والوزراء ، والكتاب . ولم يكن له حل ولا عقد ، فذهب ما كان في خزائن الدولة من الاموال ، وزال كثير من رسوم الخلافة[١] . وخرجت الاقاليم عن سلطة الخليفـة ، وطمع العمال في الاستقلال بالاطراف[٢] .

وادى تدخل النساء في شؤون الدولة ، وخاصـة في تولية الوزراء وعزلهم الى عدم تولي الاكفاء من الوزراء ، واضحت الوزارة العوبة بايديهن ، يحظى بها من يدفع اتاوة اكبر اليهن ، ومن ترغبن فيه ، واصبح الحكم في يد ام الخليفة وتسمى (السيدة) وشاركتها في هذا التدخل في امور الدولة قهرمانتها[٣] (ثومال) ، وكانت تجلس للنظر في المظالم ، مـع الوزراء والكتاب والقضاة واهل العلم ، وتوقع على الاحكام[٤] .

---

(١) المسعودى التنبيه والاشراف ص٣٢٨ ، مسكويه جـ١ ص١٣ ، ابو الفدا ص٨١ .

(٢) ابن الوردى جـ١ ص٢٥٣ ، ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٢١ .

(٣) القهرمانة : المسيطرة على من تحت يدها في القصر . أو (وكيلة او امينة الدخل والخرج) .

(٤) المسعودى التنبيه والاشراف ص٣٢٨ ، اليافعي جـ٢ ص٢٤٦ ، الذهبي العبر جـ٢ ص١٣١ .

كما استهتر القواد والولاة بسلطات الخلافة ، وخرجوا كثيرا عن طاعة الخليفة ، واستبدوا بالاموال ، واثار تدخل النساء في الحكم الرأى العام الذي كان ينظر الى تلك الاوضاع الشاذة نظرة احتقار وازدراء ، وزالت هيبة الخلافة من النفوس ، وفي ذلك يقول صاحب الفخرى : (واعلم ان دولة المقتدر كانت دولة ذات تخليط كثير ، لصغر سنه ، ولاستيلاء امه ونسائه وخدمه عليه ، وهو مشغول بلذاته ، فخرجت الدنيا في ايامه ، وقلت بيوت الاموال ، واختلفت الكلمة ، فخلع ، ثم اعيد ، ثم قتل)[١] .

ويقول الذهبي ايضا : (وفي ايام المقتدر ، اضمحلت دولة الخلافة العباسية وصغرت ، لانه كان مؤثرا للعب ، والشهوات ، غير ناهض باعباء الخلافة ، وكانت امه وخالته ، وقهرمانته ، يدخلن في الامور الكبار ، والولايات ، والحل والعقد)[٢] .

وقد انفق المقتدر اموالا طائلة على نسائه وجواريه ، حتى غدت خزائنه فارغة . ويشير صاحب الفخرى الى كثرة هذه الاموال فيقول : (وكانت خزانة الجوهر في ايامه مترعة بالجواهر النفسية ، فمن جملتها الفص الياقوت ، الذي اشتراه الرشيد بثلثمائة الف دينار ، والدرة اليتيمة التي كان وزنها ثلاثة مثاقيل ففرقها جميعها واتلفه في ايسر مدة)[٣] .

وقد كانت السيدة وقهرمانتها (ثومال) يتدخلن في عزل الوزراء وتعيينهم ففي سنة ٢٩٩ هـ ، لما قبض المقتدر على الوزير علي بن محمد بن الفرات ، وولى ابا علي محمد بن يحيى بن خاقان الوزارة ، كان ذلك

---

(١) الفخرى ص٢١١ .

(٢) الذهبي العبر جـ٢ ص١٨٢ ، اليافعي جـ٢ ص٢٧٩ .

(٣) الفخرى ص٢٠٩ .

بتأثير ام المقتدر بعد ان ضمن لها الوزير مائة الف دينار[1] . كما ولى المقتدر ابا الحسن ابن ابي البغل الوزارة في بغداد ، وكان وزيرا باصبهان ، وعاونه في تولي الوزارة ام موسى القهرمانية[2] . ولما علم الخاقاني ضمن لام المقتدر خمسين الف دينار ، فتقضت امر ابن ابي البغل ، وردته واليا على فارس[3] . ولما علمت ام موسى القهرمانية بما حدث راجعت الخليفة ، فامتنع عن استيزاره ورده الى اصبهان ، ولابي سعيد عبدالرحمن بن احمد الاصبهاني الكاتب الى ابي الحسين بن ابي البغل في هذا المعنى من قصيدة[4] :

امل كان كضوء الـ ـشمس في بعد المكان
فاذا صار على قر ب بلمس وعيان
اشردته يد الدهر فعدنا في الامان

وله اليه في هذه المعنى من قصيدة مطلعها :ـ

أرادوا له ما لم يرده لنفسه لكي يدركوا عزا وفضل ثراء
وافضل من نيل الوزارة لامرىء بقاء يريه مصرع الوزراء
اريد له طول البقاء وقلما رأيت وزيرا نال طول بقاء

واضطربت الامور في عهد الخاقاني ، فقبض عليه وعزله ، واستدعى المقتدر علي بن عيسى من مكة ، فاستوزره سنة ٣٠١ هـ ، ولكنه عزل في سنة ٣٠٤ هـ ، واعاد ابا الحسن علي ابن الفرات ، وفي اخر ذى القعدة قدمت ام موسى القهرمانة اليه ، لتتفق على ما يحتاجه حرم قصر الخلافة والحاشية

(١) عريب صلة الطبرى جـ١٢ ص٢٠ ، الصابىء الوزراء ص٢٨٨ .
(٢) ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٢١ .
(٣) عريب صلة الطبرى جـ١٢ ص٢٢ .
(٤) الصابىء الوزراء ص٢٩٧ ـ ٢٩٩ .

من النفقات ، فاعلمها حاجبه بانه نائم فغادرت الدار ، وبعث ابن عيسى الجراح حاجبه وولده يعتذرون لها ، فلم تقبل الاعتذار ، وحرضت الخليفة المقتدر على الوزير فعزله واعاد ابن الفرات الى الوزارة[1] .

وفي وزارة ابن الفرات الثانية ، شغب الجند بسبب تأخر ارزاقهم ، وكان ابن الفرات يعمل على تنظيم الايرادات ومراجعة الضمانات ، فوجد في ضمانات أعمال واسط ما تجب زيادته ، فخاف حامد بن العباس صاحب الضمان ان يؤخذ ، وان يطالب بذلك المال ، فكتب الى نصر الحاجب ، والى السيدة والدة المقتدر وضمن لها مالا ليرشحاه عند المقتدر ليلي الوزارة ، فذكروا للمقتدر حاله وسعة نفسه ، وكثرة اتباعه ، فامره بالقدوم من واسط ، فقدم وقلده الوزارة ، وقبض على ابن الفرات وولده المحسن واصحابهما واتباعهما[2] . فلم يقم حامد بواجبات الوزارة فاطلق المقتدر علي بن عيسى ، واقامه على الدواوين نائبا عن حامد ، ولم يبق لحامد الا اسم الوزارة فقط[3] .

وفي سنة ٣١١ هـ ، ولي علي بن محمد بن الفرات الوزارة للمرة الثالثة ، وقبض على الوزير حامد بن العباس ، وقد حاول حامد اغراء نصر الحاجب والسيدة بالمال ، فتعهد بدفع خمسمائة الف دينار لهم ان حبس عندهم ، دون تسليمه الى المحسن بن الفرات فلم ينجح في مسعاه[4] .

ولما تغير حال ابن الفرات ، سعى عبدالله بن محمد بن عبيد الله بن

---

(١) ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٣١ ، مسكويه جـ١ ص٤٠ ، الصابىء الوزراء ص٣١٠ ، ابن خلدون العبر جـ٣ ص٧٧٣ .

(٢) ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٣٥ ، الصابىء الوزراء ص٣٠٨ ، مسكويه جـ١ ص٥٧ ، ابن خلدون العبر جـ٣ ص٧٧٨ .

(٣) مسكويه جـ١ ص٦٠ ، ابن خلدون العبر جـ٣ ص٧٧٨ .

(٤) عريب صلة الطبرى جـ١٢ ص٥٧، ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٤٣ .

يحيى بن خاقان الى الوزارة ، وتعهد بتأدية الفي الف دينار ، وسعى لـه مؤنس وهارون بن غريب الخال ، ونصر الحاجب ، والقهرمانة حتى نجح في تولي الوزارة[1] .

وفي سنة ٣١٣ هـ ، كتب الخصيبي الى المقتدر يذكر نقائص الخاقاني، وابنه عبدالوهاب ، وعزلهما ، وضياع الاموال ، وطمع العمال ، واضطراب الاحوال وطلب الجند ارزاقهم وشغبهم ، فعزله المقتدر واستوزر ابا العباس الخصيبي[2] .فهابه الناس لمكانته عند الخليفة والسيدة والقهرمانة ثومال[3] .

وفي سنة ٣١٤ هـ ، اشتدت مطالبة الخصيبي بالاموال ، وقبض عليه ، وسلم الى الوزير الجديد علي بن عيسى بن الجراح ، بعد قدومه الى بغداد سنة ٣١٥هـ لمحاسبته على الاموال فلم تثبت عليه خيانة[4] .

وفي سنة ٣١٦ هـ ، عزل علي بن عيسى عن الوزارة ، وتولاها ابو علي ابن مقلة كمحاولة لحل المشكلة المالية ، وهال المقتدر كثرة نفقات الحريم والخدم ، ولا سيما نفقات ام الخليفة[5] . وحاول نصر الحاجب الايقاع بعلي بن عيسى باثارة قصة مكاتبة ابن عيسى للقرامطة ، وقرر الخليفة ضرب علي بن عيسى بالسياط على باب العامة ، فدافعت السيدة عنه فعدل الخليفة عن قراره[6] .

---

(١) مسكويه جـ١ ص١٢٧ ، ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٤٧ .
(٢) ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٤٩ ، ابو المحاسن جـ٣ ص٢١٣ .
(٣) عريب صلة الطبرى جـ١٢ ص٦٤ .
(٤) عريب جـ١٢ ص٦٧ ، ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٨١ ، مسكويه جـ١ ص١٨٧ .
(٥) ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٩٧ ، عريب جـ١٢ ص٦٩ .
(٦) الهمداني ص٧٢ ، ابن مسكويه جـ١ ص١٨٦ ، الصابىء الوزراء ص ٣٤٢ .

ولعل تدخل الحريم ، والخدم في أمور الدولة طيلة عصر المقتدر ، وما تلاه من عهود الخلفاء ، يعود الى رغبتهم في الحصول على الاموال ، وللدلالة على ذلك نورد رواية ، (فحينما قبض على المتقي بالله وخلع وتولى المستكفي الخلافة يقول مسكويه[1] : (ان المرأة التي قامت بهذا الامر هي الجارية (حسن الشيرازية) فلما تمت للمستكفي الخلافة ، غيرت اسمها ، وجعلته (علم) وصارت قهرمانة المستكفي ، واستولت على امره كله) .

ويضيف صاحب كتاب العيون بقوله : (انها صارت تكبس منازل التجار والمستوردين فتحوز ما تجده لنفسها ، وانبسطت يدها ، حتى صارت تأخذ أموال الناس التي لا شبهة فيها ، وبهذا اصبح الناس لا يطمئنون على انفسهم ، ولا على اموالهم)[2] واصبح على الوزراء الطامعين في الوزارة ، تقديم المال لنساء القصر للوصول الى هذا المنصب ، وكان الوزير يسعى للحصول على المال ليضمن رضا الخليفة ونساء القصر ، والخدم عليه ، وكان يلجأ من أجل توفير الاموال الى فرض الضرائب الباهظة على الشعب ، والى استخدام أساليب القسوة والشدة مع الاهالي في جمعها ، بالاضافة الى مصادرة أموال الوزير السابق ، واتباعه واقربائه ، والى قبول الرشوة من الولاة والعمال ، مقابل حصولهم على مناصبهم أو بقائهم فيها ، كما كان الوزير يحاول أيضا السيطرة على أموال الخراج ، والجباية ، والاستئثار بمعظمها .

ولم يكن دور القادة ، والرؤساء ، في التدخل في تعين الوزراء وعزلهم بأقل مما قامت النساء والجواري به ، ولعل هذا التدخل كان ناشئا

---

(١) مسكويه تجارب الامم جـ١ ص١٨٢ .

(٢) مجهول العيون والحدائق هامش تجارب الامم جـ٦ ص٧٥ .

عن حرصهم على مصالحهم الخاصة ، ولضمان استمرار نفوذهم في الدولة ، لان تولي وزير قوي سيحدد من سيطرتهم على أمور الخلافة ، والادارة ، والاموال ، ولذا سعوا لتولي وزراء ضعاف يحققون اطماعهم ، ويسمحون لهم بالتدخل في أمور الدولة . وقد ظهر هذا الاسلوب واضحا منذ تولي المقتدر الخلافة ، فلما مات المكتفي دون ان يعهد لاحد ، اجتمع الوزير وكبار رجال الجيش والدواوين ، واختاروا المقتدر للخلافة . وفي سنة ٢٩٦هـ ، اجتمع القواد والكتاب مع الوزير العباس بن الحسن واتفقوا على خلع المقتدر والبيعة لابن المعتز[١] .

وكان على رأس هذا التدبير الوزير العباس بن الحسن ، ومن القواد الحسين بن حمدان ، وبدر الاعجمي ، ووصيف بن صوارتكين[٢] .

وأراد الوزير الاستقلال برأيه والابقاء على المقتدر ، فقتله الاخرون ، ومنهم الحسين بن حمدان ، وبدر ووصيف ، وكان ذلك في سنة ٢٩٦هـ ، ثم بايعوا ابن المعتز بالخلافة ، واستوزر الخليفة الجديد محمد بن داود ابن الجراح[٣] . الذي تعاون معهم على خلع المقتدر ، ثم قاتل اتباع المقتدر ابن المعتز ، واعيد المقتدر الى الخلافة ، واستوزر ابن الفرات ، وحاول ابن الفرات التوصل للصفح عن ابن الجراح لولا سعاية امرأة نصرانية كانت تحمل رقاعة فأخذ وحمل الى مؤنس فقتله[٤] . وفي سنة ٣٠٠هـ ظهر للمقتدر سوء سياسة وزيره الخاقاني وعجزه فأراد عزله

واعادة ابي الحسن بن الفرات الى الوزارة ، فمنعه مؤنس لنفوره من ابن الفرات فقال للمقتدر : (متى اعدته ظن الناس انك انما قبضت عليه

---

(١) عريب صلة الطبرى جـ١٢ ص١٥ ـ ١٦ .

(٢) ابن الاثير جـ٨ ص٥ ، عريب جـ١٢ ص١٥ ، السيوطي ص٢٥٢ ، الذهبي دول الاسلام جـ٢ ص١٥٤ ، اليافعي جـ٢ ص٢٤٢ .

(٣) الهمداني ص ٨ ـ ٩، ابن خلدون العبر جـ٣ ص٧٥٥ .

(٤) الهمداني تكملة الطبرى ص١١ .

شرها في ماله والمصلحة ان تستدعي علي بن عيسى ، وتجعله وزيرا ، فأمر المقتدر باستدعائه فقدم الى بغداد سنة ٣٠١هـ ، وتولى الوزارة[١] .

وفي سنة ٣٠٦هـ ، في عهد وزارة ابن الفرات ، تأخرت أرزاق الجند فشغبوا عليه ، فقبض المقتدر على ابن الفرات وعزله[٢] . وفي وزارة ابن الفرات الاخيرة كثر الارجاف به ، وحاول المقتدر خلعه ، فاشار مفلح الخادم على المقتدر بتأخير عزله ، فأتاه نازوك ، ويلبق ، في عدة من الجند ، فدخلوا على الوزير ، وهو عند حرمه ، فاخرجوه حافيا مكشوف الرأس ، ثم سلم الى شفيع اللؤلؤي فحبس عنده ، وصادره المقتدر على مليون دينار ، ثم ذبح هو وولده المحسن[٣] .

ولما تغير حال ابن الفرات ، سعى أبو القاسم بن ابي علي الخاقاني الى الوزارة وسعى له مؤنس ، وهارون بن غريب الخال ، ونصر الحاجب ، حتى نجح ابو القاسم في تولي الوزارة[٤] . وكان المقتدر يبغضه ، ولكن تدخل مؤنس والحاشية ساعدوه في تولية الوزارة ، ثم عجز الخاقاني عن توفير الاموال ، وثار الجند عليه طالبين بأرزاقهم ، فعزله الخليفة واستوزر ابا العباس الخصيبي ولكن الخليفة عزله أيضا سنة ٣١٤هـ ، لعجزه عن توفير الاموال ، ولادمانه على الخمر ، واهماله شؤون الدولة ، ويقول ابن الاثير : (فلما صار الامر الى هذه الصورة اشار مؤنس بعزله وولاية

---

(١) ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٢٣ ، مسكويه جـ١ ص٢٥ ، الصابىء الوزراء ص٣٠٥ .

(٢) ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٣٥ .

(٣) عريب جـ١٢ ص٦٢ ـ ٦٣ ، مسكويه جـ١ ص١٢٦ ، الصابىء الوزراء ص٣٢ ، ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٤٧ ـ ٤٨ ، الهمداني ص٥٧ ـ ٥٩ ، ابن خلدون العبر جـ٣ ص٧٨٤ ، اليافعي جـ٢ ص٢٦٥ .

(٤) مسكويه جـ١ ص١٢٧ ، ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٤٧ ، ابن خلدون العبر جـ٣ ص٧٨٤ .

علي بن عيسى ، فقبض عليه وارسل المقتدر بالغد الى دمشق يستدعي علي ابن عيسى ، وامر المقتدر ابا القاسم عبدالله الكلوذاني بالنيابة عن علي بن عيسى الى ان يحضر[1] .

وفي سنة ٣١٦هـ عزل الخليفة علي بن عيسى عن الوزارة ، بسبب اختلال السياسة المالية وكثرة النفقات ، وخاصة نفقات الحرم والخدم ، وانصراف نصر الحاجب عن تأييده لميله الى مؤنس ، ورشح للوزارة ثلاثة أشخاص هم : الفضل بن جعفر بن الفرات ، وأبو علي بن مقلة ، ومحمد بن خلف النيرماني ، فقال مؤنس : اما الفضل فقد قتلت عمه الوزير ابا الحسن ، وابن عمه وزوج اخته المحسن ، وصادرنا اخته فلا نأمنه ، واما ابن مقلة فحدث غر ، لا تجربة له بالوزارة ولا يصلح لها ، واما محمد بن خلف ، فجاهل متهور ، ولا يحسن شيئا والصواب مداراة علي بن عيسى ... فبلغ الخبر ابن مقلة فجد في السعي واشار نصر الحاجب على المقتدر به ، فاستوزره[2] .

وفي سنة ٣١٧هـ ، خلع المقتدر على ابي علي بن مقلة بالوزارة بترشيح من مؤنس[3] . وفي سنة ٣١٨هـ ، عزل الخليفة الوزير بن مقلة ، اذ اتهمه بالتعاون مع مؤنس ، وكان المقتدر قد ساءت علاقته بمؤنس ، فانتهز فرصة خروج مؤنس الى عكبرا ، فقبض عليه ، واحرق داره ، ولما عاد مؤنس الى منصبه ، طالب المقتدر بعودة ابن مقلة ، فلم يجب المقتدر

---

(١) ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ٥١ ، عريب ج ١٢ ص ٦٦ ، مسكويه ج ١ ص ١٤٩ ، ابن الجوزي ج ٦ ص ٢١٢ ، الصابىء الوزراء ص ٣٣٥ .

(٢) ابن الجوزي ج ٦ ص ٢١٦ ، الصابىء ص ٣٤١ ، ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ٥٧ ، عريب ج ١٢ ص ٦٩ .

(٣) ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ٦٣ ، الذهبي العبر ج ٢ ص ١٦٦ ، اليافعي ج ٢ ص ٢٧١ .

طلبه ، ثم سأل مؤنسا المقتدر ان لا يستوزر الحسين بن القاسم ، فوافق ، واستوزر سليمان بن الحسن بن مخلد[1] .

ولم يكن المقتدر ميالا لسليمان ، وانما استوزره بتأثير مؤنس ، وقلت الاموال في يد سليمان ، ووشى به اعداؤه حتى قبض عليه ، وكان المقتدر كثير الرغبة لتقليد الحسين بن القاسم الوزارة ، فرفض مؤنس توليته ، ورشح أبا القاسم الكلوذاني ، فاستوزره الخليفة[2] .

ولم يكن الخليفة في الحقيقة راغبا في توليته أيضا ، ولكنه اذعن لطلب مؤنس حتى اذا عجز الكلوذاني عن سد النفقات ، عزله الخليفة واستوزر الحسين بن القاسم[3] .

وفي سنة ٣٢٠هـ ، عزل الخليفة الحسين بن القاسم لاخفاقه في توفير الاموال وقبض عليه ، واستوزر أبا الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات[4] .
انس مؤنس الى الوزير الفضل بن جعفر ، لانه ساهم في الصلح بينه وبين الخليفة المقتدر[5] . واستمر في الوزارة حتى قتل المقتدر .

ولما تولى القاهر الخلافة ، اشار مؤنس عليه بتقليد علي بن مقلة الوزارة[6] . ولما بلغ ابن مقلة أن القاهر قد تغير عليه ، وانه يدبر مكيدة ضده ، وضد مؤنس ، ويلبق وابنه ، افضى اليهم باخبار المؤامرة ، فاتفقوا

---

(١) ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ٦٨ ، مسكويه ج ١ ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .

(٢) مسكويه ج ١ ص ٢١١ ، عريب ج ١٢ ص ٨٣ ، ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ٧٠ ، ابن خلدون العبر ج ٣ ص ٧٨٧ .

(٣) ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ٧٢ .

(٤) نفس المصدر السابق ج ٨ ص ٧٤ .

(٥) عريب صلة الطبري ج ١٢ ص ٩٠ .

(٦) الاربلي خلاصة الذهب المسبوك ص ١٧٨ .

جميعا على خلع الخليفـة ، ولـكن القاهر نجح في القبض على مؤنس ، ويلبق ، وابنه ، وقتلهم جميعا فاستتر ابن مقلة[١] .

وبمقتل مؤنس ، ويلبق ، وعلي بن يلبق ، تخلص القاهر من تسلط القواد الاتراك عليه ، ومن تدخلهم في سياسة الدولة ، وفي تعين الوزراء وعزلهم ، ولكن القاهر أصبح ضحية القادة أيضا . ففي سنة ٣٢٢هـ ، بينما كان ابن مقلة مستترا راسل الساجية والحجرية ، وحذرهم من غدر القاهر بهم ، وحرضهم عليـه ، فزحف قائد الجيش سيما ، نحو قصر الخلافة ، وقبضوا على القاهر ، وسملوا عينيه ، واختفى وزيره الخصيبي[٢] . واخرج سيما واتباعه ابا العباس أحمد بن المقتدر من الحبس ، وسلموا عليه بالخـلافة ، ولقبوه (الراضي بالله) ورشـح القادة له ، علي بن عيسى للوزارة ، ورفض سيما بكره ، ورشح ابن مقلة فاستوزره الخليفة[٣] .

وفي سنة ٣٢٣هـ ، سيطر على الخليفة حاجبه محمد بن ياقوت ، فحاول ابن مقلة التخلص من نفوذه ، فسعى به عنـد الراضي ، فأمر الخليفة بالقبض على الحاجب وعلى اخيه المظفر وحبسهما ، وقد مات الحاجب محمد ابن ياقوت في الحبس واتهم أخوه المظفر ، الوزير بن مقلة بقتل أخيـه بالسم ، وظن ابن مقلة ان الامور استقامت له ، ولكن المظفر بن ياقوت تآمر مع الجند وقبضوا على ابن مقلة ، ولما علم الراضي بذلك استحسن فعلهم ، ورشحت الساجية ، والحجرية علي بن عيسى للوزارة ، فرفض

---

(١) ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ٨٢ ، ابن الجوزي ج ١ ص ٢٥٠ ، الاربلي ص ١٨٠ ، ابو الفدا ج ٢ ص ٨١ .

(٢) ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ٨٨ ، ابن الجوزي ج ٦ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ، الذهبي ج ٢ ص ٢٠٠ ، ابو الفدا ج ٢ ص ٨٥ .

(٣) مسكويه ج ١ ص ٢٩٢ ، الصولي الاوراق ص ٨١ ، ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ٨٩ ، ابو الفدا ج ٢ ص ٨٩ .

الخليفة ، ورشح أخاه عبدالرحمن ، وسلم الخليفة اليه ابن مقلة فصادر أمواله[1] .

ولما دخل ابن رائق بغداد ، وخلع عليه الراضي ولقبه (أمير الامراء) ضعف مركز الوزير ، لاستبداد ابن رائق بالامور ، ولم يبق للوزير من السلطة سوى الاسم[2] . وتدخل ابن رائق في تعيين وعزل الوزراء ، فاستوزر الحسين بن علي النوبختي ، حتى اذا مرض واشرف على الموت ، دعا ابن مقاتل علي بن أحمد ، وقال له : (قد مهدت كتبة الامير ، ووافقته على تقليدك اياها وهي وزارة الحضرة ، فيخلع عليك قبل ان يطمع فيها غيرك)[3] .

وفي سنة ٣٢٤هـ ، بعث ابن رائق كتابا بتوقيع الخليفة الراضي الى ابي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات يستدعيه لتولي الوزارة ، وكان حينئذ يتولى خراج مصر والشام ، فقدم الى بغداد ، ونفذت له الخلع ، وتولى وزارة الخليفة ووزارة ابن رائق[4] .

ولما عجز جعفر بن الفرات عند توفين اليفقات ، استوزر الراضي أبا علي بن مقلة دون ان يكون له من الامر شيء ، وانما النفوذ كله لابن رائق ، وما لبث ابن رائق ان صادر أموال الوزير بن مقلة وأملاكه ، فاخذ ابن مقلة يكيد لابن رائق ، وكاتب بجكم يطمعه في منصب ابن رائق ،

---

(١) ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ١٠٠ ، مسكويه ج ١ ص ٣٣٦ ، ابن كثير ج ١١ ص ١٨٤ .

(٢) الفخري ص ٢٥٣ ، مسكويه ج ١ ص ٣٥٢ ، الهمداني ص ١٢٣ .

(٣) مسكويه تجارب الامم ج ١ ص ٣٦٢ .

(٤) ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ١٠٥ ، مسكويه ج ١ ص ٣٨٧ ، الهمداني ص ١٣٧ ، أبو الفدا ج ٢ ص ٨٩ .

فقبض ابن رائق عليه وقطع يده ولسانه ، ثم حبسه فظل في الحبس حتى مات[1] .

وشرع البريدي يسعى في طلب الوزارة ، فاستوزر الراضي في ولاية أمير الامراء بجكم ، وفي سنة ٣٢٨هـ استوحش بجكم من البريدي ، وازال اسمه عن الوزارة واستوزر سليمان بن الحسن[2] .

ولما توفي الخليفة الراضي سنة ٣٢٨هـ ، وتولى بعده الخليفة المتقي أقر الخليفة الجديد سليمان بن الحسن في الوزارة ، وليس له من الوزارة الا اسمها بينما التدبير كله في يد الكرخي كاتب بجكم .

ثم استوزر الخليفة المتقي بعده ، أبا الحسن بن ميمون ، كاتبه قبل الخلافة يعاونه البريدي ، فكانا كما يقول الهمداني : (يخاطب كل واحد منهما صاحبه بالوزارة ، ثم انفرد البريدي بها ، وشغب الجند عليه فهرب ، وعقد المتقي الامر الى علي بن عيسى ، واخيه عبدالرحمن من غير تسمية بوزارة)[3] .

وبعد تسعة أشهر استوزر المتقي ابا اسحاق محمد بن أحمد الاسكافي المعروف بالقراريطي ، ولم يكن أمير الامراء كورتكين راضيا عنه ، فقبض عليه ، وقلد الوزارة ابا جعفر محمد بن القاسم الكرخي .

وفي سنة ٣٣٠هـ ، كوتب البريدي من الحضرة بالوزارة . ثم اعيد

---

(١) ابن الاثير ج ٨ ص ١١١ ، ابن دكين روضة الاعيان ورقة ١٨٠ ظ ، مسكويه ج ١ ص ٣٨٧ ـ ٣٩١ ، الهمداني ص ١٣٥ ـ ١٣٦ ، الصولي الاوراق ص ١٠٥ ، الذهبي العبر ج ٢ ص ٢٠٦ .

(٢) الهمداني ص ١٤٠ ـ ١٤١ ، الذهبي العبر ج ٢ ص ٢١٠ ، أبو الفدا ج ٢ ص ٩٣ .

(٣) الهمداني ص ١٤٥ ـ ١٥٢ ، الصابىء الوزراء ص ٣٤٣ .

القراريطي اليها ، فظلم واساء ، فقبض عليه أمير الامراء ناصر الدولة ابن حمدان ، وعلى أصحابه ، وصادر أموالهم ، وعهد ناصر الدولة بالوزارة الى ابي العباس أحمد بن عبدالله الاصفهاني[1] .

وفي سنة ٣٣٣هـ كحل توزون امير الامراء الخليفة المتقي ، وادخله بغداد مسمولا ، وقبض على الوزير ابي الحسين بن مقلة[2] .

---

(١) الهمداني ص ١٥٣ ـ ١٦٣ ، الصولي الاوراق ص ٢٩٩ .
(٢) الذهبي العبر ج ٢ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ ، الصولي الاوراق ص ٢٨٢ .

٤ ـ المنافسة والمساومة على الوزارة

بلغ التنافس والمساومة على الوزارة ، اوج عظمته في خلافة المقتدر ٢٩٥ ـ ٣٢٠هـ لان الخليفة كان صغير السن ، وتولى تدبير أموره في أول عهده امه ونساؤه وخدمه ، فكانت دولته تدير النساء أمورها ، فاضطربت الامور ، وخلت بيوت الاموال[١] . واستخف القواد والوزراء بالخليفة ، وزالت هيبته من النفوس واستأثر الوزراء بالاموال وحازوها بطرق مختلفة كالرشوة والهدايا ، التي ترد اليهم من العمال والولاة ، ومن كبار موظفي الدولة ، بالاضافة الى ما يغتصبونه من ضياع الخليفة وعامة الشعب ، وما يسلبونه من أموال الجباية ، فلما تولى أبو الحسن بن الفرات الوزارة ، زادت ايراداته مائتي الف دينار ، ولما عزل من الوزارة بعد أربعة وعشرين شهرا بلغت ايراداته ثمانمائة ألف دينار ، واخذ من بيت المـال مليون دينـار[٢] . وامتلك ضياعا واسـعة بنواحي واسط ، وانفق على الدار التي كان ينزل بها في المخرم ثلاثمائة الف دينار[٣] . وقد صادره الخليفة وأخذ أمواله بعد ان فطن الى تلك الاموال التي احتازها وزيره لنفسه ، وبلغ مقدار ما صودر من أمواله في وزارته الثانية عشرة ملايين دينار[٤] .

وبهذه الاساليب ، ازدادت ثروة الوزراء ، مما دفع غيرهم الى منافستهم للحصول على الوزارة ، وبذل الرشوة والهدايا للقواد ، ولنساء الخليفة ، وأحيانا الى الخليفة نفسه عن طريق الضمان ، فيتعهد للخليفة بدفع مبلغ معين لقاء حصوله على المنصب ، كما فعل ابن مقلة عندما ارسل الى الخليفة

---

(١) الفخري ص ٢١١ .

(٢) الصابىء الوزراء ص ١٥٧ ـ ١٥٩ .

(٣) نفس المصدر السابق ص ١٩٩ .

(٤) نفس المصدر السابق أيضا ص ٢٤٥ .

الراضي يتعهد له في دفع خمسمائة ألف دينار مقابل استيزاره[1] .

وهذا المال يحصل الوزير الجديد عليه عادة من الوزير المعزول ، ومن اتباعه وأهله وموظفيه بطريق مصادرة أموالهم وأملاكهم ، بعد ان يستخدم منتهى القسوة في تعذيبهم للحصول على المال الذي ضمن به منصب الوزارة ، وفي ذلك يقول الصابيء : (وقد تعددت وسائل استحصال الاموال عن طريق المصادرة والاستصفاء بحيث أصبح كل صاحب منصب أو مال ، عرضة للمصادرة ، ويشير الى قائمة بأسماء الذين صودروا في عهد الوزير ابن الفرات أيام خلافة الراضي بحيث وصلت قرابة سبعة ملايين ونصف مليون دينار ، وخمسة ملايين ونصف مليون درهم[2] .

وكانت الاموال المصادرة تشكل موردا أساسـيا للخزينة ، وأصبح الوزير الجديد يستفيد منها لسد العجز الموجود في خزينة الدولة[3] . ونتيجة لاستمرار هذه السياسة (المصادرة) استحدث ديوانا خاصا لادارة الاملاك المصادرة يدعى (ديوان المصادرين)[4] .

وبعد فترة من الزمن يلقي الوزير الجديد نفس المعاملة التي عامل بها الوزير السابق ، وقد يعـود الوزير الى منصبه أكثر من مرة ، كأبن الجراح ، وابن الفرات وابن مقلة ، فيعود معه أعوانه ، وهم مشبعون بروح الانتقام ، وما يتبع ذلك من اضطراب الامن وأمور الدولة ، وانتشار الظلم والاحقاد ، وتدبير المكائد والمؤامرات للايقاع بخصومهم ومنافسيهم ، بالتعاون مع قادة الجيش ونساء لقصر . ولعل أهم الدوافع التي تدفع الخليفة الى

---

(١) الصولي اخبار الراضي والمتقي ص ٤ .
(٢) أحمد رفاعي عصر المأمون ص ٣١٤ .
(٣) الدوري تاريخ العراق الاقتصادي ص ٢٧٦ .
(٤) مسكويه ج ١ ص ٢١ ، ص ١٥٤ ، رفاعي عصـــر المأمون ص ٣١٣ .

عزل الوزير ومصادرته ، هو حاجة الخليفة للمال ، وفراغ بيوت الاموال ، وعجز الوزراء عن توفيرها لسد نفقات البلاط والجند ، مما يدفع الخليفة الى مصادرة أموال الوزير والكتاب[١] .

ففي سنة ٢٩٩هـ ، قبض الخليفة المقتدر على الوزير ابي الحسن بن الفرات ، وصادر أمواله وأملاكه ، وامر بنهب دور أصحابه[٢] ، والاستيلاء على ما كان له من الضياع والاقطـاع ، والاملاك والعقـار ، والاموال ، والغلات ، فبلغ ذلك مليون دينار عينا وستمائة الف دينار نقدا[٣] .

وتضاءلت منزلة الوزير الى درجة الاعتداء على حرمه ، ونسائه ، ومع ذلك فطلاب الوزارة كثيرون . ولعل حب المنصب وحب الاستحواذ على الاموال كان عاملا من عوامل التنافس على الوزارة .

تولى الخاقاني الوزارة وحاسب ابن الفرات على ما في يده من الاموال فكانت سبعة ملايين دينار[٤] .

وضعفت الوزارة في عهد الوزير الخاقاني وسيطر أولاده على الحكم ، وسعوا جميعا للحصول على الرشوة ، واسرف في تولية العمال حتى انه ولى على الكوفة في خلال عشرين يوما سبعة من العمال ، دفع كل منهم رشوة كبيرة له ، كما ولى على بادورايا خلال أحد عشر شهرا احد عشر عاملا[٥] .

سعى أبو الحسن بن ابي البغـل الى الوزارة ، وساعده في مسعاه

---

(١) الصابىء الوزراء ص ٥٦٢ .

(٢) الهمداني ص ١٧ ، مسكويه ج ١ ص ٢٠ .

(٣) الصابىء الوزراء ص ٣٤ .

(٤) عريب صلة الطبري ج ١٢ ص ٢٠ ، ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ٢١ .

(٥) مسكويه تجارب الامم ج ١ ص ١٧ .

قهرمانة القصر أم موسى ، وضمن لها مائة ألف دينار ، فولاه الخليفة المقتدر الوزارة[1] .

وكان الخاقاني يحصل على رشوة من كل عامل يوليه حتى قيلت فيه أشعار كثيرة منها[2] :

وزير ما يفيق من الرقاعة　　　يولي ثم يعزل بعد ساعة
اذا اهل الرشا صاروا اليه　　　فاحظى القوم اوفرهم بضاعة

وقيل كتب الى بعض العمال : (الزم ـ وفقك الله ـ المنهاج واحذر عواقب الاعوجاج ، واحمل ما امكن من الدجاج ، فحمل العامل دجاجا كثيرا[3] .

وهكذا اشتهر الوزير في الحصول على الرشوة من العمال ، وعزل الخاقاني في سنة ٣٠١هـ ، واستوزر الخليفة المقتدر علي بن عيسى ، فصادر أموال الخاقاني[4] .

وما لبث الخليفة ان قبض على وزيره علي بن عيسى سنة ٣٠٤هـ وعلى اهله وصادر أمواله وأموال اخوته .

وسعى حامد بن العباس في طلب الوزارة ، فكتب الى نصر الحاجب ، والى والدة المقتدر ، وضمن لهما مالا ليساعداه على تولية الوزارة ، وولاه الخليفة المقتدر الوزارة ، وخلع عليه ، ثم قبض على ابن الفرات وولده المحسن ، واصحابهما واتباعهما[5] .

---

(١) ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ٨١ ، عريب ج ١٢ ص ٢٠ .
(٢) عريب صلة الطبري ج ١٢ ص ٢٢ .
(٣) الهمداني ص ١٨ .
(٤) مسكويه تجارب الامم ج ١ ص ١٧ .
(٥) مسكويه تجارب الامم ج ١ ص ٥٧ .

ولعل سعي حامد في طلب الوزارة مع جهله بأمورها كان للتخلص من ايداء الاموال التي تعهد بها لابن الفرات ، فقال ابن الفرات ، (انما حمله على طلب الوزارة اني طالبته بأكثر من الفي الف دينار من فضل ضمانه)[1] .

وصـــادر حامد بن العباس ، أموال ابن الفرات ، وأموال ولده ، وأصحابه ، فبلغ ذلك مليون وثلثمائة الف دينار[2] .

وفي سنة ٣١١هـ ، عزل الخليفة وزيره حامد بن العباس ، فسعى المحسن بن الفرات الى تولي الوزارة ، وعاونه في ذلك مفلح الخادم ، وضمن المحسن أموالا كثيرة للمقتدر ، فاطلق الخليفة ابن الفرات من الحبس ، وخلع عليه ، وولاه الوزارة للمرة الثالثة[3] . ثم قبض ابن الفرات على حامد بن العباس وطالبه بالاموال فأقر بما يقارب من مليون دينار ، وصادر علي بن عيسى على ثلثمائة الف دينار فعذبه وصفعه)[4] .

ولم تكن المصادرة تصيب الوزراء فحسب ، بل امتدت الى حاشـية الوزير ، فقد صادر ابن الفرات أموال كبار رجال الدولة ، والكتاب .

تغير الخليفة المقتدر على وزيره ابن الفرات ، وسئم استبداد القادة وكبار موظفي الدولة ، فقبض على وزيره وابنه وقتلهما وصادر أموالهما[5] .

ويقول ابن الجوزي : (واخذ خط ابن الفرات بالفي الف دينار ،

---

(١) ابن خلدون العبر ج ٣ ص ٧٧٨ .

(٢) عريب صلة الطبري ج ١٢ ص ٣٩ ، ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ٣٥ .

(٣) ابن الاثير السامل ج ٨ ص ٤٣ ، الهمداني ص ٤٢ .

(٤) مسكويه ج ١ ص ١٠٢ ، ابن الجوزي المنتظم ج ٦ ص ١٨٤ .

(٥) ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ٤٨ ، الهمداني ص ٥٩ ، عريب ج ١٢ ص ٦٣ .

وخط ابنه بثلاثة الاف الف دينار ، وقتل ابن الفرات وولده المحسن)[1] .

وسعى عبدالله بن محمد بن خاقان الى تولي الوزارة ، وتعهد بان يتكفل ابن الفرات ، وأصحابه ، وان يصادر أموالهم ، وسعى له مؤنس ونصر الحاجب حتى تولى الوزارة[2] .

أدت هذه السياسة الى تعدد الوزراء ، وتشجيع الخليفة للضامنين ، والسماح للوزير باستخدام أساليب العنف والقسوة للحصول على الاموال من الوزير المعزول ، مما أدى الى حرمان الدولة من وزراء اكفاء ، والى بث روح الكراهية والانتقام في نفوس الشخصيات الكبيرة في الدولة ، فضعف منصب الوزارة ، وخاصة في عهد الخاقاني والخصيبي ، حيث اهمل الاول شؤون الدولة ، وانصرف الثاني الى الخمر واهمل أمور الدواوين ، وعهد بمالية الدولة الى كتابه ، فقلت الاموال في عهدهم وساد الظلم ، واضطربت الادارة ، واضطرت الحاجة للمال الى مصادرة الناس فلم يدع عند أحد مالا الا أخذ منه باتعس ما يكون من الشدة والقسوة[3] .

دفعت هذه الامور الجيش الى التدخل لتدارك سوء الاحوال ، فأشار مؤنس بعزل الوزير وتولية علي بن عيسى الوزارة ، فاستقامت الامور في وزارته ، وصادر الخصيبي واخذ خطه باربعين الف دينار[4] .

ولكن علي بن عيسى لم ينجح في اصلاح ما افسده الخاقاني والخصيبي ، فاستقال من الوزارة ، محتجا بالشيخوخة ، فنهض بن مقلة في طلب الوزارة ، وضمن على نفسه الضمانات ، فاستوزره الخليفة[5] .

---

(1) ابن الجوزي المنتظم ج ٦ ص ١٨٩ .

(2) الذهبي العبر ج ٢ ص ١٥١ .

(3) عريب صلة الطبري ج ١٢ ص ٦٥ .

(4) مسكويه تجارب الامم ج ١ ص ١٥٦ .

(5) ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ٥٧ ، عريب ج ١٢ ص ٦٩ .

وكان بن مقلة كمن سبقه من الوزراء ساعيا للرشوة ، وللاستحواذ على الاموال ، فقد طلب أبو عبدالله البريدي من ابن مقلة الحصول على ضمان أعمال الاهواز ، فأعطاه عشرين ألف دينار حتى ولاه على الاهواز[١] .

ولم يلبث ابن مقلة ان عزل سنة ٣١٨هـ ، وصادره الخليفة المقتدر على مائتي الف دينار[٢] . وكثرت السعاية ، والضمانات في وزارة سليمان ابن الحسن بن مخلد الذي خلف ابن مقلة في الوزارة ، فقبض عليه المقتدر واشار مؤنس باستيزار ابي القاسم الكلوذاني الذي صادر سليمان بن مخلد على مائتي الف دينار[٣] .

وخلع الكلوذاني سنة ٣١٩هـ ، واستوزر المقتدر الحسين بن القاسم ، وقد سعى هذا الوزير في طلب الوزارة بوسائل غريبة اذ استعان بالدجالين ، وبأساليب الشعوذة حتى تولى منصب الوزارة[٤] .

ولم يلبث فترة في الوزارة حتى ضعف أمره فقبض المقتدر عليه ، وكان أبو الفتح الفضل بن جعفر قد جد في طلب الوزارة ، فخلع الخليفة عليه وصادر أموال الحسين بن القاسم ثم ابعده الى البصرة[٥] . واستمر ابو الفتح يلي الوزارة للمقتدر حتى قتل سنة ٣٢٠هـ .

وقد اشار ابن مسكويه الى مقدار ما صادره المقتدر من أموال بعض وزرائه في عهده[٦] .

---

(١) الهمداني تكملة الطبري ص ٦٥ .

(٢) ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ٦٨ .

(٣) مسكويه تجارب الامم ج ١ ص ٢١٢ .

(٤) ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ٧٢ .

(٥) الهمداني تكملة الطبري ص ٨٥ .

(٦) مسكويه تجارب الامم ج ١ ص ٢٤١ . أنظر قائمة أسماء من صودر من الوزراء :
=

ولما تولى القاهر الخلافة ، ساءت العلاقة بينه وبين الوزير ابن مقلة ، والقواد وتآمر ابن مقلة مع مؤنس ويلبق وابنه علي للتخلص من القاهر ، الا ان الخليفة سبقهم بالمكائد فقبض عليهم جميعا وقتلهم ، واستتر ابن مقلة ، فاخذ ابن مقلة يسعى لدى قائد الجيش (سيما) للايقاع بينه وبين القاهر وللتخلص منهم وليعود الى الوزارة ، فاستطاع ان يغرى سيما رئيس الساجيه بالقاهر فقبض عليه وسمل عينيه وبايع الراضي بالخلافة .

راسل ابن مقلة سيما ، وتعهد له ان تولى الوزارة دفع له خمسمائة الف دينار[1] .

ولما أراد الخليفة الراضي استيزار علي بن عيسى منعه سيما ، وأشار عليه بابن مقلة ، فلما وزر احسن الى كل من اساء اليه ، واحسن السيرة[2] .

وما لبث ان قبض المظفر بن ياقوت والحجرية ، على ابن مقلة ، وصادر أمواله[3] .

ولما علم الخليفة الراضي بذلك استحسن فعلهم ، ورشحت الساجية والحجرية للوزارة ، علي بن عيسى ، ولكنه اعتذر ورشح أخاه عبدالرحمن ، فاستوزره الخليفة وسلم اليه ابن مقلة فصادر أمواله .

= ٤/٤٠٠/٠٠٠ دينار من أموال علي بن محمد بن الفرات واسبابه
٢/٣٠٠/٠٠٠ دينار من ابن الفرات الدفعة الثانية
١/١٠٠/٠٠٠ دينار من ابن الفرات أيضا الدفعة الثالثة
٩٠٠/٠٠٠ دينار من زوجة المحسن بن الفرات
٤/٢٥٠/٠٠٠ دينار ما حصل عليه من ضياع ابن الفرات
٢/٢٠٠/٠٠٠ دينار ما اخذ من أموال حامد بن العباس وأسبابه
١/٣٠٠/٠٠٠ دينار ما اخذ من الخاقاني والخصيبي وابن الفرات وابن مقلة

(١) الصولي الاوراق ص ٤ .
(٢) ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ٨٩ ، عريب ج ١٢ ص ٩٤ ، الهمداني ص ٧٨ .
(٣) الهمداني ص ١١٧ ، مسكويه ج ١ ص ٣٣٦ .

عجز عبدالرحمن عن تدبير أمور الدولة وتوفير الاموال ، فاستقال من الوزارة ، فقبض الخليفة الراضي عليه ، وعلى أخيه علي بن عيسى وصادر أموالهما[١] .

وفي سنة ٣٢٤هـ ، عزل الخليفة الراضي سليمان بن الحسن بن مخلد الذي تولى الوزارة بعد سلفه عبدالرحمن ، وكتب ابن رائق كتابا باسم الراضي الى ابي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ، يعهد فيه اليه بالوزارة ، وكان يتولى خراج مصر والشام ، فلما عجز الوزير عن توفير الاموال عاد سنة ٣٢٦هـ ، الى الشام واستوزر الخليفة الراضي أبا علي بن مقلة ، بينما الامر جميعه الى ابن رائق ، وكان ابن رائق قد قبض أموال ابن مقلة ، وأملاكه وأموال ابنه ، فخاطبه ، فلم يردها ، فاخذ يسعى بابن رائق عند الخليفة الراضي ، وكاتب بجكم يطمعه في منصب ابن رائق ، وتحالف الراضي وابن رائق ضد ابن مقلة ، واعلمه بحال ابن مقلة ، فقبض عليه الراضي وقطع يده ، فلما برأ عاد يكاتب الخليفة الراضي ويسعى لتولي الوزارة ، وتعهد للراضي باستخراج ثلاثة ملايين دينار ان قلده الوزارة ، فلم يجبه الراضي الى طلبه ، وصار ابن مقلة يدعو على من ظلمه ، وقطع يده ، وعلم الراضي بذلك ، فأمر بقطع لسانه وحبسه حتى مات[٢] .

ويبدو ان التهافت على طلب الوزارة فيما رواه المؤرخون : من أن ابن مقلة كان يراسل الخليفة الراضي وهـو في الحبس ، وبعد قطـع يده ، ويطمعه في المال ، ويطلب منه ان يوليه الوزارة ويقول له : ان قطع يدي لا يمنع من استيزاري حتى انه كان يشد القلم على ساعده الايمن ويكتب

---

(١) ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ١٠٠ ، الهمداني ص ١١٨ ، مسكويه ج ١ ص ٣٣٨ .

(٢) ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ١١١ ، الصولي الاوراق ص ١٠٥ ، الهمداني ص ١٣٥ ، مسكويه ج ١ ص ٣٨٧ ـ ٣٨٨ .

به[1] .

وتعددت أساليب المنافسة والمساومة على طلب الوزارة حتى استحداث منصب أمير الامراء اذ انعدمت حدة التنافس والمساومة على الوزارة لان أمير الامراء سيطر على الادارة ، والولاية ، وبيوت الاموال ، والوزارة ، ويؤيد صاحب الفخري ذلك بقوله : (واستبد ابن رائق امير الامراء بالامور ، ورد الحكم في جميع الامور الى نظره ، ولم يبق للوزير سوى الاسم[2] .

---

(١) مسكويه ج ١ ص ٣٨٩ ، اليافعي ج ٢ ص ٢٩٣ .
(٢) الفخري ص ٢٥٣ ، مسكويه تجارب الامم ج ١ ص ٣٥٢ .

الفصل الخامس :

الوزارة في العصر البويهي

٣٣٤ ـ ٤٤٧هـ

١ ـ اثر ضعف الخلافة في ازدياد نفوذ بني بويه

٢ ـ وزراء امراء البويهيين

٣ ـ نظام الوزارة في العصر البويهي

١ ـ اثر ضعف الخلافة في ازدياد نفوذ بني بويه

ينتسب البويهيون الى الديلم[١] الذين كانوا يسكنون الاراضي الجبلية جنوب بحر الخزر « قزوين » ، وكانت بلاد الديلم احدى الولايات الفارسية ، الا ان اهلها لم يكونوا من العنصر الفارسي ، بل من عنصر آخر يطلق عليه اسم (الديالمة) أو (الجيل) • ولما قام الخليفة عمر بن الخطاب

---

(١) الديلم : تسمية جغرافية للصقع الجبلي من بلاد جيلان ، الواقعة جنوب بحر قزوين ، والديلم أيضا تسمية جنسية لمن يسكن هذا الصقع ، الصقع غير ان بني بويه ليسوا من الجنس الديلمي ، بل هم فرس ، نسبوا الى الديلم حيث طال مقامهم ببلادهم • (ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ٩٧ ، الفخري ص ٢٢٤ ، دائرة المعارف الاسلامية مادة ـ ديلم ـ) •

وذكر البيروني في كتابه الآثار الباقية ص ٣٨ : (اول من عرف من هذه القبيلة هو بويه بن فنا خسرو ، وليست تلك الامم معروفة بحفظ الانساب ، ولا مذكورة بانها كانت تعرف ذلك من قبل انتقال الدولة اليهم) •

ومن نسبهم الى الفرس ـ وانهم من سلالة سابور ذي الاكتاف (ابن الجوزي ج ٦ ص ٢٧٠) ويرد ابن خلدون نسبهم الى بهران جور بن يزدجرد (ابن خلدون العبر ج ٣ ص ٨٢٦ ، أحمد زيني دحلان الجداول المرضية في تاريخ الدولة الاسلامية ص ٣١) • ومن نسبهم الى العرب ، فيقال : ان باسل بن ضبه بن اد بن طانجة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان • خرج يوما مغاضبا لابيه ، فوقع في أرض الديلم ، فتزوج امرأة من العجم فولدت له (ديلم) بن باسل ، فهو ابو الديلم كلهم ، وهم افخاذ وعشائر ، ومنهم ملوك بني بويه (المقريزي السلوك ج ١ ص ٢٣) • وكان بويه يكنى ابو شجاع ، وأولاده ثلاثة أكبرهم ، أبو الحسن علي وأبو علي الحسن ، وابو الحسين أحمد (ابن الجوزي المنتظم ج ٦ ص ٢٧٠) وكان بويه صياد سمك ، وكان أبو الحسين أحمد الذي لقب فيما بعد بمعزالدولة يحتطب الحطب على رأسه • (الفخري ص ٢٢٤) •

بالفتوحات كانت بلاد الديلم مما فتحه المسلمون ، واستمر الديلم خاضعين للحكم الاسلامي مع بقائهم على وثنيتهم ، واحتفظوا بوثنيتهم حتى صدر الدولة العباسية ، حيث استطاع الحسن بن علي الملقب بـ (الاطروش) ان ينشر الاسلام بينهم ، ويشيد في بلادهم المساجد .

ولما كان الاطروش ينتمي الى العلويين الزيدية ، فقد نشر المذهب الزيدي بينهم وكان مرداويج قد ملك بلاد الديلم ، واحبته الديلم لحسن سيرته ، واقبلوا عليه وكان ممن اقبل عليه ابناء بويه[١] .

ففي سنة ٣٢٢هـ ، ارتفع امر ابي الحسن علي بن بويه الديلمي حيث قدم هو واخوته على مرداويج بن زيار الديلمي ، وأصبح أحد قواده . وانفذه الى بلاد الكرج لجلب المال ، فلما حصل عليها اخذ المال لنفسه ، وكان خمسمائة الف درهم ، وزحف الى همدان ففتحها عنوة ، ثم تقدم منها الى اصبهان فدخلها وملكها ، فانفذ اليه مرداويج جيشا ، فانسحب الى ارجان ، التي حصل منها على أموال كثيرة ، ثم الى كازورون ، ونيسابور ، فاستخرج منهما كنوزا كثيرة ، فزاد عدده وعدته ، وقويت شكوته ، وملك سيراز ، فراسل الخليفة الراضي ، وأراد ان يقاطعه على ما بيده ، فاجابه الراضي ، وبعث اليه وزيره ابن مقلة ، ومعه الخلع واللواء ، وهو أول ملوك الدولة الديلمية[٢] .

اتسع نفوذ ابناء بويه بعد مقتل مرداويج سنة ٣٢٣هـ ، فامتد الى الاهواز والعراق ، وزحف أحمد بن بويه بجيوش عظيمة قاصدا بغداد ، فوصلها في ١١ جمادى الاولى سنة ٣٣٤هـ ، وبعث اليه الخليفة المستكفي بالله الهدايا ودخل على الخليفة فبايعه ، وخلع عليه ، واعطاه الطوق

---

(١) ابن الجوزي المنتظم ج ٦ ص ٢٧٠ .

(٢) ابن الجوزي المنتظم ج ٦ ص ٢٧١ ، الفخري ص ٢٢٥ ، ابن خلدون العبر ج ٣ ص ٨٢٧ ـ ٨٢٨ ، المقريزي السلوك ج ١ ص ٢٧ .

والسوار ، وعقد له لواء وجعله « امير الامراء » ، ولقبه (بمعز الدولة) ، ولقب أخاه ابا الحسن (بعماد الدولة) ، واخاه ابا علي الحسن ، (بركن الدولة) ، وامر الخليفة ان تضرب القابهم على الدينار والدرهم ، وان يخطب لهم على المنابر في أيام الجمع والعيدين[1] .

صحب مجيء البويهيين تدهور سياسي في الدولة العباسية ، وذلك بسبب الصراع الطائفي الذي اثارته العناصر الاجنبية الدخيلة على الحكم العربي الاسلامي ، فاستطاعت ان تستميل المسلمين من العرب ، وخاصة العلويين الذين اعتمدوا عليهم وسايروهم في نزعاتهم السياسية والمذهبية ، ضد الخلافة العباسية ، وقد حملت البلاد من جراء الحكم البويهي كثير من الويلات والمصائب ، نتيجة انتشار الفوضى السياسية والدينية والاجتماعية ، وما صحب ذلك من انتعاش النزعة الفارسية وظهور الشعوبية ، وانقسام الدولة العباسية الى دويلات مستقلة صغيرة .

وأدى كثرة الضرائب ، واشتداد وطأتها على الشعب ، الى اضطراب الحياة الاقتصادية والامن الداخلي ، واتبع البويهيون أساليب المصادرة للحصول على الاموال حتى شملت الطبقات الفقيرة ، وخاصة في عهدى عضد الدولة وصمصام الدولة حيث يصف (التوحيدي) حالة العراق سنة ٣٧٥هـ ، فيقول : (انه بيت الفتن والغلاء ، وهو في كل يوم الى الوراء ، ومن الجور والضرائب في جهد وبلاء)[2] . ويصف (لسترنج) : البويهيين فيقول عنهم : وكان البويهيون فرس أصلا وشيعة عاطفة ، وقد دمروا العراق ، وطغى أفراد عائلتهم على وظائف الحكومة الحساسة ، وأصبح

---

(١) مسكويه ج ٢ ص ٨٥ ، ابن الجوزي ج ٦ ص ٣٤٠ ، الفخري ص ٢٣١ ، الذهبي مختصر ج ١ ص ١٥٢ ، السيوطي تاريخ الخلفاء ص ٢٦٣ ، ابن كثير ج ١١ ص ٢١٢ ، القرماني ص ١٦٩ .

(٢) أبو حيان التوحيدي مثالب الوزيرين ص ٢ ـ ٥ .

الامير البويهي بيده السلطة يسير الخلافة حسب ارائه وباسم الخليفة[1] .

ودام دور السيادة البويهية أكثر من قرن ، فلما تمكن معزالدولة من المملكة خلع المستكفى (٣٣٣ - ٣٣٤هـ) (٩٤٤ - ٩٤٦م) ، وكان سبب ذلك ان (علما الشيرازيه) القهرمانة وجهت دعوة لباها جماعة من قواد الديلم والاتراك ، فاتهمها معزالدولة ، ان هذه الدعوة كانت من أجل اخذ البيعة منهم للمستكفي ، والخلاص من معز الدولة ، وكان معز الدولة جالسا على سرير بين يدي الخليفة ، ثم قـــدم رجلان من نقباء الديلم ، فتناولا يد الخليفة المستكفي ، فظن انهما يريدان تقبيلها ، فمدها اليهما ، فجذباه عن سريره ، وجعلا عمامته في عنقـــه ، ونهض معز الدولة ، واضطربت الناس ، وساق الديلمان المستكفي ماشيا الى دار معز الدولة ، فاعتقل بها ، ونهبت دار الخلافة حتى لم يبق بها شيء ، وقبض على ابي أحمد الشيرازي كاتب المستكفي وحبس ، واخذت علم القهرمانة فقطع لسانها ، ثم أمر معز الدولة ، بسمل عيون المستكفي ، وسجنه فظل مسجونا حتى وفاته سنة ٣٣٨هـ[2] .

وقد حاول معز الدولة بعد خلع المستكفي ، ان ينقل الخلافة الى العلويين لان الديلم كانوا يغالون في التشيع ، ويعتقدون ان العباسين قد

---

(١) Le, Strange, Baghdad During The Abbasid Caliphate. P. 318.

(٢) ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ١٤٨ ، الفخري ص ٢٣١ ، ابن الجـــوزي ج ٦ ص ٣٤٣ ، الذهبي العبر ج ٢ ص ٢٣٥ ، مسكويه ج ٢ ص ٨٧ ابن خلدون العبر ج ٣ ص ٨٧٦ ، الصفدي نكت الهميان ص ١٨٣ ، الخطيب البغدادي ج ١٠ ص ١١ ، ابن العماد ج ٢ ص ٣٣٤ ، الدميري ص ١٠٤ ، ابن العبري ص ٢٩٠ ، القلقشندي مآثر الانافة ج ١ ص ٣٠٠ ، أبو الفدا ج ٢ ص ٩٩ ، القرماني ص ١٦٩ ، الاربلي ص ١٨٨ ، اليافعي ج ٢ ص ٣١٣ ، السيوطي تاريخ الخلفاء ص ٢٦٤ .

غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها ، فلم يكن عنـــدهم باعث سياسي وديني يحثهم على طاعة الخليفة العباسي ، وقد أشار على معزالدولة جماعة من خواصه باخراج الخلافة من العباسيين ، والبيعة للمعز لدين الله الفاطمي ، أو لغيره من العلويين ولكن احد خاصته حذروه من هذا الرأي فقال : (ليس هذا برأي فانك اليوم مع خليفة تعتقد انت وأصحابك انه ليس من أهل الخلافة ، ولو امرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ، ومتى اجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد انت واصحابك صحة خلافته ، فلو امرهم بقتلك لفعلوه) فاعرض معز الدولة عن ذلك الاقتراح ، واقام المطيع لله خليفة بدلا من المستكفي المخلوع[1] .

ولعل خاصة معز الدولة حذرته من سخط الناس لان عامتهـم في سائر الاقطار الاسلامية اعتادت حكم الدولة العباسية[2] .

بويع المطيع لله بالخلافة في جمادى الآخرة ٣٣٤هـ ، ولم يبق للخليفة من الامر شيء ، وكان القيم بتدبير امره معزالدولة ، وأصبح المطيع (٣٣٤ – ٣٤٣هـ) (٩٤٦ – ٩٥٤م) ومن جاء بعده من خلفاء بني العباس مقهورين خائفين ، وقد قنعوا بأسم الخلافة ورضوا بالسلامة[3] . وقرر له معزالدولة في كل يوم مائة دينار للنفقة[4] . فانحطت منزلة الخلافة الى هذه الحالة ، وقام ابن شيرزاد للمطيع في تدبير الامور والاعمال بمقام الوزراء من غير

---

(١) ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ١٤٩ ، ابن دحلان الجداول ص ٣٢ ، ابن خلدون العبر ج ٣ ص ٧٧٧ ، ابن كثير ج ١١ ص ٢١٣ .

(٢) مسكويه تجارب الامم ج ٢ ص ١٠٥ – ١٠٦ .

(٣) المسعودي التنبيه والاشراف ص ٣٤٦ ، ابن كثـــير ج ١١ ص ٢١٢ .

(٤) الذهبي العبر ج ٢ ص ٢٣٦ ، اليافعي ج ٢ ص ٣١٣ ، السيوطي تاريخ الخلفاء ص ٢٦٤ .

تسمية بوزارة[1] .

وقد وصف البيروني حالة الخلافة العباسية بهذه العبارة : (ان الدولة والملك قد انتقل في آخر أيام المتقي ، وأول أيام المستكفي من آل العباس الى آل بويه ، والذي بقي في أيدي الخلافة العباسية انما هو أمر ديني اعتقادي لا ملك دنيوي)[2] . ويقول توماس ارنولد : (كان بنو بويه شيعة زيدية ولذا كانوا لا يعترفون بامامة الخليفة العباسي ، وسيادته على العالم الاسلامي ولم يتورعوا عن التعدي على الخلفاء ، وانتقاص حقوقهم ، ولم يقل استبدادهم بالسلطة في بغـــداد عن استبداد الاتراك حتى أصبح خلفاء بني العباس في عهدهم لا قيمة لهم[3] .

كما سيطروا على السكة فجاءت النقود البويهية وعليها القابهم مع القاب الخليفة العباسي[4] .

ولم يكتف آل بويه بسيطرتهم على الخلافة والدولة بل استولوا على الاموال أيضا ، فاستولى معزالدولة على المكوس ، وأخذوا أموال الناس في غير وجهها واقطع قواده وأصحابه القطائع ، فبطلت الدواوين ، واختلف حـال القرى في العمارة ، فعظم الخراب ، وما تبعه من الغلاء والنهب ، وازدياد الظلم ومصادرة الرعية ، والحيف في الجباية ، واهمال النظر في وسائل الري كالترع والقنوات والقناطر ... واستبد معزالدولة بالسلطة

---

(١) مسـكويه ج ٢ ص ٨٧ ، المسـعودي مروج الذهب ج ٤ ص ٢٧٧ .

(٢) البيروني الاثار الباقيـة عن القرون الخالية ص ١٣١ ، علي ابراهيم حسن التاريخ الاسلامي العام ص ٤٤٨ .

(٣) ارنولد الخلافة ص ٥٨ .

(٤) ناصر النقشبندي ـ الدينار العراقي ـ مجلة سومر م ٣ ج ٢ ص ٢٩٠ .

دون الخليفة ، وتولى عماله وجنده من الديلم وغيرهم أعمال العراق ، وانفـرد معـزالدولة بالسرير ، والمنبر ، والسكة ، والختم على الرسائل والصكوك وغيرها[1] .

فقد بنى معز الدولة ببغداد دارا له سنة ٣٥٠هـ في غاية الفخامة انفق عليها ثلاثة عشر مليون دينار[2] . بينما حاول الحد من نفقات الخليفة ، والسيطرة على ايراداته . ففي سنة ٣٣٦هـ ، لما افتتح معزالدولة البصرة قطع عن الخليفة الالفي درهم التي كان يخصصها له في كل يوم لنفقته ، وعوضه عنها ضياعا من البصرة زيادة على قدر ضياع الخليفة بنحو مائتي الف دينار ، ثم نقص ارتفاعها على ممر السنين الى ان صار خمسين ألف دينار في السنة[3] . وكلما احتاج معزالدولة الى المال عمد هو واصحابه الى نهب ومصادرة أموال التجار وغيرهم ، وكان قيمة ما اخذه واصحابه من الناس عشرة ملايين دينار[4] . ونتج عنها اضطراب الاحوال الاقتصادية وظهور الغلاء وانتشار الوباء ، فأصبح الناس في بغـــداد يأكلون الميته والسنانير ، والكلاب ، واشتبك معزالدولة في عدة حروب مع بني حمدان وغيرهم حتى اتسعت مملكة بني بويه ، نصارت بأيديهم الري والجبـــل واصبهان وفارس والاهواز والعراق ، وصار يحمل اليهم أموال الموصل وربيعة والجزيرة[5] .

واثار معزالدولة البويهي النزعة المذهبية ، فوقعت فتنة ببغداد ونهبت

---

(١) ابن خلدون العبر ج ٣ ص ٧٧٨ .

(٢) الذهبي العبر ج ٢ ص ٢٨٤ .

(٣) ابن الجوزي ج ٦ ص ٣٥٧ ، القرماني اخبار الدول ص ١٧٠ .

(٤) ابن كثير البداية والنهاية ج ١١ ص ٢١٣ .

(٥) نفس المصدر السابق ج ١١ ص ٢١٤ .

الكرخ في سنة ٣٣٨هـ ، واستمرت الفتن المذهبية بعدها في سنة ٣٣٩هـ ، ٣٤٠هـ ، ٣٤٦هـ ، ٣٤٨هـ حيث امر في المحرم سنة ٣٥٢هـ ، ان تغلق اسواق وان يلبس النساء المسموح من الشعر ، وان يخرجن في الاسواق حاسرات عن وجوههن ناشرات شعورهن يلطمن وجوههن[١] . وهذه أول بدعة في الاسلام ظهرت في العصر العباسي . كمحاولة من الفرس لشق وحدة العالم الاسلامي .

وهكذا سعى البويهيون الى اثارة النزعات المذهبية ، والفوضى الدينية والاجتماعية في الوقت الذي كان (الدمستق) ملك الروم يعوث فسادا في دار الاسلام ففي سنة ٣٥٣هـ ، تقدم الدمستق بفتح البلاد الاسلامية بلدة بعد الاخرى ، كالمصيصه ، وادنه ، وطرسوس ، بينما كان معز الدولة يفتح الموصل وجزيرة ابن عمر ، ويقاتل آل حمدان للكسب ، وللحصول على الاموال من بلاد المسلمين[٢] .

وقد تجرأ الدمستق على ان يبعث بقصيدة يسب فيها الاسلام والمسلمين ، ويهدد باحتلال البلاد الاسلامية والحرمين ، وسبي اهلها ، ولم يهتم معز الدولة بالرد عليه أو ايقاف تقدمه ومن قصيدته التي بعثها الى الخليفة العباسي[٣] :ـ

من الملك الطهر المسيحي مالك ... الى خلف الاملاك من آل هاشم

اما سمعت اذناك ما انا صانع ... ولكن دهاك الوهن عن حفل حازم

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٢١٣ ـ ٢٢١ ، ص ٢٤٣ .

(٢) ابن كثير البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٤٤ .

(٣) نفس المصدر السابق ج ١١ ص ٢٤٧ ، ص ٢٥٣ ، ابن العبرى ص ٢٩٤ .

ثغوركم لم يبق منها لوهنكم وضعفكم الا رسوم المعالم
الى كل ثغره بالجزيرة آهل الى جند قنسرينكم فالعواصم
اخذنا النساء ثم البنات نسوقهم وصبيانهم مثل المماليك خادم
الى حلب حتى استبحنا حريمها وهدم منها سورها كل هادم

مات معز الدولة سنة ٣٥٦هـ ، فخلفه ابنه بختيار في السلطنة ، ولقبه المطيع (عز الدولة) ، وقد سار على سياسة ابيه في اثارة النزعات المذهبية ، وكان ضعيفا سيء السيرة اشتغل باللهو ومعاشرة النساء وجمع الاقطاعات والاموال ، حتى انه طلب مالا من الخليفة المطيع مدعيا لصرفه على الجهاد ، وان ذلك من واجب الامام ، فاجابه المطيع قائلا : (الغزو يلزمني اذا كانت الدنيا في يدي ، والى تدبير الاموال والرجال ، واما الآن وليس لي منها الا القوت القاصر عن كفايتي ، وهي في ايديكم ، وايدي اصحاب الاطراف فما يلزمني غزو ولا حج ولا شيء مما تنظر الائمة فيه ، وانما لكم من هذا الاسم الذي تخطبون به على منابركم تسكون به رعاياكم ، فان احببتم ان اعتزل اعتزلت عن هذا المقدار أيضا ، وتركتكم والامر كله)[١] .

وبهذا حاول بختيار السيطرة على أموال الخليفة وأموال المسلمين لاشباع رغباته من المال ، والبلاد تكابد الجوع والفقر والمرض ، وتتهدد الروم بلاد الاسلام وتعمل فيها قتلا ونهبا وتدميرا ، ففي سنة ٣٥٨هـ ، احرق الروم مدينة حمص وسبوا من المسلمين مائة ألف شخص ، وفي سنة ٣٦٠هـ ، هاجمت القرامطة دمشق ، وأميرهم الحسين بن أحمد بن بهرام ، وساروا الى الرملة فالقاهرة فقاتلهم جيش القائد جوهر الصقلي ، وانتهى القتال بهزيمتهم ، وانسحاب القرامطة الى الشام[٢] .

---

(١) مسكويه تجارب الامم ج ٢ ص ٣٠٧ .
(٢) ابن كثير البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٦٦ .

وفي سنة ٣٦١هـ ، اغارت الروم على الجزيرة وديار بكر والرها ، فقتلوا من المسلمين خلقا كثيرا ، وساروا يفتحون المدن حتى وصلوا نصيبين ، مما دفع أهل الجزيرة على الرحيل الى بغداد ، ودخلوا على الخليفة المطيع يستنصرونه ، وكان بختيار مشغولا بالصيد ، فذهبوا اليه فوعدهم بتجهيز الجيوش ، ولما تجهزت العامة للحرب ، وقعت الفتنة المذهبية ، وثار العيارون في بغداد يأخذون أموال الناس ، وطلب بختيار من الخليفة المطيع الاموال فبعث اليه يقول : (لو كان الخراج يجبى الي لدفعت منه ما يحتاج اليه المسلمون ، ولكن انت تصرف منه في وجوه ليس بالمسلمين اليها ضرورة) . فهدد بختيار الخليفة فباع بعض ثيابه وشيئا من اثاث بيته ، وحصل له على اربعمائة الف درهم ، فصرفها بختيار في مصالحه وامتنع عن الغزو[١] . وصادر أموال الخليفة وكبار رجال الدولة واخذ اقطاعاتهم[٢] .

ولما سار بختيار الى الاهواز ، وتخلف سبكتكين التركي الحاجب ببغداد ، فنهض سبكتكين ونهب دار بختيار ببغداد ، وانفرد بالامور فيها[٣] .

وفي سنة ٣٦٣هـ ، حدث للخليفة المطيع فالج وثقل لسانه ، فدعاه الحاجب سبكتكين الى خلع نفسه ، وتسليم الامر الى ولده الطائع فاستجاب له وعقد الامر لابنه الطائع لله[٤] (٣٤٣ – ٣٨١هـ) (٩٥٤ – ٩٩١م) .

---

(١) ابن كثير ج ١١ ص ٢٦٦ – ٢٧٢ ، ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ٢٠٤ ، العصامي ص ٣٦٤ ، أبو الفدا ص ١١٨ ، ابن الوردي ج ١ ص ٢٩٦ .

(٢) القلقشندي مآثر الانافة ج ١ ص ٣٠٤ .

(٣) أبو الفدا ج ٢ ص ١١٩ ، القلقشندي مآثر الانافة ج ١ ص ٣٠٤ .

(٤) الفخري ص ٢٣٢ ، ابن العبري ص ٢٩٥ ، الاربلي ص ١٨٩ ، الذهبي دول الاسلام ج ١ ص ٣٦٣ ، القلقشندي مآثر ج ١ ص ٣٠٤ ، القلانسي ص ١١ .

وقال الذهبي عنهما : (كان المطيع وابنه مستضعفين مع بني بويه ، ولم يزل امر الخلفاء في ضعف الى ان استخلف المقتفي بالله فاصلح امر الخلافة قليلا)[1] .

بويع الطائع بالخلافة سنة ٣٦٣هـ ، وفي أيامه قويت شوكة آل بويه[2] .

وأراد الخليفة الطائع اضعاف النفوذ البويهي ، فعقد لواء امارة الامراء لسبكتكين وخلع عليه الخلع السلطانية ولقبه (نصير الدولة)[3] وانحدر سبكتكين سنة ٣٦٤هـ ، ومعه الطائع والمطيع يريدون واسطا لقتال عزالدولة بختيار ، فمات الخليفة المطيع فرده الى بغداد ، ودفن بها ، ثم مات سبكتكين بعده بيوم واحد ، حيث سقط من على فرسه ، وكانت مدة امارته شهرين وثلاثة عشر يوما ، وخلف مليون دينارا وعشرة ملايين درهما ، وصندوقين فيهما جواهر وآنية ومائة وثلاثين مركبا ذهب ، وستمائة مركب نضة ، غير الثياب ، والدواب ، والغلمان والدور[4] .

وبعد موت سبكتكين عقد الاتراك الامر لافتكين ، وعرض عليه الخليفة الطائع لقب الامارة فامتنع ، واقتصر على الكنية[5] .

واستنجد عزالدولة بابن عمه عضدالدولة فنجده ، ولكن عضدالدولة

---

(١) الذهبي دول الاسلام ج ١ ص ٣٦٣ ، ابن العماد ج ٣ ص ٤٩ ، السيوطي تاريخ الخلفاء ص ٢٦٨ .

(٢) الفخري ص ٢٣٣ .

(٣) ابن الجوزي المنتظم ج ٧ ص ٦٧ .

(٤) نفس المصدر السابق ج ٧ ص ٧٦ .

(٥) ابن تغري بردى النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٠٨ .

ما لبث ان طمع في الامارة ، فعزل عز الدولة ، وولاه الخليفة الطائع مكانه وتوجه بتاج مجوهر وطوقه وسوره ، وقلده سيفا ، وعقد له لواءين بيده احدهما مفضض على رسم الامراء ، والآخر مذهب على رسم ولاة العهود ، ولم يعقد هذا اللواء الثاني لغيره قبله ، وكتب له عهد وقرىء بحضرته ، ولم تجر العادة لذلك من قبل وانما كان يدفع العهد الى الولاة بحضرة أمير المؤمنين[1] . وفي سنة ٣٦٥هـ ، ازدادت الخلافة ضعفا وتدهورا ، واستبد البويهيون بأمور البلاد ، حتى ان ركن الدولة قسم الملك بين أولاده ، فجعل لعضد الدولة فارس ، وكرمان ، وارجان ، ولمؤيد الدولة ، الري واصبهان ، ولفخر الدولة ، همدان والدنيور ، وجعل ولده الاصغر ابا العباس في كنف أخيه عضد الدولة[2] . وبلغ من ضعف الخليفة ان اخذ عضد الدولة يراسل العزيز بالله الفاطمي بمصر ، وقرأ جواب كتابه من العزيز الفاطمي بحضرة الخليفة الطائع العباسي رغم ما كان بين الخليفتين من الخلاف والنزاع[3] .

ومما زاد في ضعف الخلافة ، واضطراب الامن ، وانتشار السلب والنهب ، واشتداد المنافسة بين امراء البيت البويهي ، وما صحبها من حروب طاحنة بين عزالدولة وابن عمه عضدالدولة سنة ٣٦٧هـ ، انتهت بمقتل عزالدولة وتملك عضدالدولة العراق[4] .

---

(١) ابن العماد ج ٣ ص ٥٨ ، الصابيء رسوم دار الخلافة ص ٩٤ ـ ٩٥ ، السيوطي تاريخ الخلفاء ص ٢٧٠ ، الدميري ص ١٠٥ ، العصامي ص ٣٦٥ ، القرماني ص ١٧٠ ، ابن كثير البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٩٢ .

(٢) ابن تغرى بردى النجوم ج ٤ ص ١٠٨ ـ ١١٠ ، الذهبي العبر ج ٢ ص ٣٣٥ السيوطي تاريخ الخلفاء ص ٢٦٩ .

(٣) ابن كثير البداة والنهاية ج ١١ ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .

(٤) ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٢٩ .

ولم يكن عضدالدولة أقل استبدادا بسلطة الخليفة ممن سبقه من امراء بني بويه ففي سنة ٣٦٨هـ ، طلب من الطائع ان تضرب على بابه الدبادب في وقت الصبح والمغرب والعشاء ، وان يخطب على المنابر يوم الجمعة[١] . ويقول الذهبي في ذلك : (وما ذاك الا لضعف امر الخلافة)[٢] .

وقد حاول عضدالدولة الاستحواذ على الخلافة ، ونقلها الى بني بويه ، فقد زوج عضدالدولة ابنته من الخليفة الطائع لتلد ولدا يرث الخلافة التي تؤول الى بني بويه فيما بعد[٣] .

واستمرت الخلافة العباسية في الضعف والتدهور ، والخليفة في ذل وهوان ، فلما عاد عضدالدولة من همدان الى بغداد طلب من الخليفة الطائع ان يخرج للقائه ، واضطر الخليفة الى تلبية طلبه[٤] . وطلب عضدالدولة أيضا من الخليفة تلقيبه بشاهنشاه ، وكان أول من خوطب بهذا اللقب[٥] . ثم سأل عضدالدولة الطائع ان يزيد في القابه ، فلقبه (تاج الملة) كما طالبه بان يجدد له الخلع ويلبسه التاج فاجابه[٦] .

---

(١) ابن الجوزي المنتظم ج ٧ ص ١١٤ .

(٢) الذهبي العبر ج ٢ ص ٣٤٦ .

(٣) مسكوه ج ٢ ص ٤١٤ ، أبو المحاسن النجوم ج ٤ ص ١٣٢ – ١٣٥ ، ابن العبرى ص ٢٩٨ .

(٤) الذهبي دول الاسلام ج ١ ص ١٦٧ ، ابن العماد ج ٣ ص ٧٠ ، اليافعي ج ٢ ص ٣٩٣ .

(٥) الاربلي ص ١٩٠ ، الذهبي العبر ج ٢ ص ٣١٦ ، الدميري ص ١٠٦ .

(٦) مسكويه ج ٧ ص ٣٨٣ ، الصابيء رسوم دار الخلافة ص ١٣١ – ١٣٢ .

وفي سنة ٣٧٢هـ ، مات عضدالدولة ، وقدم الطائع الى صمصام الدولة فعزاه ، ثم ولاه الملك ، ولقبه (شمس الملة) ، وخلع عليه سبع خلع وتوجه وعقد له لواءين[١] .

وكان صمصام الدولة سيىء السيرة ، فزاد الضرائب على الشعب ، فاضطربت الاحوال في بغداد ، وخرجت بعض الولايات عن نفوذه ، فاستولى الاكراد على الموصل ونصيبين ، ووقعت الفتنة بين الديلم والاتراك مما أدى الى انتصار الاتراك اتباع شرف الدولة على الديلم انصار صمصام الدولة[٢] . فدخل شرف الدولة بغداد سنة ٣٧٧هـ ، واعتقل صمصام الدولة ، وقضى عليه[٣] .

فخلع الخليفة الطائع على شرف الدولة ، وتوجه وطوقه وعقد له لواءين أسود وأبيض ، وقرىء عهده بين يديه ، ولقبه بـ (السلطان) ، بدلا من لقب امير الامراء[٤] . فاحسن شرف الدولة السيرة ونظم أمور المملكة وشجع العلوم والفنون ، وقضى على فتن الجند من الديلم والاتراك ، وكانت وفاته في جمادي الآخرة سنة ٣٧٩هـ ، فركب الامير أبو نصر بعد خمسة أيام من وفاة شرف الدولة ، الى حضرة الخليفة الطائع ، فخلع عليه الخلع السلطانية ، ولقبه بهاء الدولة وضياء الملة ، وقرىء عهده بين يديه

---

(١) ابن الجوزي ج ٧ ص ١٢٠ ، الذهبي العبر ج ٢ ص ٣٦٢ ، ابو شجاع ذيل تجارب الامم ج ٣ ص ٧٨ ، ابن العماد ج ٣ ص ٧٩ .

(٢) ابو شجاع ذيل تجارب الامم ج ٣ ص ١٣٢ .

(٣) ابن الجوزي ج ٧ ص ١٣٢ ، الذهبي العبر ج ٣ ص ١ ، ابو شجاع ج ٣ ص ١٣٢ ، ابو الفدا ج ٢ ص ١٢٩ ، ابن كثير ج ١١ ص ٣٠٢ .

(٤) أبو شجاع ج ٣ ص ١٤١ ، ابن الجوزي ج ٧ ص ١٣٥ ، ابو الفدا ج ٢ ص ١٣٢ .

بالتقليد ، وقدم اليه فرس بمركب مذهب[1] .

وقد افتتح عهده بتجدد الفتن والقتال بين الجند من الديلم والاتراك ، ودام ذلك خمسة أيام حتى تم الصلح بين الفريقين[2] . وما كاد بهاء الدولة ينتهي من اصلاح ما فسد حتى شغب الجند عليه لتأخير مرتباتهم ، فاحتاج الى المال فاغراه أبو الحسن ابن المعلم - وكان مقربا عنده - بالقبض على الخليفة الطائع واطمعه في أمواله ، وصادف ان الخليفة كان قد حبس رجلا من خواص بهاء الدولة ، فاغتاظ منه ، واضمر له السوء ، فدخل على الخليفة الطائع فلما قرب منه قبل الارض ، وجلس على كرسي ، وتقدم بعض أصحابه من الخليفة كانهم يريدون تقبيل يديه ، فجذبوه ، وانزلوه عن سريره ، والخليفة يقول : انا لله وانا اليه راجعون ، وهو يستغيث فلا يغيثه أحد ، وأخذوا ما في دار الخلافة من الذخائر والاموال ، ثم ابيحت لعامة الناس ، وحمل الطائع الى دار بهاء الدولة ، واشهد عليه بالخلع ، وسملوا عينيه ، وبايعوا القادر بالخلافة وذلك سنة ٣٨١هـ[3] .

ولما تولى القادر الخلافة (٣٨١ - ٤٢٢هـ) (٩٩٣ - ١٠٣١م) اسكنه معه في زاوية من قصره وكان يحسن اليه ويتحمل غلظة كلامه ، ويقضي معظم ما يستقضيه من الحوائج حتى توفي سنة ٣٩٣هـ[4] .

---

(١) ابن الجوزي ج ٧ ص ١٤٨ ، ابو شجاع ج ٣ ص ١٥٣ ، السيوطي ص ٢٧٢ ابو الفدا ج ٢ ص ١٣٢ ، الذهبي دول الاسلام ج ١ ص ١٦٩ .

(٢) الخضري تاريخ الامم الاسلامية ص ٣٩٨ .

(٣) الصفدي نكت الهميان ص ١٩٦ ، الكتبي ج ٢ ص ٧ ، ابن الاثير ج ٩ ص ٢٧ ، ابو شجاع ج ٣ ص ٢٠٢ ، ابن الجوزي ج ٧ ص ١٥٦ ، الدميري ص ١٠٦ .

(٤) الكتبي فوات الوفيات ج ٢ ص ٧ .

وكان القادر من أفاضل الخلفاء العباسيين ، كثير الخير والعبادة ، وفي أيامه انتعشت الدولة العباسية ، واستردت رونقها ، واخذت امورها في القوة حتى وفاته سنة ٤٢٢هـ[١] .

وكان الخليفة القادر قد نجح في تولية عهده لاحد أبنائه ، دون تدخل البويهيين ، فأقام احتفالا حضره الاشراف والقضاة والشهود والفقهاء ، قرىء فيه كتاب القادر بتقليده ابي الفضل ولده بعده وتلقيبه (الغالب بالله)[٢] .

ورغم ذلك فقد استمر سلطان آل بويه قويا ، مما أدى الى ضعف الدولة العباسية ، وانفصال كثير من أقاليمها خلال فترة حكمهم ، ففي عهد القادر ظهرت الدولة العقيلية التي أسسها محمد بن المسيب بن رابع بن مقلد العقيلي ، واستمرت هذه الدولة العربية بالموصل الى سنة ٤٨٩هـ حيث انتهت على يد السلاجقة ، وفي ديار بكر ظهرت الدولة المروانية على يد ابي علي الحسن بن مروان منذ سنة ٣٨٠هـ ، واستمرت الى سنة ٤٨٩هـ ، وسقطت أيضا على يد السلاجقة ، واستولى بكجور على مصر ، وكان من قبل والياً على دمشق للعزيز بالله الفاطمي ، واستقل سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان بحلب حتى تأسست سنة ٤١٤هـ ، الدولة المرداسية في حلب وظلت قائمة حتى سنة ٤٧٢هـ ، حيث انتهت على يد الدولة العقيلية ، وفي المشرق قامت الدولة السامانية في بلاد ما وراء النهر ، وكان أميرها نوح بن منصور ، وقامت على انقاضها الدولة السبكتكينية التي استمرت حتى سنة ٥٨٢هـ وانتهت على يد الدولة الغورية ، كما قامت بجرجان الدولة الزيادية ، واميرها شمس المعالي قابوس بن وشمكير الى سنة ٤٣٤هـ ، حتى

---

(١) الفخري ص ٢٣٣ ، ابن الاثير الكامل ج ٩ ص ٢٨ ، الاربلي ص ١٩٢ ، الخطيب البغدادي ج ٤ ص ٣٨ .

(٢) تاريخ الصابىء ج ٨ ص ٣٩٢ ، ابن الجوزي ج ٧ ص ٢١٥ .

قضت عليها الدولة الغزنوية[1] .

وظهور هذه الدويلات يرجع الى ضعف الخلافة نتيجة تسلط الاتراك والبويهيين على الحكم ، وانتشار الفوضى ، وفقدان الأمن ، وكان نفوذ بهاء الدولة قد ازداد في عهد الخليفة القادر ، واستبد بالسلطة دون الخليفة وبقي الخليفة مغلوبا على أمره[2] . فاضطربت البلاد وعمت الفوضى وعاث العيارون(*) سنة ٣٨٢هـ ، فسادا بغداد ، فانتهبوا الاموال واحرقوا

---

(١) الخضرى تاريخ الامم الاسلامية ص ٣٩٩ ــ ٤٠٨ .
(٢) العصامي سمط النوم العوالي ص ٣٦٧ .
(*) العيارون : تكتل نتج عن شعور تكون لدى الطبقة العامة لزيادة نسبة التباين الطبقي وسوء الوضع المعاشي للطبقة العاملة وانتشار الفوضى السياسية (التنوخي الفرج بعد الشدة ج ٢ ص ١٠٧ ــ ١٠٨) وقد ظهروا منذ أواخر القرن الثاني للهجرة في بغداد ، وكانوا في أول أمرهم عصابات لصوصية هدفها نهب الاسواق وبيوت الاغنياء (ابن الجوزي ج ٧ ص ٢٢٠ ، ابن الاثير ج ٩ ص ١٥١) وازداد عددهم بمرور الزمن حتى بلغ في فترة النزاع بين الامين والمأمون الى خمسين الف يرتدون لباسا خاصا يميزهم (زيدان التمدن الاسلامي ج ٢ ص ٤٦ ــ ٤٧) واستخدموا الطريقة العشرية في تنظيماتهم السياسية فعلى كل عشرة عريف وعلى كل عشرة عرفاء نقيب وعلى كل عشرة نقباء قائد وعلى كل عشرة قواد امير) (المسعودي مروج الذهب ج ٦ ص ٤٥٢) ومن القاب رؤسائهم السياسية (المتقدم) (ابن الجوزي المنتظم ج ٨ ص ٤٩) و (القائد) (ابن الجوزي ما معناه ج ٨ ص ٧٨) و (الامير) (مسكويه ج ٢ ص ٣٠٦) . وكانت لهم مراسيم معينة وحفلات خاصة لقبول الاعضاء الجدد) (التنوخي الفرج بعد الشدة ج ٢ ص ١٠٩) فاذا رشح شخص للعضوية يدل على مكان الاجتماع فاذا دخله وجد اوتادا عليها أزار فينزع ثيابه ويلقيها على الوتد ويتزر بالمئزر ، ويقدم له النبيذ ثم يأخذ قدحا ويملأه بالشراب ويقول هذا (شادي) (ربما تعني نخب العضوية) ويشترط في العضو ان يسرق ويقدم ما سرقه الى الجماعة ليقتسم بينهم . وكان كل منهم يلقب صاحبه (فتى) (المسعودي مروج الذهب ج ٦ ص ٤٦٣) ومن مبادئهم الاخلاقية

الدور وأخذوا الاسواق بالجبايات ، واستمروا في قتل الرجال وارهاب النساء والاطفال[1] .

وفي سنة ٣٩٠هـ ، عظم امر الشطار ، وهاجموا بيوت الناس نهارا جهارا وقتلوا الناس ، وقويت شوكتهم ، وكان منهم العلويون والعباسيون ، وعهد بهاء الدولة الى عميد الجيوش لاعادة الامن الى بلاد العراق ، فقضى على فتنة العيارين ، ولكن تجدد خطرهم سنة ٣٩٢هـ ، وكثر عددهم وصار بينهم هاشميون ، فمنع عميد الجيوش السنة والشيعة من اظهار مذهبهم[2] .

وتوفي بهاء الدولة سنة ٤٠٣هـ ، وجمع خلال حكمه من الاموال ما لم يجمعه أحد من بني بويه ، واشتهر بالبخل ، وبمصادرة أموال الناس[3] .

وولى الخليفة القادر مكانه (سلطان الدولة) ابا شجاع وخلع عليه وقلده سيفاً وتاجاً ، وسوره ، وطوقه ، وعقد له لواءين ، وامر ان تضرب الطبول في أوقات الصلوات الخمس ، وكان جده عضد الدولة يضرب الطبول في أوقات ثلاث صلوات[4] .

وفي سنة ٤١٣هـ ، توفي سلطان الدولة بشيراز ، وسار السلطان مشرف

ان (الفتى لا يزني ولا يكذب ويحفظ النساء ولا يسمح بالتعرض لهم) (ابن الجوزي المنتظم ج ٨ ص ٧٧) ومن سلوكهم الرفق بالضعفاء والفقراء . فالبرجمي العيار (كان فيه فتوة وله مروءة ولم يعرض لامرأة ولا الى من يستسلم اليه) (ابن الاثير ج ٩ ص ١٥١) ويذكر عن ابن حمدون (ان فيه فتوة وظرف لا يفتش امرأة ولا يسلبها) (التنوخي الفرج بعد الشدة ج ٢ ص ١٨٠) .

(١) ابن كثير البداية والنهاية ج ١١ ص ٣١٢ .

(٢) الذهبي العبر ج ٣ ص ٤٦ ـ ٥٤ .

(٣) ابن الجوزي المنتظم ج ٧ ص ٢٦٤ .

(٤) ابن الاثير ج ٩ ص ١٠٥ ، الذهبي العبر ج ٣ ص ٨٣ ، ابن الوردي ج ١ ص ٣٢٦ ، ابن كثير ج ١١ ص ٣٥٢ .

الدولة الى بغداد سنة ٤١٤هـ ، وتلقاه الخليفة القادر ، وخلع عليه خلع الامارة وفي سنة ٤١٦هـ ، مات مشرف الدولة ، ونهبت خزائنه ، وخلفه جلال الدولة[١] . ولم يلبث ان ثار الاتراك عليه سنة ٤١٩هـ وشغبوا ، لتأخير مرتباتهم وأرزاقهم ، فنهبوا دار الوزير ابن ماكولا ، ودور الكتاب كما نهبوا صياغات كان قد اخرجها جلال الدولة لتضرب دنانير ودراهم ولتفرق بينهم ، وحاصروا جلال الدولة في داره ، ومنعوا عنه الطعام والماء حتى ارسل اليهم الخليفة القادر فاصلح بينهم وبين جلال الدولة[٢] .

وفي سنة ٤٢٢هـ ، توفى الخليفة القادر بالله ، وتولى ابنه القائم بامر الله الخلافة (٤٢٤ - ٤٦٧هـ) (١٠٣١ - ١٠٧٥م) ، وطالبته الاتراك برسم البيعة فقال : (ان القادر لم يخلف مالا) ، وصالحهم على ثلاثة ملايين دينار ، وعرض خانا وبستانا للبيع لانفاقها عليهم[٣] . وفي عهده ثارت فتنة ببغداد بين العامة والجند وعظم الامر ، وظهر العيارون ثانية ، وضعف شأن الخلافة والسلطنة ببغداد ، ففي سنة ٤٢٥هـ ، لقى جماعة من الاكراد بعض الجند فأخذوا منهم دوابهم ، فلما سمع الخليفة عظم عليه الحال ، ولم ينجح جلال الدولة في الخلاص من فتنة الاكراد لعجزه ووهنه ، وعظم خطر العيارين وصاروا ينتهبون الاموال ليلا ونهارا حتى وصلوا الى جامع المنصور واخذوا ثياب النساء في المقابر[٤] . واحرقوا دار صاحب الشرطة[٥] .

---

(١) ابن الجوزي ج ٨ ص ٢١ ، ابن الاثير ج ٩ ص ١٠٩ ، الذهبي العبر ج ٣ ص ١١١ .

(٢) ابن الاثير ج ٩ ص ١١٢ ، الذهبي العبر ج ٣ ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٣) الذهبي العبر ج ٣ ص ١٤٧ ، ابن الجوزي ج ٨ ص ٥٩ ، اليافعي ج ٣ ص ٤١ .

(٤) ابن الاثير الكامل ج ٩ ص ١٥٢ .

(٥) الذهبي العبر ج ٣ ص ١٦١ ، اليافعي ج ٣ ص ٤٤ .

وبلغ من ضعف الخلافة ان تجرأ الملوك على التلقب بالالقاب الطويلة الفخمة . ففي رمضان سنة ٤٢٩هـ تلقب جلال الدولة بلقب (شاهنشاه الاعظم ملك الملوك) ، وفي سنة ٤٣٠هـ لقب الخليفة ابا منصور ابن جلال الدولة بالملك العزيز[١] .

توفي جلال الدولة سنة ٤٣٥هـ ، ودخل ابو كاليجار سنة ٤٣٦هـ بغداد وضرب له الطبل في أوقات الصلوات الخمسة ، وفي سنة ٤٤٠هـ ، توفي أبو كاليجار بطريق كرمان ، فنهبت خزائنه وحريمه وجواريه ، فسلطنوا ابنه خسرو فيروز ولقبوه (الملك الرحيم)[٢] .

وفي سنة ٤٤٧هـ ، ملك طغرلبك بغداد ، وهو أول ملوك السلاجقة قال الخطيب البغدادي (كان ارسلان التركي المعروف بالبساسيري قد عظم أمره واستفحل واستولى على البلاد ، ثم صح عند الخليفة القائم سوء عقيدته ، وشهد عنده جماعة من الاتراك انه عازم على نهب دار الخلافة ، وانه يريد القبض على الخليفة ، فعند ذلك كاتب الخليفة محمد بن ميكائيل بن سلجوق الملقب طغرلبك يستنهضه على المسير الى العراق ، فانفض أكثر من كان مع البساسيري وعادوا الى بغداد ، وقصدوا دار البساسيري فاحرقوها ، ووصل طغرلبك بغداد في رمضان سنة ٤٤٧هـ ، وقد تلقاه الأمراء والوزراء والحجاب في ابهة عظيمة وقطعت خطبة الملك الرحيم وكان آخر ملوك بني بويه ، وقبض عليه وحبسه في قلعة السيروان)[٣] .

---

(١) ابن الجوزي ج ٨ ص ٩٧ ، الذهبي العبر ج ٣ ص ١٧٠ ، ابن العماد ج ٣ ص ٢٤٤ ، ابن كثير ج ١٢ ص ٤٣ ، ص ٤٥ .

(٢) الذهبي العبر ج ٣ ص ١٨٥ – ١٩١ ، ابن الجوزي ج ٨ ص ١٣٦ ، ابن العماد ج ٣ ص ٢٥٦ ، ابن تغرى بردى ج ٥ ص ٣٣ .

(٣) الخطيب البغدادي ج ٩ ص ٣٩٩ – ٤٠٠ ، ابن الاثير الكامل ج ٩ ص ٢١٢ ، ابن الجوزي ج ٨ ص ١٦٣ – ١٦٤ ، الذهبي العبر ج ٣ ص ٢١٢ ، ابن القلانسي تاريخ دمشق ص ٨٣ .

وقيل طرح في بئر[1] • فكانت عدة من ملك بغداد من بني بويه احد عشر اميرا ، ومدتهم ببغداد الى ان انقرضوا على يد السلاجقة مائة وثلاث سنين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما ، اولها يوم وصل معز الدولة بغداد ، وآخرها يوم وصول طغرلبك بغداد[2] •

وخلاصة القول كانت الخلافة العباسية في ظل الحكم البويهي ضعيفة ومهانة ، وأصبح الخليفة العوبة في أيديهم يولونه ويعزلونه متى شاءوا وجردوا الخليفة من كل القابه وامتيازاته ، حتى انهم حذفوا لقب أمير المؤمنين من الخطبة والسكة ، واكتفوا بلقب الخليفة ، كما سيطروا على الخزائن وأخذوا يخصصون مبالغ زهيدة لنفقاته ، وأحيانا كانوا يلجأون الى الاستحواذ على البعض منها ، كما جردوا الخليفة من حق اختيار الوزراء والقواد والولاة وأصبحت صلاحياته لا تتعدى الامور الدينية كتعيين القضاة وأئمة المساجد وذكر اسمه في الخطبة يوم الجمعة والعيدين وفي السكة •

وقد أبقى البويهيون هذه الامتيازات لاعتبارات دينية ، ولخوفهم من الرأي العام في العالم الاسلامي ، ولذا تظاهروا أمامه باحترامهم للخليفة ، وكان جميع ما يصدر بأسمه ظاهريا ، بينما لم يكن في الواقع له من الامر شيء •

---

(١) ابن الجوزي ج ٨ ص ١٦٦ ، المقريزي السلوك ج ١ ص ٣٠ •

(٢) المقريزي السلوك ج ١ ص ٣٠ •

٢ - وزراء الامراء البويهيين

لما استولى بني بويه على بغداد سنة ٣٣٤هـ ، قضوا على نفوذ الخلفاء العباسيين وجردوهم من صلاحياتهم وامتيازاتهم ، فاضطربت ادارة الدولة ونظمها ، وزال نفوذ الوزراء ، ويؤيد ذلك ما رواه صاحب الفخري بقوله (ولم يبق لها ورنق ولا وزارة ، وتملك البويهيون ، وسارت الوزارة من جهتهم ، والاعمال اليهم)[١] ويقول ابن العبري (وفي سنة ٣٣٤هـ ، ازداد أمر الخلافة ادبارا ، ولم يبق للخليفة وزير ، وانما كان له كاتب يدير اقطاعه واخراجاته)[٢] ويقول المسعودي (وغلب على الامر ابن بويه ، والمطيع في يده لا امر له ولا نهي ، ولا خلافة تعرف ، ولا وزارة تذكر ، وقد كان أبو جعفر محمد بن يحيى بن يزداد يدبر الامر بحضرة الديلمي ، فيما يأمر الوزارة برسم الكتبه ، ولم يخاطب بالوزارة ، وقيل ان أبا الحسن محمد بن علي بن مقلة يعرض الكتب على الديلمي والمطيع ، ويتصرف برسم الكتبة لا برسم الوزارة وذلك في جمادى الاولى سنة ٣٣٦هـ)[٣] .

ولم يكن الوزير البويهي ينظر في شيء من امر النواحي ولا الدواوين فلم يكن للوزير في الحقيقة غير اسم الوزارة فحسب ، فكان يحضر في أيام المواكب الى دار السلطان بسواد وسيف ومنطقة وصارت أموال النواحي تحمل الى خزائن أمير الامراء ، فيتصرف فيها كيفما شاء ، ويحدد نفقات الخليفة ، والغيت بيوت الاموال[٤] .

---

(١) الفخري ص ٢٣٢ .

(٢) ابن العبري ص ٢٩١ .

(٣) المسعودي مروج الذهب ج ٤ ص ٢٩٣ (مطبعة دار الرجا بمصر) .

(٤) مسكويه تجارب الامم ج ٢ ص ٣٠٢ .

وبعد ان كان للخليفة وزيرا وللامير كاتبا انعكس الوضع في العصر البويهي[1] . وتدخل البويهيون حتى في تعين كاتب الخليفة[2] .

وأصبحت صلاحيات الوزير في عهد أمير الامراء البويهي لا تتعدى الاشراف على ادارة مالية الدولة ، وقد اوضح مسكويه صلاحيات الوزير في عهد عزالدولة بختيار بقوله : وكان لا ينظر في دخل ولا خرج ، وانما يلزم وزيره تمشية الامور من حيث لا يعنيه ولا ينصره ، ولا يمنح أحدا من جنده شيئا ، فاذا وقفت أموره قبض على وزيره واستبدل به[3] .

الغي منصب الوزارة منذ بداية عهد الخليفة المطيع في جمادى الآخرة سنة ٣٣٤هـ ، وقام ابن شيرزاد بتدبير الامور والاعمال بدلا من الوزير من غير ان يحمل لقب الوزارة[4] . ويؤيد المقريزي هذه الحقيقة حيث يقول : (وفي خلافة المطيع لم يجعل له معز الدولة أمرا ولا نهيا ولا رأيا ، ولا مكنه من اقامة وزير ، بل صارت الوزارة اليه يستوزر لنفسه من يريد)[5] .

ومن الذين كتبوا للمطيع الفضل ابن أحمد الشيرازي ، وأبو سعيد ابن وهب بن ابراهيم[6] . ولما بويع الطائع بالخلافة سنة ٣٦٣هـ ، كتب له علي بن نباته ، وعيسى بن علي بن عيسى ، وعيسى بن مروان ، وعلي ابن عبدالعزيز[7] . ولما بويع القادر بالخلافة سنة ٣٨١هـ ، كتب له أبو

---

(١) ابن الاثير الكامل ج ٧ ص ١٤٧ .

(٢) ادم متز الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢٢ .

(٣) مسكويه تجارب الامم ج ٢ ص ٣٠٧ .

(٤) نفس المصدر السابق ج ٢ ص ٨٧ .

(٥) المقريزي السلوك ج ١ص ٢٧ .

(٦) الاربلي خلاصة الذهب المسبوك ص ١٩٠ .

(٧) نفس المصدر السابق ص ١٩٢ .

الحسن علي بن عبدالعزيز بن حاجب النعمان ، ثم عزله واستكتب بعده أبا العلاء سعيد بن الحسن بن بربك ، ثم عزله وعاد ابن حاجب النعمان الى ان توفى[1] .

وكتب للقائم أبو طاب محمد بن أيوب وعزله ، واستكتب رئيس الرؤساء أبا القاسم علي بن المسلم ، وكتب بعده أبا الفتح محمد بن دارست ثم عزله ، واتخذ ابا نصر محمد بن محمد بن جهير الى حين وفاته[2] .

وبالاجمال انتقلت الوزارة من كتابة الخلفاء الى كتابة الديلم فلم يخاطب بوزير غيرهم .

استأثر بني بويه بالسلطة عندما دخلوا بغداد سنة ٣٣٤هـ ، وصاروا يتصرفون بحرية تامة في تعيين الوزراء وكبار رجال الدولة ، وأخذوا يشرفون على الامور المالية والعسكرية والادارية ، وجردوا الوزير العباسي من جميع صلاحياته وسلطاته بحيث أصبحت واجباته لا تتعدى ادارة أمور الخليفة فحسب ، ولذلك الغوا منصب وزير الخليفة ، نتيجة سيطرتهم على جميع موافق الدولة ، والصلاحيات التي كان يقوم بها الوزير في العصور السابقة لحكمه ، ولما كانت اعباء الدولة كثيرة يصعب على بني بويه القيام بها وحدهم ، ولذلك عمدوا الى تعيين وزراء لهم يعاونوهم في أعمالهم المختلفة . وفي ذلك يقول صاحب الفخري : اضطربت أحوال الخلافة ، ولم يبق لها رونق ولا وزارة ، وتملك البويهيون ، وصارت الوزارة من جهتهم والاعمال اليهم[3] .

اختار بني بويه وزراء اكفاء ، احتلوا مكانة مرموقة في الادارة

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٩٤ .

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٩٧ .

(٣) الفخري ص ٢٥٣ .

والسياسة والادب ، نذكر منهم على سبيل المثال أبا الفضل بن العميد وولده أبا الفتح ، والصاحب بن عباد ، ومن هؤلاء الوزراء المهلبي الذي اشتهر بالادب ، واحرز هؤلاء الوزراء في كل فضل وعلم قصب السبق ، كما اشتهروا بالاخلاق وحسن المعاملة[1] . ويقول (نيكلسن) فيهم (ان البويهيين كانوا يستوزرون شخصيات لها الشهرة في الآداب ، فابن العميد وزير ركن الدولة لذي يمتاز بالبلاغة والكتابة واللغة[2] .

فهذه الصفات جعلت كتاب العربية يعطوه لقب (الجاحظ الثاني) وقيلت فيه : (بدأت الكتابة بعبدالحميد وانتهت بأبن العميد)[3] .

وكان صديق الصاحب ابن عباد وزير مؤيد الدولة وفخر الدولة الذي تلمذ على يده وتأدب بأدبه وأصبح سابور بن اردشير وزيرا لبهاء الدولة وكانت منزلته تضاهي منزلة الصاحب بن عباد ، وقد اعجب الثعالبي به فخصص له في كتابة اليتيمة فصلا خاصا به ، وقد انشأ في جانب الكرخ جامعة والحق بها مكتبة تحوى على نفائس الكتب الادبية ... يشبهها (نيكلسون) بالجامعات العصرية[4] .

ولم يكن وزراء بني بويه جميعا ممن توفر فيهم المقدرة الادارية والسياسية بل تولى الوزارة شخصيات ضعيفة بحيث لم يكن يختلفون عمن سبقهم من الوزراء في العصور العباسية السابقة من حيث احتجازهم الاموال ، واستخدامهم أساليب المساومة والمنافسة للحصول على منصب الوزارة ،

---

(١) أبو حيان التوحيدي مثالب الوزيرين ص ٥٥ .

(٢) Nicholscn, Literary History of The Arabs, P. 267.

(٣) الثعالبي يتيمة الدهر ج ٣ ص ٣ ، ابن خلكان ج ٣ ص ٥٧ ، الصابىء أقسام ضائعة ص ٤٧ .

(٤) Nicholscn, Literary History of The Arabs, P. 267.

فاضطربت الامور وانتشرت الرشوة واستولى الوزراء على أموال الناس بالباطل ، وسيطروا على ضياع الخلفاء والمستترين وعلى حقوق بيت المال ، واستولوا على ضياع الرعية[1] . ومن أمثلة ذلك انه لما مات أبو جعفر محمد بن أحمد الصيمرى وزير معز الدولة سنة ٣٣٩هـ[2] . بذل أبو علي الحسن بن محمد الطبري مالا عظيما للحصول على الوزارة ، فقدم دفعة اولى بلغت ثلاثمائة الف دينار ، فاستولى معزالدولة عليها ولم يستوزره ، بل قلد المهلبي[3] . وكان المهلبي ملمـا بأحوال الدولة ، والدواوين ، واظهر كفاية ومقدرة ومعرفة بمصالح الحكومة ، ولمس فيه معز الدولة الامانة وحسن السيرة[4] . فزاد معز الدولة سنة ٣٤٥هـ ، في اقطاعه ، وعظم قدره عند معز الدولة[5] . وازال المهلبي كثيرا من المظالم ، وقرب أهل العلم والآدب وأحسن اليهم ، وتنقل في البلاد لكشف ما فيها من المظالم ، وقد جمع المهلبي بيده رياسة السيف والقلم ، حيث خرج سنة ٣٤٠هـ ، على رأس جيش لقتال القرامطة فهزمهم واستباح عسكرهم وعاد بالاساري[6] . وفي سنة ٣٥٢هـ ، توجه لفتح عمان ولكنه مات بعد ان لبث

---

(١) مسكويه تجارب الامم ج ٢ ص ٩٦ .

(٢) الصابيء أقسام ضائعة من كتاب الوزارة ص ٣٥ .

(٣) ياقوت ارشاد الاريب ج ٣ ص ١٨٥ ، الهمداني تكملة الطبري ص ١٩٨ ، (المهلبي) أصله من بني المهلب ابن ابي صفره (ابو المحاسن ج ٣ ص ٣٣٣) .

(٤) ابن الاثير الكامل ص ١٦٠ ، مسكويه ج ٢ ص ١٢٤ ، الثعالبي اليتيمة ج ٢ ص ٨ ، الكتبي ج ١ ص ٢٥٦ ، ابن خلكان ج ١ ص ١٤٢ ، اليافعي ج ٢ ص ٢٤٧ .

(٥) ابن دكين روضة الاعيان (مخطوط) ورقة ١٨١ ظ ، ابو المحاسن ج ٣ ص ٣١٤ .

(٦) ابن العماد شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٥٤ .

في الوزارة أكثر من ثلاثة عشر سنة[1] وقيل مات مسموما وقال ابن الحجاج يرثيه[2] :

يا معشر الشعراء دعوة موجع	لا يرتجى فرج السلو لديه
عزوا القوافي بالوزير فانها	تبكي دما بعد الدموع عليه
مات الذي امس الثناء وراءه	وجميل عفو الله بين يديه
هدم الزمان بموته الحسن الذي	كنا نفر من الزمان اليه
وتضاءلت همم المكارم والعلى	وانبت حبل المجد من طرفيه
ولتعلمن بني بويه انما	فجعت به أيام آل بويه

ومات المهلبي سنة ٣٥٢هـ ، ولكن معز الدولة لم يحفظ له خدمته ، فصادر أمواله وذخائره فبلغت خمسة ملايين درهم[3] . وقبض على اهله وأصحابه وحاشيته وحبسهم ، فاستعظم الناس ذلك ، واستقبحوه ، بعد ان خدم معز الدولة أكثر من ثلاثة عشرة سنة[4] .

ولم يكن وزراء معز الدولة على كفاءة المهلبي ، فلما مات نظر في الامور بعده أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي ، وأبو الفرج محمد ابن العباس بن فسانجس من غير تسمية لاحدهما بوزارة[5] .

---

(١) مسكويه ج ٦ ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ، ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ١٨٠ ، تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ٢٩٠ .

(٢) الهمداني ص ٢٢٧ ، ابن خلكان ج ٢ ص ١٤٣ .

(٣) الصابىء أقسام ضائعة ص ٣٩ ، ياقوت ارشاد الاريب ج ٣ ص ١٨٩ ، ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ١٨٠ .

(٤) ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ١٨٠ ، مسكويه ج ٢ ص ١٩٦ ـ ١٩٨ ، ابن العماد ج ٣ ص ٩ ، ابن خلدون العبر ج ٣ ص ٨٨٣ ، ابن الوردي ج ١ ص ٢٩٠ .

(٥) ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ١٨٠ ، مسكويه ج ٢ ص ١٩٨ ، ابن خلدون العبر ج ٣ ص ٨٨٧ .

عهد معزالدولة الى ابنه بختيار بالسلطنة ، واستوزر بختيار أبا الفضل العباس بن الحسين الشيرازي ، صهر المهلبي سنة ٣٥٧هـ ، فتولى الوزارة سنتين وثلاثة أيام ثم عزله ، وولى أبا الفرج محمد بن عباس بن فسانجس ، فاستمر وزيرا ثلاثة عشر شهرا وعشرة أيام ، ثم أعاد أبا الفضل الى الوزارة ، فصادر الناس واحرق الكرخ ، واضطربت العامة ، فقبض عليه بختيار ، واستوزر أبا طاهر محمد بن بقية سنة ٣٦٢هـ ، وخلع الخليفة المطيع عليه ولقبه (الناصح)[١] كما لقبه الطائع (نصير الدولة)[٢] وهو أول وزير تلقب بلقبين في العصر البويهي فتعجب الناس من ذلك ، لضعف مكانته ، وقد اشتد في معاملة عامة الناس ، وكثر في زمانه العيارون ببغداد ففسدت الامور وانقطعت الاموال[٣] .

وكان قبل ان يتولى الوزارة يخدم في مطبخ معزالدولة ، فقال الناس فيه (من الغضارة الى الوزارة) وكان كريما يغطي كرمه عيوبه ، وقيل خلع في يوم واحد عشرين الف خلعة[٤] . وزر لبختيار أربع سنين واحد عشر يوما ، ثم قبض عليه سنة ٣٦٦هـ ، بمدينة واسط ، وسمل عينيه فلزم بيته[٥] .

---

(١) ابن الجوزي ج ٧ ص ٦١ ، مسكويه ج ٢ ص ٣١٤ ، الصابيء أقسام ضائعة ص ٦٧ ، ابن خلدون العبر ج ٣ ص ٨٨٨ ، الهمداني ص ٢٤١ – ٢٥٣ ص ٢٥٩ .

(٢) ابن خلكان ج ٢ ص ٦٣ ، مسكويه ج ٢ ص ٣١١ ، الصابيء أقسام ضائعة ص ٦٧ .

(٣) ابن الاثير ج ٨ ص ٢٠٧ ، ابن كثير ج ١١ ص ٢٧٣ ، ابن الوردي ج ١ ص ٢٩٨ .

(٤) ابن العماد ج ٣ ص ٦٣ ، ابن خلكان ج ٢ ص ٦٣ ، أبو المحاسن ج ٤ ص ٦٦ .

(٥) الصفدي نكت الهميان ص ٢٧١ ، مسكويه ج ٢ ص ٢٧٧ ، ابن خلكان ج ٢ ص ٦٣ ، الهمداني ص ٢٨٤ – ٢٨٥ ، اليافعي ج ٢ ص ٣٩٢ ، ابن العماد ج ٣ ص ٦٣ .

ثم تولى الوزارة بعده ، أبو الحسن علي بن عمر ، وقد توسطت له والدة بختيار وأخوه ابي اسحق وحاجبه ابراهيم بن اسماعيل[١] .

ولما مات عضد الدولة احضر ابن بقية ، ورماه بين أرجل الفيلة ، فمات ثم صلبه سنة ٣٦٧هـ ، ولم يزل مصلوبا الى ان توفي عضد الدولة ، فانزل ودفن في موضعه ، ورثاه محمد بن عمر الانباري بقصيدة[٢] :ـ

علو في الحياة وفي الممات ... لحق انت احدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا ... وبرد ندام أيام الصلات
كأنك قائم فيهم خطيبا ... وكلهم قيام للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفاءا ... كمدهما اليهم بالهبات
فلما ضاق بطن الارض عن ان ... يضم علاك من بعد الممات

واستوزر عضد الدولة ، المطهر بن عبدالله ، ولما سار الوزير الى واسط للقضاء على الحسن بن عمران ، استخلف له عضد الدولة على الوزارة ، وتدبير الاعمال ، وجمع الاموال ابا الريان حمد بن محمد الاصبهاني ، وصعب على المطهر بن عبدالله القضاء على الحسن بن عمران ، فاستصعب عليه الامر ، وشعر بضعف منزلته ، عن رتبة الوزارة ، فاختار الموت على تسلط الاعداء عليه وتمكنهم منه ، فقطع شرايين ذراعيه ، فنزف دمه ، ومات خوفا من تغير عضد الدولة عليه[٣] .

واتخذ عضد الدولة بعده وزيرا مسيحيا سنة ٣٦٩هـ ، فكان هذا

---

(١) مسكويه تجارب الامم ج ٢ ص ٣٧٩ .

(٢) ابن العماد ج ٣ ص ٦٣ ، الصابىء اقسام ضائعة ص ٦٧ ، ابن الوردي ج ١ ص ٣٠٢ .

(٣) مسكويه تجارب الامم ج ٢ ص ٤٠٩ ـ ٤١٢ .

حدثا غريبا ، ثم تابعه بآخر ، وهو اختيار وزيرين في آن واحد ، فاستوزر نصر بن هارون وكان نصرانيا ، وجعله مقيما بفارس ، وابا الريان حمد ابن محمد فاقام ببغداد[1] .

وربما تأثر البويهيون بأنظمة الوزارة عند الفاطميين بمصر ، فيقول صاحب كتاب نظم الفاطميين : (ان البويهيين المعاصرين للفاطميين قد اتخذوا وزيرا نصرانيا كما كان يفعل الفاطميون)[2] .

ولم يكن الوزيران على وفاق تام بينهما ، بل كان كل واحد يدبر المكائد لصاحبه[3] .

ولم يلبث ان قبض عضد الدولة على ابي الريان وعلى اصحابه[4] . حتى كانت ٣٧٦هـ ، حينما وصل شرف الدولة البويهي بغداد ، سأل عن أبي الريان وطلبه ، فوجد ميتا مدفونا بقيوده[5] .

ولعل مقتل ابي الريان كان بتأثير دسائس نصر بن هارون ومكائده .

ولما ملك صمصام الدولة البويهي سنة ٣٧٣هـ ، استوزر عبدالله الحسين بن أحمد بن سعدان ، قال أبو شجاع في اخبار سنة ٣٧٣هـ : (وفيها خلع علي ابي عبدالله الحسين بن سعدان ، خلع الوزارة ، وكان رجلا باذلا لعطائه مانعا للقائه ، فلا يراه أكثر من يقصده الا ما بين نزوله من درجة داره الى زبزبه (السفن النهرية) ، ومع ذلك فلا يخيب طالب

---

(١) نفس المصدا السابق ج ٢ ص ٤١٢ .

(٣) عبدالمنعم ماجد نظـــم الفاطميين ورسومهم بمصر ج ١ ص ٨٤ ـ ٨٥ .

(٣) ابن الاثير الكامل ج ٩ ص ٣٢ .

(٤) ابو شجاع ذيل تجارب الامم ج ٣ ص ١١٨ ـ ١١٩ .

(٥) نفس المصدر السابق ج ٣ ص ١٣٤ .

احسان منه في أكثر مطلبه)[1] .

وظل ابن سعدان في الوزارة حتى سنة ٣٧٥هـ ، حيث ظهر منافس له هو ، ابو القاسم عبدالعزيز بن يوسف ، فظل يكيد له حتى قبض عليه ، وعلى أصحابه ، واودعوا السجن ، واستوزر صمصام الدولة ابا القاسم عبدالعزيز ، وانتهز ابا القاسم فرصة خروج ثائر على صمصام الدولة ، فاتهم ابن سعدان بمعاونة الثائر فامر صمصام الدولة بقتله سنة ٣٧٥هـ[2] . وهكذا لقي هـذا الوزير مصرعه نتيجـة المنافسة على كرسي الوزارة ، واستفحال الدسائس والمؤمرات في بلاط الملوك البويهيين .

وفي سنة ٣٧٥هـ ، اشترك أبو اقاسم عبدالعـزيز ، وأبا الحسن أحمد بن محمد بن برمويه في الوزارة ، وقيل ان والدة صمصام الدولة خاطبته على ان يجمع بينهما في الوزارة[3] .

وفي عهد شرف الدولة ، تولى الوزارة أبو منصور محمد بن الحسن ابن صالحان وانتظمت الامور في عهده ، واستمر يلي الوزارة حتى وفاة شرف الدولة سنة ٣٧٩هـ[4] .

ولما بدأ عهد بهاء الدولة اسرف في تعين الوزراء وعزلهم ، وربما نتج ذلك عن اضطراب الامور ، وعدم توفر وزراء اكفاء ، فضلا عن اضطراب مالية الدولة ، كمـا اتبع شرف الدولة سنة أبيـه في تعين وزيرين في آن واحد .

وفي سنة ٣٨١هـ ، استوزر بهاء الدولة ، أبا نصـر بن سابور بن

---

(١) أبو شجاع ذيل تجارب الامم ج ٣ ص ٨٥ .
(٢) نفس المصدر السابق ج ٣ ص ١٠٢ .
(٣) ابو شجاع ذيل تجارب الامم ج ٣ ص ١٠٢ .
(٤) ابن كثير ج ١١ ص ٣٠٧ ، ابو شجاع ج ٣ ص ١٣٧ ، ابن الجوزي ج ٧ ص ١٣٥ .

اردشير ببغداد وأبا منصور بن صالحان ، ثم قبض عليهما بعد فترة ، واستوزر أبا القاسم عبدالعزيز بن يوسف ، ثم استوزر بعده ابا القاسم علي بن أحمد ، ثم قبض عليه سنة ٣٨٢هـ ، لاتهامه بمكاتبة الجند ، واستوزر أبا نصر بن سابور وأبا منصور بن صالحان ، وجمع بينهما في الوزارة ، وجعل أبا نصر بن سابور مدبرا لامور العراق(١) .

على ان هذا الاسلوب لم يصبح نظاما ثابتا طيلة العهد البويهي بل ان بهاء الدولة نفسه اكتفى في معظم الاوقات بوزير واحد .

ويعتبر سابور بن اردشير من أعظم وزراء بهاء الدولة ، اذ كان ميالا للعلم والعلماء فابتنى سنة ٣٨٣هـ ، بالكرخ دارا سماها (دار العلم) ، ووقفها على العلماء ونقل اليها كتبا كثيرة(٢) . وكانت تقدر بأكثر من عشرة آلاف مجلد ، وقد احرقها السلطان السلجوقي طغرلبك سنة ٤٥٠هـ(٣) .

وفي سنة ٣٨٣هـ ، شغب الجند على بهاء الدولة ، وطالبوه بالاموال ، فنهبوا دار الوزير ابي نصر سابور ، فاستتر عن الانظار ، واستعفى ابن صالحان من الانفراد بالوزارة ، فاعفي منها ، ثم استوزر ابا القاسم علي بن أحمد فصادر الكتاب ، والمتصرفين ، واخذ منهم ستة ملايين دينار ، فسعى به ثم هرب ، وعاد سابور الى الوزارة بعد ان صالح الديلم(٤) . فكتب اليه

---

(١) ابن الاثير الكامل ج ٩ ص ٣٢ ، ابن الجوزي ج ٧ ص ١٦٩ ، ابو شجاع ج ٣ ص ١٨٨ ، ص ٢٠١ ، ص ٢٤٥ .

(٢) الذهبي العبر ج ٣ ص ٢٢ ، ابن خلكان ج ١ ص ١٩٩ ، ابن العماد ج ٣ ص ١٠٤ ، ابن تغرى بردى ج ٤ ص ١٦٤ .

(٣) ابن الجوزي المنتظم ج ٨ ص ٢٢ .

(٤) ابن الاثير الكامل ج ٩ ص ٣٥ ، ابن خلدون العبر ج ٣ ص ٩٠٩ ، ابو شجاع ذيل تجارب الامم ج ٣ ص ٢٥١ .

أبو اسحاق الصابيء[1] :ـ

قـد كنت طلقت الوزارة بعد مـا ... زلت بهـا قـدم وساء صنيعهـا
فغـدت بغـيرك تستحل ضـرورة ... كيما يحـل الى شراك رجوعهـا
فالآن قـد عـادت وآلت حلفـة ... ان لا يبيت سـؤال مخيبهـا

وروى الثعالبي في اليتيمة قصيدة قالها اللامي فيه[2] :ـ

اليوم طبق افق الدولة النور ... واوضحت فلق الملك التباشير
فكل عين اليك اليوم طامحة ... وكل قلب بمـا خولت مسرور
اقبلت في خلع السلطان زينها ... ذيل على انجم الجوزاء مجرور

وفي سنة ٣٨٥هـ ، استوزر بهاء الدولة ، أحمد بن ابراهيم الضبي الملقب بـ (الكافي) وكان من ابرز الوزراء[3] . ولكنه عزله بعد فترة ، واستوزر أبا نصر الفاضل ، ولكن قبض عليه أيضا سنة ٣٨٦هـ ، وصادر ماله ، ثم استوزر سابور بن اردشير فتولى الوزارة نحو شهرين ، وفرق الاموال بين الجند والقادة ، وقد قصد بذلك استمالتهم ليبرز على بهاء الدولة ، وما لبث ان هرب الى البطيحة ، وظل منصب الوزارة شاغرا ، حتى استوزر بهاء الدولة ابا العباس بن سرجس[4] . بعد ان بذل الوزير لبهاء الدولة عشرة آلاف دينار[5] . ولكنه لم يلبث ان عزل ، وولى بدله ابا غالب محمد بن علي بن خلف الوزارة ، ولكنه في أواخر المحرم من

---

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٢٠٠ .
(٢) الثعالبي يتيمة الدهر ج ٢ ص ٢٩١ .
(٣) ابن كثير البداية والنهاية ج ١١ ص ٣١٤ .
(٤) ابن الاثير الكامل ج ٩ ص ٤٤ ، ابن خلدون العبر ج ٣ ص ٩١٥ .
(٥) ابو شجاع ذيل تجارب الامم ج ٣ ص ٢٥٨ .

سنة ٣٩٣هـ ، خلعه ، وصادر أمواله[١] .

ويقول فيه ابن خلكان : (وكان أبو غالب فخرالدولة من أعظم وزراء آل بويه بعد أبي الفضل بن العميد والصاحب بن عباد)[٢] . وقال هلال الصابىء في كتابه الوزراء : (لم يكن في وزراء الدولة البويهية من جمع بين الكتابة والكفاءة ، وكبر الهمة ، والمروءة ، والمعرفة بكل امر مثله)[٣] .

ومن وزراء بهاء الدولة المشهورين ، الحسن بن محمد بن اسماعيل ابو علي الاسكافي الملقب (بالموفق) وقد استوزره بهاء الدولة ، وفوض اليه اموره ، فقام بتدبير مملكته ، وكان شجاعا مقداما ، وارتفع امره حتى قال رجل لبهاء الدولة : يا مولانا زينك الله في عين الموفق . ولا زال الناس به حتى قبض عليه بهاء الدولة وخنقه سنة ٣٩٥هـ[٤] ، واستوزر بهاء الدولة ، الحسن بن ابي جعفر استاذ هرمز سنة ٣٩٥هـ ، وكان أبوه من حجاب عضد الدولة ، وتولى الوزارة ، والامور مضطربة ، فاعاد الهدوء ، واخاف العيارين ، واستقامت به الامور ، واستطاع اضعاف النزعات المذهبية ، وكان عادلا منصفا[٥] .

ولما ملك سلطان الدولة ، استوزر فخرالملك ابا غالب محمد بن علي ابن خلف وزير بهاء الدولة ، وكان من اعظم وزراء آل بويه ، بعد بن العميد ، والصاحب ابن عباد ، وكان رجلا فاضلا كريما ، قصده جماعة

---

(١) ابن الجوزي ج ٧ ص ٢٢٢ ، ابن كثير ج ١١ ص ٣٣٢ ، تاريخ الصابىء ج ٨ ص ٤١٧ ، ص ٤٥٨ ـ ٤٥٩ .

(٢) ابن خلكان ج ٢ ص ٦٥ ، اليافعي ج ٣ ص ٢٠ .

(٣) الصابىء حاشية (٢) من تاريخه ج ٨ ص ٤٥٩ ، ابن العماد ج ٣ ص ١٨٥ ، الصابىء أقسام ضائعة ص ٥٩ .

(٤) ابن تغرى بردى ج ٤ ص ٢١١ ، ابن كثير ج ١١ ص ٣٣٤ .

(٥) ابن كثير البداية والنهاية ج ١١ ص ٣٣٤ .

من الشعراء لمدحه ، منهم مهيار الديلمي ، وأبو نصر ابن نباته السعدي ، وله فيه قصائد من جملتها[1] :ـ

لكل فتى قرين حين يسمو ... وفخر الملك ليس له قرين
انح بجنابه واحك عليه ... بما املته وانا الضمين

ثم نقم سلطان الدولة عليه فحبسه ، ثم قتله في الاهواز سنة ٤٠٦هـ ، وصادر امواله واموال ولده واصحابه[2] .

واستوزر سلطان الدولة الحسن بن سهلان ، ولكنه م لبث ان غضب عليه ، فقبض عليه وصادر أمواله وسمل عينيه وسجنه حتى مات سنة ٤١٤هـ[3] . ثم ولى سلطان الدولة بدله ، ابا القاسم جعفر بن ابي الفرج بن فسانجس ، ولكنه قبض عليه وعزله سنة ٤٠٩هـ ، وولى ذا السعادتين ابا غالب الحسن بن منصور[4] . ولقبه (وزير الوزراء نجاح الملوك) وخلع عليه ، وجعله ناظرا في بغداد ، فلما قطعت خطبة سلطان الدولة ، وخطب لشرف الدولة ، خرج ابو غالب مع الديلم الى خوزستان ، فلما وصلوا الاهواز نادا الديلم بشعار سلطان الدولة ، وانقضوا على ابي غالب فقتلوه سنة ٤١٢هـ ، فكانت وزارته ثمانية عشر شهرا وايام . وقال المطرز يرثيه[5] :ـ

ابا غالب من للمعالى اذا دعت ... ومن عنك يسعى سعيها ويثيب

---

(١) ابن العماد ج ٣ ص ١٨٥ ـ ١٨٦ ، ابن خلكان ج ٢ ص ٦٥ ، ابن الجوزي ج ٧ ص ٢٨٦ ، الذهبي العبر ج ٢ ص ٩٧ .

(٢) ابن خلكان ج ٢ ص ٦٦ ، ابن الجوزي ج ٧ ص ٢٨٦ ، ابن الاثير الكامل ج ٩ ص ٨٩ .

(٣) ابن الاثير الكامل ج ٩ ص ١٠٩ ، ابن الجوزي ج ٨ ص ١٣ ، ابن الوردي ج ١ ص ٣٣٣ .

(٤) ابن الاثير الكامل ج ٩ ص ١٠٧ .

(٥) ابن الجوزى المنتظم جـ٨ ص٣ .

ومن للمذاكي يصطلين بغــارة بها السيف عار والسنان خضيب
فتى يستجير الملك ان صرخت بحوا دث او حنت عليــه خطـوب
ومن يكشف الغماء عنه بعزمـه لهــا في قلوب النائبات وجيب

وفي سنة ٤١٢هـ ، استوزر مشرف الدولة ، ابا الحسين بن الحسن الرخجي ولقبه (مؤيد الملك) وكان وزيرا صالحا ، وكان مشرف الدولة قد عرض عليه الوزارة فرفض توليها ، فلما قتل ابو غالب ، الزمه مشرف الدولة بها ، فنزل على رأيه[١] . ولكنه في سنة ٤١٤هـ ، قبض مشرف الدولة على هـذا الوزير بعد عـام واحد من توليه الوزارة ، لسعاية الاثير الخادم ، واستوزر مكانه ابا القاسم الحسين بن علي بن الحسين المغربي[٢] . وكان كاتبا عالما يقول الشعر . وفي سنة ٤١٦هـ ، مات مشـرف الدولة ، ونهبت خزائنـه ، وخلفـه جلال الدولة فخلع عـلى وزيره ابي سعيد بن ماكولا[٣] . ولقبه (علم الدين سعد الدولة امين الملة شرف الملك)[٤] . وفي عهده ظهرت الالقاب الفخمة حتى انهم لم يدعوا شيئا الا واضافوا اليه الدين .

وفي سنة ٤١٧هـ ، اعتقل جلال الدولة وزيره ابا سعيد بن ماكولا ، واستوزر ابن عمه ابا علي بن ماكولا[٥] . ولقبه جلال الدولة (يمين الدولة وزير الوزراء)[٦] . وشغب الاتراك عليه سنة ٤١٩ هـ ، وحاصروا داره ،

---

(١) ابن الاثير الكامل جـ٩ ص١١٣ ، ابن الجوزي جـ٨ ص٢ ، ابن خلدون العبر ج ٣ ص ٩٢٢ ، ابن الوردي ج ١ ص ٣٣٦ .
(٢) ابن الاثير الكامل ج٩ ص١١٤ ، ابن خلدون العبر ج٣ ص٩٢٢ ، ابن الجوزي جـ٨ ص١٣ .
(٣) ياقوت معجم الادباء جـ١٥ ص١٠٣، الذهبي العبر جـ٣ ص١٢١.
(٤) ابن الجوزى جـ٨ ص٢١ ، ابو المحاسن جـ٤ ص٢٦٢ .
(٥) ابن الجوزى جـ٨ ص٢٥ .
(٦) ابن تغرى بردى جـ٤ ص٢٦٤ .

وطلبوا منه ارزاقهم ، ونهبوا دوره ودور الكتاب والحشية ، فعزله جلال الدولة وولى بدله ابا طاهر الحسين بن طاهر ، ثم عزله بعد اربعين يوما وولى بعده ابا سعد بن عبدالرحيم ولقبه (عميد الدولة)[1] .

وثارت فتنة ببغداد بين العامـــة والجند سنة ٤٢٢هـ ، وعظم الامر ، وظهر العيارون فعزل جلال الدولة وزيره عميد الدولة ، واستوزر بعده ابا الفتح محمد بن الفضل بن اردشير ، فبقى اياما ولم يستقم امره فعزل ، ووزر بعده ابو اسحق ابراهيم بن ابي الحسين . فبقي في الوزارة خمسة وخمسين يوما ثم هرب[2] . واستوزر جلال الدولة ابا القاسم بن ماكولا سنة ٤٢٥هـ وفارق الوزارة الى عكبرا . واستوزر عميد الدولة ابا سـعد عبدالرحيم وهي الوزارة الخامسة ، ورد جلال الدولة أبا القاسم بن ماكولا الى الوزارة وعزل ابا سعد بن عبدالرحيم ، وكثرت مطالبات الجند فهرب ، وقبض عليه وحمل الى دار المملكة ، مكشوف الرأس في قميص خفيف ، وكانت وزارته شهرين وثمانية ايام ، واعاد جلال الدولة ابا سعد عبدالرحيم الى الوزارة ، ثم قبض عليه سنة ٤٢٧هـ[3] .

ثم توفي جلال الدولة سنة ٤٣٥هـ ، ودخل أبو كاليجار بغداد سنة ٤٣٦هـ ، وصرف أبا سعد بن عبدالرحيم عن الوزارة[4] . واستوزر ذا السعادات ابي الفرج محمد بن جعفر بن العباس بن فسانجس . وفي سنة ٤٣٩هـ ، قبض ابو كاليجار على وزيره ابن فسانجس وسجنه وبقى مسجونا

---

(١) ابن الجوزي جـ٨ ص٩١ ، ابن الاثير الكامل جـ٩ ص١٢٨ ، ابن خلدون العبر جـ٣ ص٩٣٠ ، ابن كثير جـ١٢ ص٥٦ .

(٢) ابن الاثير الكامل جـ٩ ص١٤٤، ابن خلدون العبر جـ٣ ص٩٣٠ .

(٣) ابن الاثير الكامل جـ٩ ص١٤٦ ـ ١٥٣ ، ابن خلدون العبر جـ٣ ص٩٣٠ ـ ٩٣٢ .

(٤) ابن الجوزي جـ٨ ص١١٩ .

الى ان مـات[1] • واستوزر ابو كاليجار بعده كمال الملك ابا المعالي بن عبدالرحيم[2] •

توفي ابو كاليجار سنة ٤٤٠هـ ، وتولى الامارة بعده (الملك الرحيم) ابو نصر فيروز ، وشـغب الجند علـى وزير الملك الرحيم سنة ٤٤٦هـ ، وطالبوه بارزاقهم فاختفى • وقدم البساسيري وبحث عن الوزير فلم يجده ، ثم ظهر الوزير ، وانصف الجند في ارزاقهم ، فتمادوا في فتنتهم وعم البلاد الخراب وتفرق اهلها وانحل امر الملك •

وفي سنة ٤٤٧هـ ، وصل السلطان طغرلبك بغداد[3] ، وانتهى بذلك الحكم البويهي في العراق •

وهكذا كانت الفترة الاخيرة من العصر البويهي من العهود المظلمة في تاريخ الوزارة حيث كان الوزير لا يتصف بالكفاءة الادارية والكتابية ، الى جانب تعرضهم الى اهانات واضطهاد سلاطين آل بويه والجند ، كما ان امراء آل بويه لم يستطيعوا ان يجدوا شـخصيات تتميز بالكفاءة لادارة شؤون الدولة ، فاسرفوا في تولية الوزراء وعزلهم ، في فترات قصيرة من حكمهم ، حتى انه لم تتجاوز فترة وزارتهم اياما قليلة • كما انه ظهرت بعض العائلات توارثت منصب الوزارة كآل ماكولا وابناء عبدالرحيم حيث وزر ابو سعد بن عبدالرحيم ست مرات •

ويجدر بنا الاشارة الى هؤلاء الوزراء الذين تولوا المناصب الوزارية لسلاطين آل بويه في الدولة العباسية خارج بلاد العراق ، ومن اشهرهم أبو

---

(١) ابن الاثير جـ٩ ص١٨٧ ، ابن الجوزي جـ٨ ص١١٩ ص١٣٢ •

(٢) ابن الاثير جـ٩ ص١٨٧ ، ابن الجوزي جـ٨ ص١٦٠ •

(٣) ابن الاثير ج ٩ ص ٢٠٧ ص ٢١١ ، ابن خلدون العبر ج ٣ ص ٩٤٧ ـ ٩٤٨ •

الفضل محمد بن الحسين بن محمد الكاتب المعروف بابن العميد ، والعميد هو لقب والده ، وقد لقبوه به على عادة اهل خراسان ، باعتباره من القاب التعظيم ، ووصفه الثعالبي[1] بانه (عين الشرق ولسان الجبل) ، وعماد ملك آل بويه وصدر وزرائهم ، واوحد العصر في الكتابة ، وجميع ادوات الرياسة والآت الوزارة ، يدعى (الجاحظ الثاني) والاستاذ الرئيس ، يضرب به المثل في البلاغة والفصاحة ، مع حسن الترسل ، وجزالة الالفاظ ، وكان يقال فيه : بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد ، وكان متبحرا في علوم الفلسفة والتنجيم والادب ، وقصده جماعة من مشاهير الشعراء ومدحوه ومنهم ابو الطيب المتنبي .

وزر ابو الفضل بن العميد لركن الدولة الحسن بن بويه صاحب الري سنة ٣٢٨هـ ، عقب موت وزيره ابي علي القمي . واشتهر برسائله وخاصة الرسالة التي وصف بها اضطراب امر فارس ، وذكر فيها الحلول الناجعة حتى تعود الامور الى احسن حال[2] .

وكان ابن العميد يقود الجيوش ، ويشهد المعارك ، فنال احترام الجند والرعية ، ويذكر مسكويه (انه كان يكفي ابن العميد ان يرفع الطرف الى احدهم عن طريق الانكار ، فترتعد الفرائص وتضطرب الاعضاء ، وقد استطاع ان يعرف طبائع الديلم وما فيهم من حسد وجشع)[3] .

اكتشف ركن الدولة خيانة ابن العميد له ، فقال ابن كامه في ذلك

---

(١) الثعالبي يتيمة الدهر جـ٣ ص٢ ـ ٣ ، الصابيء اقسام ضائعة ص٤٧ ، ابن خلكان جـ٢ ص٥٧ ، ابن العماد جـ٣ ص٣١ ، اليافعي جـ٢ ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤ .

(٢) آدم متز الحضارة الاسلامية جـ١ ص١٧٥ .

(٣) مسكويه تجارب الامم جـ٢ ص٢٨١ .

(وقد حرك خراسان علينا ، وكاتب صاحب جرجان ، والقى الى اخينا بهمدان - يعني فخر الدولة - اخبارا ، وهو عين ها هنا لبختيار ، وقد اعتقد انه يعمل في تخليص هذه البلاد له ، ويكون وزيرا بالعراق ، وقد ذاق بغداد مالا يخرج من ضرسه الا بنزع نفسه وذلك سنة ٣٥٩هـ[١] .

ولما مات ابن العميد ولى ركن الدولة بدله ابنه ابا الفتح عليا ولقبه (ذا الكفايتين)[٢] . وكان جليلا نبيلا ذكيا سخيا ، جالس ادباء عصره وجمع بين السيف والقلم ، وظل مستوليا منصبه حتى توفي ركن الدولة[٣]. وخلفه مؤيد الدولة نائبا عن اخيه عضد الدولة ، فلما اقبل من اصبهان الى الرى ومعه الصاحب ابو القاسم ، خلع على ابي الفتح خلع الوزارة ، وعهد اليه بمقاليد المملكة ، وكان الصاحب يتولى الكتابة لمؤيد الدولة ، شديد الحظوة لديه ، فشعر ابو الفتح بالغيرة ، فحرض الجند على ان يشغبوا عليه، فأمره مؤيد الدولة بمغادرة اصبهان ، واتفق الاخوين على اعتقاله ، ومصادرة ماله ، فطالبه عضد الدولة بالاموال وعذبه ومثل به ، ويقال انه سمل احدى عينيه وقطع انفه وجز لحيته سنة ٣٦٦هـ[٤] .

فقال ابو الفتح بن العميد[٥] :

---

(١) أبو حيان التوحيدي مثالب الوزيرين ص ٣٥٨ .

(٢) مسكويه جـ٢ ص٣٥٤ ، الصابىء اقسام ضائعة ص٥٠ ، ياقوت ارشاد الاريب جـ٥ ص٣٤٧ .

(٣)الثعالبي يتيمة الدهر جـ٣ ص٢٩ - ٣٠ ، الصفدى نكت الهميان ص٢١٥ ، اليافعي جـ٢ ص٣٧٤ .

(٤) الثعالبي ج ٣ ص ٣٠ ، ابن الاثير ج ٨ ص ٢٢٤ ، الصفدي نكت الهميان ص ٢١٦ ، الصابىء أقسام ضائعة ص ٥٠ ، ياقوت ارشاد الاريب جـ٥ ص٣٤٩ .

(٥) الثعالبي جـ٣ ص٣١ ، ابن خلكان جـ٢ ص١٠ .

دخل الدنيـــا اناس مثلنا   رحلوا عنهـا وخلوها لنا
فنزلناها كما قـــد نزلوا   ونخليهـــا لقوم بعدنـا

وانتهى الامر بقتله ، وقال فيه بعض اصحابه[1] :ـ

آل العميد وآل برمك ما لكم   قل المعين لـكم وذل الناصر
كان الزمان يحبكم فبدا لـــه   ان الزمان هو المحب الغادر

وممن تقلد الوزارة لبني بويه ، الصاحب اسماعيل بن عباد[2] • استوزره مؤيد الدولة ، ثم وزر من بعده لاخيه فخر الدولة ، صاحب الري وهمدان واصبهان سنة ٣٧٣هـ ، واستمر في الوزارة حتى توفي سنة ٣٨٥هـ[3] ، وهو اول وزير لقب (بالصاحب) لانه كان يصحب ابا الفضل بن العميد ، حيث كان تلميذه ، وصاحبه ، فقيل له صاحب ابن العميد ، ثم اطلق عليه هـذا اللقب لما تقلد الوزارة وبقى علما عليه[4] •

وقيل لقب بالصاحب لانه صحب مؤيد الدولة بن ركن الدولة ، وكان شديد الميل اليه والمحبة له ، فسماه الصاحب ، ثم تلقب بهذا اللقب كل من تقلد الوزارة بعده[5] • ويقول ابن الاثير عنه :ـ (كان واحد زمانه علما وفضلا وتدبيرا ، عالما بانواع العلوم ، عارفا بالكتابة ، ورسائله مشـــهورة مدونة ، جمع من الكتب ما لم يجمعه غيره حتى انه كان يحتاج في نقلها الى اربعمائة بعير)[6] • ويقول عنه ياقوت ايضا : (كان خبيرا بالعلوم الالهية

---

(١) نفس المصدر السابق جـ٣ ص٣١ ، نفس المصدر جـ٢ ص٦٠ •
(٢) ياقوت معجم الادباء جـ٦ ص١٦٨ •
(٣) ابو المحاسن جـ٤ ص١٦٩ ـ ١٧٠ ، ابن الوردى جـ١ ص٣١٢ •
(٤) ابن خلكان جـ٢ ص٩٣ ، الذهبي العبر جـ٢ ص٣١٧ ، ابن العماد جـ٣ ص٣١ ، اليافعي جـ٢ ص٤٢١ •
(٥) المقريزى المواعظ والاعتبار جـ٢ ص٢٢٣ •
(٦) ابن الاثير الكامل جـ٩ ص٣٨ •

والعلوم العقلية كالهندسة والطب والتنجيم والموسيقى والمنطق)[1] • ويصفه الثعالبي بانه : (كان صدر المشرق وتاريخ المجد وغره الزمان وينبوع العدل والاحسان)[2] • ويصفه الثعالبي ايضا : (بانه كان نادرة الدهر واعجوبة العصر في فضائله ومكارمه)[3] • ويقول التوحيدى فيه : (كان يقال لـه ابن الامين لخير كثير كان فيه)[4] •

وله المحيط في اللغة، والكافي في الرسائل ، وكتاب الامامة ، وكتاب الوزراء ، وله النظم الجيد[5] • وعباد ابوه وزر لركن الدولة • وكان من اهل العلم يكرم العلماء ويحسن اليهم ، فكان يبعث في كل سنة الى بغداد بخمسة آلاف دينار لتصرف على اهل العلم[6] • وجمع له رئاسة القلم والسيف حيث فتح خمسون قلعة لمؤيد الدولة ولابنـه فخر الدولة بصرامته وحسن تدبيره[7] •

فكان يلبس القباء في حياته تخففا بالوزارة وانتسابا معها الى الجندية[8] • وقال ابو بكر الخوارزمي عن الصاحب (نشأ من الوزارة في حجرها ودب ودرج من وكرها ، ورضع افاويق درها وورثها عن آبائه) • وقال أبو سعيد الرستمي[9] :ـ

---

(١) ياقوت ارشاد الاريب جـ٢ ص٢٧٦ ، ص٣١٥ •

(٢) الثعالبي يتيمة الدهر جـ٣ ص٣٢ •

(٣) اليافعي مرآة الجنان جـ٢ ص٤٢١ •

(٤) ابو حيان التوحيدى مثالب الوزيرين ص٥٥ •

(٥) ابن الوردى جـ١ ص٣١٢ •

(٦) ابن كثير البداية والنهاية جـ١١ ص٣١٤ •

(٧) نفس المصدر السابق ص٣١٥ •

(٨) ابن خلكان جـ٤ ص١٧٠ •

(٩) ابن خلكان جـ٢ ص٧٥ ، اليافعي جـ٢ ص٤٢١ ، ابن العماد جـ٣ ص١١٣ ، ابن تغرى بردى جـ٤ ص١٧٠ •

ورث الوزارة كابرا عن كابر   موصولة الاسناد بالاسناد

يروى عن العباس عباد وزا   رته واسماعيل عن عباد

وكان الصاحب يتولى امر الوزارة في فارس ، وتطلع الى تقلد منصب الوزارة ببغداد ، وظل يترقب الفرص لتحقيق غايته ، فلما طمع فخر الدولة البويهي في الاستيلاء على العراق بعد موت شرف الدولة سنة ٣٧٩هـ ، بعث اليه يهون عليه فتح هذه البلاد ، ويشجعه على المسير اليه ، ولما علم بهاء الدولة بنبأ وصوله الى الاهواز ، عزم على القضاء على جيشه قبل ان يصل بغداد ، والتقى الجيشان قرب خوزستان وتم النصر لبهاء الدولة[١] .

وبذلك لم تتحقق رغبة الصاحب في ولاية الوزارة ببغداد[٢] . ولما توفي الصاحب في صفر سنة ٣٨٥هـ ، بالرى اغلقت مدينة الرى حدادا واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون خروج جنازته ، وقدم فخر الدولة ، ومعه الوزراء والقواد ، وشيع فخر الدولة جنازته وقعد في داره للعزاء اياما ورثته الشعراء[٣] .

---

(١) ابن الاثير الكامل جـ٩ ص٢٢ .

(٢) محمد جمال سرور تاريخ الحضارة الاسلامية ص٦٣ .

(٣) ابن تغرى بردى جـ٤ ص١٧٠ .

٣ ـ نظام الوزارة في العصر البويهي

فقد منصب الوزارة اهميته بعد سيطرة بني بويه على الحكم في بغداد وضاعت هيبته ، ولم يعد الوزير معاونا ومشيراً للخليفة ، كما كان من قبل ولم يعد همزة الوصل بين الخليفة وبين رؤساء الدواوين والولاة والشعب بل اصبح في ظل آل بويه كاتبا للامير البويهي ومجردا من جميع الصلاحيات ، واصبح الوزير عرضة لاهانات الامير البويهي .

ومن وزراء العصر البويهي أبو محمد الحسن المهلبي ، وهو من آل المهلب ابن ابي صفرة[١] . وقد ولاه معز الدولة سنة ٣٣٩هـ ، الوزارة ، فاظهر كفاية ومقدرة ادارية عظيمة الا انه ، رغم ذلك ، لم يسلم من اذى معز الدولة[٢] . فصادر امواله وقبض على عياله وولده وحاشيته واصحابه وحبسهم ، فاستعظم الناس ذلك واستقبحوه[٣] . ثم ضربه معز الدولة مائة وخمسين مقرعة ووكل به في داره ، ولكنه لم يعزله من وزارته ، وشاور معز الدولة من حضره ، وقال هل يجوز ان استنيم الى هذا الرجل وقد لحقه مني هذا المكروه العظيم فقال له احد مستشاريه : ان مرداويج قد ضرب وزيره اعظم من هذا الضرب حتى كان لا يطيق المشي ولا يقدر على الجلوس لما حل به . ثم خلع عليه ورده الى امره[٤] .

واشتدت المساومة على الوزارة وبذلت الاموال للحصول عليها ، وذلك منذ عهد معز الدولة ، فقد بذل أبو علي الحسن بن محمد الطبري أموالا

---

(١) الثعالبي يتيمة الدهر جـ٢ ص٨ .

(٢) آدم متز الحضارة الاسلامية جـ١ ص١٧٠ .

(٣) ابن الاثير الكامل جـ٨ ص١٨٠ ، مسكويه جـ٢ ص١٩٦ ـ ١٩٨ .

(٤) نقلا عن حاشية (٥) تاريخ الحضارة آدم متز ص١٧٠ ، مسكويه جـ٦ ص١٩٠ ، ابن الاثير الكامل جـ٨ ص٣٧٥ .

عظيمة للحصول على الوزارة ، فقدم دفعة اولى الى معز الدولة ثلاثمائة الف دينار فاخذها معز الدولة ولم يستوزره وقلد المهلبي[١] .

ولما تولى بختيار السلطنة ، كانت البلاد تسودها فوضى وضائقة مالية ، فسعى شيرزاد لابي الفضل العباس بن الحسن الشيرازى ليتولى الوزارة وتعهد بتوفير الاموال وارضاء الجند ، ولكن روح المنافسة على منصب الوزارة ظهرت باجلى صورها عندما تقدم ابو الفرج محمد بن العباس بطلب الوزارة لنفسه ، فانقسمت الحاشية الى حزبين تؤيد كلا المتنافسين ، واخيرا نجح ابو الفضل العباس الشيرازي بمعاونة شيرزاد في تولي الوزارة[٢] .

واستمرت السعايات والمساومات على الوزارة من قبل ابي الفرج الذي سعى بابي الفضل عند بختيار ، وزعم ان الاموال التي استخرجها ابي الفضل انما كانت من مصادرات الناس ، ولما ضعف امر الشيرازي عند بختيار خاطب أبو الفرج سبكتكين الحاجب وابي قره ، بالسعي له بالوزارة وضمن لبختيار تسعة ملايين درهم ، فقبض عليه بختيار وصادره ، واستخرج ابي الفرج منه ، وصادر اهله وحرمه[٣] . واعيد ابي الفضل العباس الى الوزارة ثانية سنة ٣٦٠هـ ، واخذ يعمل على ارضاء الجند والحاشية ، فاضطر الى مصادرة الرعية والتجار[٤] . وبقي في الوزارة حتى ضعف امره ، فقلد بختيار ابا طاهر محمد بن بقية الوزارة ، فقبض على ابي الفضل واخيه ، وطالبهما بالاموال ثم نفاهما الى سامراء[٥] .

---

(١) ياقوت ارشاد الاريب جـ٣ ص١٨١ ، الهمداني ص١٩٨ .

(٢) مسكويه جـ٢ ص٢٣٧ ، الهمداني ص٢٤١ .

(٣) مسكويه جـ٢ ص٢٦٣ ، الهمداني ص٢٥٣ .

(٤) مسكويه تجارب الامم جـ٢ ص٣٠٨ .

(٥) نفس المصدر السابق ص٢٨٧ .

ومن العوامل التي ادت الى ضعف الوزارة وسقوط هيبتها ، تولى اكثر من وزير واحد ، فاتخذ عضد الدولة سنة ٣٦٩هـ ، وزيرين احدهما كان نصرانيا . فيقول ابن الاثير : (ولم يكن الوزيران على وفاق بل كان كل واحد منهما يدبر المكائد لصاحبه)(١) . وكثيرا ما كان يحدث الخلاف بين الوزيرين(٢) . ويرى الدكتور الدوري ان التبدلات الوزارية ناجمة عن الصعوبات الكبيرة لسد النفقات ، واشتداد الضائقة المالية(٣) .

ولما تولى محمد بن بقية الوزارة لم يصلح مالية الدولة ، فقد كان اشد ظلما واكثر تطرفا في المصادرات ، فسقطت الهيبة ، وانبسطت العامة ، واغار بعضها على بعض ، فانقطعت موارد الاموال . ويصف مسكويه الوضع فيقول : (الرعية هالكون والدور خراب والاقوات معدومة والجند متهارجون)(٤) . وكان ابن بقية يعمل في مطبخ معز الدولة ، ولذا استخف الناس به ولم يحترموه(٥) . ثم قبض بختيار عليه سنة ٣٦١هـ ، بمدينة واسط لعجزه عن توفير الاموال ، ولارتكابه المظالم ، واثارته الفتن فسمل عينيه سنة ٣٦٧هـ ، فلزم بيته(٦) . ولما ملك عضد الدولة قبض عليه ورماه بين ارجل الفيلة فمات ثم صلبه ، ولم يزل مصلوبا حتى وفاة عضد

---

(١) ابن الاثير الكامل جـ٩ ص٣٢ .

(٢) ادم متز الحضارة الاسلامية جـ١ ص١٥٤ .

(٣) الدورى العصور العباسية المتاخرة ص٢٥٠ .

(٤) مسكويه تجارب الامم جـ٢ ص٣١٤ .

(٥) ابن خلكان جـ٢ ص٦٣ ، ابن الجوزى جـ٧ ص٦١ ، ابن العماد جـ٣ ص٦٣ .

(٦) الصفدى نكت الهميان ص٢٧١ ، ابن خلكان جـ٢ ص٦٣ ، مسكويه جـ٢ ص٣٧٧ .

الدولة[1] . وكان تدخل النساء والخدم في اختيار الوزير عاملا اخر من عوامل ضعف الوزارة ، فاستيزار ابا الحسن علي بن عمرو في عهد بختيار كان بتأثير والدته واخيه ابي اسحق وحاجبه ابراهيم بن اسماعيل فتسمى بالوزارة[2] .

وكان استخدام اساليب العنف والشدة مع الوزراء من قتل وتعذيب ومصادرة من مظاهر ضعف هيبة الوزير ، كما انها ادت ايضا الى بذل المساعي المختلفة والاساليب العديدة لارضاء الامير البويهي حتى ان شدة الخوف والرهبة دفعت الوزير المطهر بن عبدالله وزير عضد الدولة الى قتل نفسه خوفا من نقمة عضد الدولة عليه لعدم تمكنه من تنفيذ اوامر الامير فقطع شرايين ذراعيه فنزف دمه ومات[3] .

ولما غضب عضد الدولة على وزيره ابي الريان حمد بن محمد قبض عليه وعلى اصحابه وخفى ذكره[4] . حتى كانت سنة ٣٧٦هـ ، حينما ملك شرف الدولة بغداد سأل عنه فوجده ميتا[5] .

ورغم ضعف الوزارة وسقوط هيبة الوزير ، الا انه اشتدت المنافسة حول هذا المنصب ، ففي عهد صمصام الدولة استوزر سنة ٣٧٣هـ ، ابا عبدالله الحسين بن احمد بن سعدان ، واستمرت وزارته حتى سنة ٣٧٥ ، حيث ظهر منافس له هو ابو القاسم عبدالعزيز بن يوسف ، فاخذ يكيد له ، حتى

---

(١) اليافعي جـ٢ ص٣٩٢ ، ابن العماد جـ٣ ص٦٣ ، الصابىء اقسام ضائعة ص٦٧ .

(٢) مسكويه جـ٢ ص٣٧٩ .

(٣) نفس المصدر السابق جـ٢ ص٤٠٩ – ٤١٢ .

(٤) أبو شجاع ذيل تجارب الامم ج ٣ ص ١١٩ .

(٥) نفس المصدر السابق ج ٣ ص ١٣٤ .

قبض عليه صمصام الدولة وسجنه هو واصحابه ، وتولى ابو القاسم الوزارة ، ولم يكتف بما حل بخصمه في هذا المنصب ، بل انتهز فرصة قيام ثائر على صمصام الدولة فاتهم ابن سعدان بالاتصال بهذا الثائر ، فأمر صمصام الدولة بقتله سنة ٣٧٥هـ[١] . وفي نفس السنة اشترك في الوزارة ابو القاسم وابو الحسن بن محمد بن برموية تنفيذا لامر والده صمصام الدولة ، وفي ذلك يقول ابو شجاع (والدولة اذا كفلها النساء فسدت احوالها ، ووهنت اسبابها ، وبدأ اختلالها ، وولى اقبالها)[٢] .

ولما ملك بهاء الدولة العراق اسرف في تعيين الوزراء وعزلهم ، ولعل ذلك يعود الى اضطراب الامور ، وعدم توفر الاموال ، وشغب الجند واعتدائهم على الوزراء كلما تأخرت ارزاقهم ، او حينما طالبوا بزيادتها . ففي سنة ٣٣٨هـ ، شغب الجند ونهبوا دار الوزير ابي نصر سابور بن اردشير فاضطر الى الاختفاء، ثم اعيد سابور ثانية الىالوزارة بعد ان صالح الديلم[٣]. ثم هرب سابور الى البطيحة لشغب الجند مرة ثانية ، فسعى ابو العباس بن سرجس لتولي الوزارة ، وبذل لبهاء الدولة عشرة آلاف دينار[٤] . ولكنه لم يلبث ان عزل وتولى الوزارة ابو غالب محمد بن علي بن خلف ، ولكنه خلع منها سنة ٣٩٣ هـ ، فصادر بهاء الدولة امواله[٥] .

---

(١) ابو شجاع جـ٣ ص١٠٢ ، الصابىء اقسام ضائعة ص٨٤ .

(٢) ابو شجاع جـ٣ ص١٠٤ .

(٣) ابن الاثير جـ٩ ص٣٥ ، ابو شجاع جـ٣ ص٢٥١ ، ابن خلدون جـ٣ ص٩٠٩ .

(٤) ابن الاثير جـ٩ ص٤٤ ، ابو شجاع جـ٣ ص٢٥٨ ، ابن خلدون جـ٣ ص٩١٥ .

(٥) ابن الجوزى جـ٧ ص٢٢٢ ، تاريخ الصابىء جـ٨ ص٤٥٩ ، ابن كثير جـ١١ ص٣٣٢ .

وذكر الصابىء في كتابه الوزراء : (لم يكن في وزراء الدولة البويهية من جمع بين الكتابة والكفاءة وكبر الهمـة والمرؤة والمعـرفة بكل امر مثله)[1] .

وقد تفنن بنو بويه في اسـاليب الاذى والتعذيب لوزرائهم ، فلما استوزر بهاء الدولة الحسن بن محمد بن اسماعيل الاسكافي ، وفوض اليه الامور وسعى الناس به حتى قبض عليه سنة ٣٩٥ ، وخنقه[2] .

وفي امارة سلطان الدولة استوزر فخر الملك ابو غـالب بن خلف ، وكان من اعظم وزراء آل بويه بعد ابن العميد والصاحب بن عباد ، ولم يلبث سلطان الدولة ان نقم عليه ، فقبض عليه وحبسه ثم قتله في الاهواز سـنة ٤٠٦هـ[3] . ثم استوزر سلطان الدولة الحسن بن سهلان الذي اضطربت الامور في عهده ، وخاف الوزير عاقبة ذلك فهرب الى هيت ، ولكن قبض عليه وصودرت امواله وسملت عينيه وحبس حتى مات سنة ٤١٤هـ[4] .

وقد لعب حاشية الامير البويهي دورا خطيرا في عزل وتعيين الوزراء ، ففي عهد مشرف الدولة ، كان قد استوزر أبا الحسين بن الحسن الرخجي ولقبه (مؤيد الملك) وكان وزيرا مصلحا ، وبعد عام كاد له الاثير الخادم فقبض مشرف الدولة عليه سنة ٤١٤هـ ، وحبسه وصادر امواله[5] . ثم

---

(١) تاريخ الصابىء ج ٨ ص ٤٥٩ ، ابن العماد ج ٣ ص ١٨٥ .

(٢) ابن كثير ج ١١ ص ٣٣٤ ، ابن تغري بردى ج٤ ص ٢١١ .

(٣) ابن خلكان جـ٢ ص٦٥ ، ابن الجوزى جـ٧ ص٢٨٦ ، اليافعي جـ٣ ص٢١ .

(٤) ابن الاثير الكامل جـ٩ ص١٠٩ ، ابن الجوزى جـ٨ ص١٣ ، ابن الوردى جـ١ ص٣٣٣ ، ابن كثير جـ١٢ ص١٦ .

(٥) ابن الاثير جـ٩ ص١١٤ ، ابن خلدون جـ٣ ص٩٢٢، ابن الجوزى جـ٨ ص١٣ .

استوزر ابا سعيد بن ماكولا ، ولقبه (علم الدين سعد الدولة امين الملة شرف الملك) فكان اول من لقب بالالقاب الكثيرة[١] .

وعلى الرغم من تمتع الوزير بالالقاب الفخمة منذ مطلع القرن الخامس الهجرى الا ان منصب الوزارة ومركز الوزير بقى ضعيفا ومعرضا للاهانة والمصادرة والسجن وقد اشار الصابيء الى ذلك بقوله (لا جرم ان الرتب قد نزلت لما تساوت وسقطت لما توازت ، ولم يبق لها طلاوة يشار اليها ولا حلاوة يحافظ عليها حتى لقد بلغني عن الخليفة القائم بامر الله انه قال : (لم تبق رتبة المستحق)[٢] . ومن امثلة ذلك ما حدث في سنة ٤١٩هـ ، حين استوزر جلال الدولة ابا علي بن ماكولا فشغب الجند الاتراك عليه ، وحاصروا داره ، وكان جلال الدولة ، قد لقبه يمين الدولة وزير الوزراء[٣] . وطالبه الجند بارزاقهم ونهبوا دوره ودور الكتاب[٤] . ويعتبر عهد جلال الدولة فترة اضطراب ، وكثرت فيها مطالبات الجند بالمال ، وانتهى الامر سنة ٤٢٧هـ ، بالقبض على ابي القاسم بن ماكولا وحمله الى دار الملك حاسرا عاريا الا من قميص[٥] .

واشتد خطر الجند وتدخلوا في عزل الوزراء وتجدد شغبهم سنة ٤٢٨هـ مما اضطر جلال الدولة الى القبض على ابن ماكولا ، وتعيين ابو المعالي ابن عبدالرحيم وزيرا[٦] .

---

(١) ابن الجوزى جـ٨ ص٢١ ، ابن كثير جـ١٢ ص١٨ .

(٢) الصابيء الوزراء ص١٥١ .

(٣) ابن تغرى بردى جـ٤ ص٢٦٤ .

(٤) ابن الاثير الكامل جـ٩ ص١٢٨ ، ابن الجوزى جـ٨ ص٣٥ ، ص٩١ .

(٥) ابن خلدون العبر جـ٣ ص٩٣٢ .

(٦) ابن الجوزى جـ٨ ص٩١ .

وفي بلاد فارس وبعد وفاة الصاحب بن عباد ، اصبح منصب الوزارة عرضة للمساومة والمنافسة ، فقد كتب ابو علي الحسن بن احمد ، وكان بجرجان (ويقود الجيوش) الى الامير فخر الدولة يلتمس تولي الوزارة مقابل ادائه ثمانية ملايين درهم ، ولما بلغ الوزير احمد بن ابراهيم الضبي ذلك ، بذل لفخر الدولة ستة ملايين درهم ليحتفظ بمنصبه ، فاشرك الامير البويهي الاثنين في الوزارة ، ونزل لكل منهما عن مليوني درهم من جملة المبلغ الذي تعهدوا بدفعه ثمنا لتقلدهما منصب الوزارة[1] .

كما ان اشتداد الفتن بين العامة والجند ، وتعاظم خطر العيارون ، وقلة الاموال ، وعجز الوزراء عن توفيرها ، والتنافس والمساومة على الوزارة ، ادت الى اسراف امراء آل بويه في تعين الوزراء وعزلهم ، كمحاولة لاصلاح الاوضاع في البلاد ، الا ان هؤلاء عجزوا عن الاصلاح ، والقضاء على الفتن وعن ترضية الجند ، فظلت البلاد تغلو كالمرجل ، واستمر الوضع في الضعف والتدهور ، واشرفت الخزينة على الافلاس ، وعجز امراء البويهيين عن اصلاح الامور ، فخربت البلاد . وانحل امر الملك والسلطنة[2] . مما مهد للاحتلال السلجوقي للعراق سنة ٤٤٧هـ .

---

(١) ياقوت معجم الادباء جـ٢ ص١١٧ ــ ١١٩ .

(٢) ابن الجوزى جـ٨ ص١٥٩ ــ ١٦٠ ، ابن خلدون العبر جـ٣ ص٩٤٧ ــ ٩٤٨ .

الفصل السادس

نظرية الوزارة في العصر العباسي

١ ـ دراسة الماوردى وأبي يعلى لنظام الوزارة ٠

٢ ـ وزارة التفويض ٠

٣ ـ وزارة التنفيذ ٠

٤ ـ مقارنة بين وزارتي التفويض والتنفيذ ٠

١ ـ دراسة الماوردى وأبي يعلى لنظام الوزارة

تناول (اقضي القضاة)[1] الماوردي ، في كتابه الموسوم (الاحكام السلطانية) النظم السياسية والادارية في العصور الاسلامية من خلافة ووزارة ، ودواوين ، من وجهة النظر الاسلامية ، ويصح القول انه وضع نظرية الخلافة والوزارة ، بما تتفق والشريعة السنية التي تقول : ان الامة تقوم على الشريعة ، وان تطورها التأريخي يسير وفق الشريعة الاسلامية التي تتمثل في القرآن الكريم والحديث الشريف والاجماع ، وان استمرار هذه النظم منوط بقوة اجماع الامة الاسلامية ، في حالة عدم تبيانها أو وضوحها في المصدرين الرئيسين اللذين هما عماد الشريعة الاسلامية (القرآن والسنة) •

ولما كان نظام الوزارة مرتبط بالخلافة ، وان الخلافة كانت تعد اساسا للنظام الاسلامي ، ومظهرا لسيادة الشريعة الاسلامية وسلطانها ، فقد رأى الفقهاء ان يضعوا اسساً شرعية للنظم السياسية والالادارية المختلفة •

بدأ الماوردى في تأليف كتابه (الاحكام السلطانية) في فترة الحكم البويهي وقد اورد في مقدمة كتابه اسباب تأليفه • فقال : (ولما كانت الاحكام السلطانية بولاة الامور احق ، وكان امتزاجها بجميع الاحكام يقطعهم عن تصفحها مع تشاغلهم بالسياسة والتدبير ، افردت كتابا امتثلت فيه امر من لزمت طاعته ، ليعلم مذاهب الفقهاء ، فيما له منها فيستوفيه وما عليه منها فيوفيه ، توخيا للعدل في تنفيذه وقضائه ، وتحريا للنصفة في اخذه وعطائه) •

ولو رجعنا الى ما ذكرناه عن حالة الخلافة العباسية في ظل السيطرة البويهية منذ سنة ٣٣٤هـ ، وما صحب ذلك من تحكم امراء بني بويه في اختيار الخلفاء والتخلص منهم بالاعتداء عليهم بالقتل وسمل العيون ،

---

(١) يعتبر هذا اللقب (اقضى القضاة) اقل درجة من لقب (قاضي القضاة) ياقوت ارشاد الاريب جـ٥ ص٤٠٧ •

وانفصال بعض الولايات عن الدولة العباسية ، وما تبعه من ثورات الجند ، واضطراب حبل الامن في العاصمة وخارجها . لوجدنا مبررا لما اورده الماوردى ، فقد شجعت هذه النظرية التي تناولت الخلافة وحقوقها والوزارة وصلاحيتها والدواوين واختصاصاتها ـ الخليفتين العباسيين القادر بالله سنة ٤٢٢ هـ ، وابنه القائم بالله ـ على ان يأملا في استعادة قوة الخلافة وسلطان الخليفة التي سلبها البويهيون منهم ، واعادة الامتيازات التي كانت للخليفة ومنها اعتماده على الوزير بدلا من الكاتب ، مما فرضه عليه البويهيون ، بينما اتخذ بنو بويه الوزراء لانفسهم دون الخلفاء .

ومما لا شك فيه ان تحقيق هذه النظرية كانت تلبية لرغبة احد الخليفتين في تدوينها ، وقد بنى الماوردى (نظرية الوزارة) على آراء من سبقه من الباحثين، وعلى تطور نظام الوزارة خلال العصور الاسلامية السالفة فنظمها ووسع حدودها لكي يوفق في ذلك بين آرائه المستمدة من الشريعة الاسلامية وواقع الامة الاسلامية .

وبين ايدينا كتاب آخر يحمل نفس الاسم (الاحكام السلطانية) للقاضي ابي يعلى محمد بن الحسين الحنبلي ، وهو يتفق تماما في نظريته عن الخلافة والوزارة مع نظرية الماوردى ، مما يحملنا على الاعتقاد ان هذه النظرية مقتبسة عن الماوردى ، ولو رجعنا الى تأريخهما لوجدنا انهما توفيا في فترة متقاربة حيث توفي الماوردى سنة ٤٥٠هـ ، بينما توفي ابو يعلى سنة ٤٥٨ هـ ، وهذا يؤيد رأينا في ان ابا يعلى اخذ هذه النظرية عن الماوردي نصا وروحا ، ثم اخذها منها الكتاب والفقهاء[1] .

---

(١) ابو حسن محمد السهروردي البغدادى في كتابه (تحرير الاحكام في تدبير اهل الاسلام في السياسة) مخطوط .

ـ محمود الجبلي الاصفهيدى في كتابه (منهاج الوزراء في النصيحة) مخطوط .

ـ ابي سالم الوزير في كتابه (العقد الفريد للملك السعيد) .

ثم نبدأ دراستنا لنظام الوزارة ، كما ورد في الكتابين اللذين أشرنا اليهما ، بدراسة الشروط الواجب توافرها في الوزير ، وواجباته فقد اقترنت الوزارة بالخلافة واصبح الوزير يشارك الخليفة سلطاته • ولما كانت الوزارة غير قادرة كالامامة ان تجمع بيدها امور الدين والدنيا ، لذا اصبح سلطات الوزارة قاصرة على معاونة الخليفة في الاشراف على اموال الدولة وادارة الحكومة[1] •

تحدث الماوردى وابو يعلى عن وزارتي التفويض والتنفيذ •

والحقيقة انه من العسير معرفة اصل العبارتين حيث ان الماوردى وابو يعلى وغيرهم من الكتاب والفقهاء ، لم يدرسوا اصلها والظروف والدوافع التي احاطت بهما • فحيث كلاهما يقول :

ان وزير الدولة لا يخلو ان يكون وزير تفويض او وزير تنفيذ • فان لكل من هذين القسمين حكما يخصه ووضعا يلزمه •

وتقليد الوزارة جائز للخليفة من الوجهة الشرعية ، وذلك استنادا الى قوله تعالى على لسان موسى (واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازرى واشركه في امري)[2] • فاذا جاز ذلك في النبوة كان في الامامة اجوز • لان ما وكل الى الامام من تدبير الامة لا يقدر على مباشرة جميعه الا باستنابة ، ونيابة الوزير المشارك له في التدبير اصح في تنفيذ الامور من تفرده بها ليستظهر به على نفسه ، وبها يكون ابعد من الزلل وامنع من الخلل[3] •

---

(١) Rosenthal : Political Thought in Medievel Islam. P. 47.

(٢) سورة طه آية (٢٩) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم •

(٣) الماوردى ص٢٢ ، ابو يعلى ص١٣ ، السهروردى تحرير الاحكام ورقة ٢٢ ظ •

٢ ـ وزارة التفويض

وزير التفويض هو الذي يستوزره الامام ويفوض اليه تدبير الامور برأيه وامضاءها على اجتهاده .

ويعتبر في تقليد هذه الوزارة شروط الامامة[١] الا (النسب) وحده ، لانه ممضي الآراء ومنفذ الاجتهاد ، فاقتضى ان يكون على صفات المجتهدين ويحتاج فيها الى شرط زائد على شروط الامامة ، وهو ان يكون من اهل الكفاية فيما وكل اليه من امرى الحرب والخراج ، خبرة بهما ومعرفة بتفصيلهما ، فانه مباشر لهما تارة ومستنيب فيهما أخرى ، فلا يصل استنابة الكفاة الا ان يكون منهم ، كما لا يقدر على المباشرة الا اذا قصر عنهم وعلى هذا الشرط مدار الوزارة وبه تنتظم السياسة[٢] .

وصحة تقليد وزير التفويض معتبرة بلفظ الخليفة لانها ولاية تفتقر الى (عقد) والعقود (لا تصح) الا بالقول (الصريح) فان وقع له بالنظر واذن له فيه لم يتم التقليد حتى يعقد له الوزارة بلفظ[٣] . او بالكتابة[٤] .

ويشترط في وزارة التفويض شرطان :ـ

احدهما عموم النظر ، والثاني النيابة . فن اقتصر على عموم النظر دون النيابة لم تنعقد به الوزارة .

وان اقتصر على النيابة لم تنعقد ايضا ، فاذا جمع بينهما انعقدت الوزارة[٥] . والجمع بينهما ان يقول الخليفة (قلدتك ما الي نيابة عني)

---

(١) شروط الامامه :ـ الايمان ، العلم ، العدالة ، الكفاية ، سلامة الحواس والاعضاء ، والنسب .

(٢) الماوردى ص٢٢ ، ابو يعلى ص١٣ .

(٣) الماوردى ص٢٣ .

(٤) ابو يعلى ص١٣ .

(٥) الماوردى ص٢٣ ، ابو يعلى ص١٣ .

فتنعقد به الوزارة لانه جمع له بين عموم النظر والاستنابة . فان قال له (نب عني فيما الي) احتمل ان تنعقد به الوزارة لانه قد جمع له في هـذا اللفظ بين الوجهين (عموم النظر ، والاستنابة) واحتمل ان لا تنعقد بـه الوزارة ، لانه اذن يحتاج الى ان يتقدمه (عقد) ، ولكن لو قال الخليفة له : (قد استنبتك فيما الي) انعقدت به الوزارة ، لانه عدل على مجرد الاذن الى الفاظ العقود . وان قال له الخليفة : (انظر فيما الي) لم تنعقد به الوزارة لاحتماله ان ينظر في تصفحه او في تنفيذه او في القيام به[1] .

والعقد لا يبرم بلفظ محتمل حتى يصله بما ينفي عنده الاحتمـال ، وليس يراعى فيما يباشره الخلفاء ، وملوك الامم من العقود العامة ما يراعي في الخاصة من الشروط المؤكدة لامرين :ـ

احدهما :ـ ان من عادتهم الاكتفاء بيسير القول عن كثيره فصار ذلك فيهم عرفا مخصوصا ، وربما استثقلوا الكلام فاقتصروا على الاشارة غير انه ليس يتعلق بها في الشرع حكم لناطق سليم فكذلك خرجت بالشـرع من عرفهم .

والثاني :ـ انهم لقلة ما يباشرونه من العقود تجعل شواهد الحال في تأهبهم لها موجبا لحمل لفظهم المجمل على الغرض المقصود دون الاحتمال المجرد[2] .

وان قال له : (قد استوزرتك تعويلا على نيابتك) انعقدت به الوزارة ، لانه قد جمع بين (عموم النظر) فيما جعل اليه بقوله (استوزرتك) لان نظر الوزارة عام ، وثبت (النيابة) بقوله (تعويلا على نيابتك) فخرجت عن وزارة التنفيذ الى وزارة التفويض .

---

(١) الماوردي ص٢٣ ، ابو يعلى ص١٣ ، السهروردي ورقة ٢٣ و .

(٢) الماوردي ص٢٤ ، ابو يعلى ص١٤ .

ولو قال الخليفة له : (قد فوضت اليك وزارتي) احتمل ان تنعقد به هذه الوزارة لان ذكر التفويض فيها يخرجها عن وزارة التنفيذ الى وزارة التفويض . ويحتمل ان لا تنعقد لان التفويض من احكام هذه الوزارة ، فافتقر الى (عقد) يتقدمه ما ينفذ به . والاول من الاحتمالين اشبه بالصواب، فعلى هذا لو قال (قد فوضنا اليك الوزارة) صح لان ولاة الامور يكنون عن انفسهم بلفظ الجمع ، ويعظمونها عن اضافة الشيء اليهم فيرسلونه ، فيقوم قوله (قد فوضنا اليك) مقام قوله (فوضت اليك) ، وقوله (الوزارة) مقام قوله (وزارتي) ، وهذا اضخم قول عقدت بـه وزارة التفويض . فان قال (قد قلدتك وزارتي) او قال (قد قلدناك الوزارة) لم يصر من هذا القول من وزراء التفويض ، حتى يبينه بما يستحق به التفويض ، لان الله تعالى يقول على لسان موسى : واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازرى واشركه في امري) فلم يقتصر على مجرد الوزارة حتى قرنها بشد ازره باخيه ، واشراكه في امره لان اسم الوزارة مختلف في اشتقاقه[1] . وتنعقد اختصاصات وزير التفويض بشرطين يقع الفرق بهما بين الامامة والوزارة .

احدهما :- يختص بالوزير : وهو مطالعة الامام لما امضاه من تدبير وانفذه من ولاية ، وتقليد لئلا يصير الاستبداد كالامام .

والثاني :- مختص بالامام : وهو ان يتصفح افعال الوزير ، وتدبيره للامور ليقر منها ما وافق الصواب ، ويستدرك ما خالفه ، لان تدبير الامة اليه موكول وعلى اجتهاده محمول .

ويجوز لهذا الوزير ، ان يحكم بنفسه ، وان يقلد الحكام ، كما يجوز ذلك للامام ، لان شروط الحكم فيه معتبرة ، ويجوز ان ينظر في المظالم ،

---

(١) الماوردى ص٢٤ ، ابو يعلى ص١٤ .

ويستنيب فيها لان شروط المظالم فيه معتبرة •

ويجوز ان يتولى الجهاد بنفسه ، وان يقلد من يتولاه ، لان شروط الحرب فيه معتبرة ، ويجوز ان يباشر تنفيذ الامور التي دبرها ، وان يستنيب في تنفيذها لان شروط الرأى والتدبير فيه معتبرة • وكل ما صح من الامام صح من الوزير الا ثلاثة اشياء :ـ

احدهما :ـ ولاية العهد :ـ فان للامام ان يعهد الى من يرى وليس ذلك للوزير •

الثاني :ـ ان للامام ان يستعفى الامة من الامامة وليس ذلك للوزير •

والثالث :ـ ان للامام ان يعزل من قلده الوزير وليس للوزير ان يعزل من قلده الامام •

وما سوى هذه الثلاثة فحكم التفويض اليه يقتضي جواز فعله[1] •

---

(١) الماوردى ص٢٥ ، ابو يعلى ص١٤ •

٣ – وزارة التنفيذ

اما وزارة التنفيذ ، فحكمها اضعف من وزارة التفويض وشروطها اقل ، لان النظر فيها مقصور على رأى الامام وتدبيره .

ووزير التنفيذ وسيط بين الامام وبين الرعايا والولاة يؤدى عنه ما امر وينفذ عنهم ما ذكر ويمضي ما حكم ، ويخبر بتقليد الولاة ، وتجهيز الجيوش والحماة ويعرض عليه ما ورد من مهم ، وتجدد من حدث ملم ، ليعمل فيه ما يؤمر به ، فهو معين في تنفيذ الامور ، وليس بوال عليها ولا متقلدا لها ، فان شورك في الرأى كان باسم الوزارة اخص ، وان لم يشارك فيه كان بأسم الوساطة والسفارة اشبه[١] .

ولا تفتقر وزارة التنفيذ الى تقليد ، وانما يراعى فيها مجرد الاذن ومطلق الاسم ، ولا يعتبر في المؤهل لها الحرية ولا العلم ، لانه ليس له ان ينفرد بولاية ، ولا تقليد ، فتعتبر فيه الحرية ، ولا يجوز له ان يحكم ، فيعتبر فيه العلم ، وانما هو مقصور النظر على امرين :ـ

احدهما :ـ ان يؤدى الى الخليفة .

والثاني :ـ ان يؤدى عنه .

ويراعى في وزير التنفيذ سبعة شروط :ـ

احدهما :ـ الامانة حتى لا يخون فيها ائتمن فيه ، ولا يغش فيما قد استنصح فيه .

الثاني :ـ صدق اللهجة حتى يوثق بخبره فيما يؤديه ، ويعمل على قوله فيما ينهيه .

---

(١) الماوردى ص٢٥ ، ابو يعلى ص١٥ ، السهروردى ورقة ٢٤ ظ .

الثالث :ـ قلة الطمع حتى لا يرتشي فيما يل ولا ينخدع فيتساهل •

الرابع :ـ ان يسلم فيما بينـــه وبين الناس من عداوة وشحناء ، لان العداوة تصد عن التناصف وتمنع التعاطف •

الخامس :ـ ان يكون ذكورا لما يؤديه الى الخليفة وعنه ، لانه شاهد له وعليه •

السادس :ـ الذكاء والفطنة حتى لا تدلس عليه الامور فتشتبه ، ولا تموه عليه فتلتبس ، ولا يصح مع اشتباهها عزم ولا يتم مع التباسها حزم •

والسابع :ـ ان لا يكون من اهل الاهواء فيخرجه الهوى عن الحق الى الباطل ، ويتدلس عليه المحق من المبطل ، فان الهوى خادع الالباب ، وصارف عن الصواب ، ولذلك قال النبي (حبك الشيء يعمي ويصم) •

وقد يحتاج الوزير الى وصف ثامن : وهو الحنكة والتجربة التي تؤديه الى صحة الرأى وصواب التدبير ، فان في التجارب خبرة بعواقب الامور[١] •

ويجوز لوزير التنفيذ ان يكون من (اهل الذمة) ولكن لا يجوز ان يكون وزير تفويض منهم • وروى عن احمد بن حنبل ما يدل على المنع لانه قال في رواية ابي طالب ، وقد سئل نستعمل اليهودي والنصراني في أعمال المسلمين مثل الخراج فقال : (لا يستعان بهم في شيء) ، مستندا في ذلك على قوله تعالى (لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا) وقوله تعالى ايضا (لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء) وقوله عليه السلام (لا تأمنوهم اذ خونهم الله)[٢] •

وذهب الامام ابو الحسن البصرى الى جوازه ، وذهب ابو المعالي الجويني الى منعه[٣] •

---

(١) الماوردى ص٢٧ ، ابو يعلى ص١٥ •

(٢) ابو يعلى ص١٦ •

(٣) ابو سالم العقد الفريد للملك السعيد ص١٤٤ •

ولم يجوز الماوردى وابو يعلى اتخاذ المرأة لمنصب الوزارة ، وان كان خبرها مقبولا ، لما تضمنه معنى الولايات المصروفة عن النساء لقول النبي (ما افلح قوم اسندوا امرهم الى امرأة)[١] ولان فيها (الوزارة) من طلب الرأى ، وثبات العزم ما تضعف عنه النساء ، ومن الظهور في مباشرة الامور ما هو عليهن محظور[٢] .

---

(٢) رواه احمد بن حنبل والبخارى والترمذى والنسائي .

(٣) الماوردى ص٢٥ ـ ٢٧ ، ابو يعلى ص١٤ ـ ١٦ .

٤ ـ مقارنة بين وزارتي التفويض والتنفيذ

كان الفرق بين وزارتي التفويض والتنفيذ بحسب الفرق بينهما في النظرين :ـ

احدهما :ـ يجوز لوزير التفويض مباشرة الحكم والنظر في المظالم ، وليس ذلك لوزير التنفيذ .

الثاني :ـ يجوز لوزير التفويض ان يستبد بتقليد الولا ة، وليس ذلك لوزير التنفيذ .

الثالث :ـ يجوز لوزير التفويض ان ينفرد بتسـيير الجيوش وتدبير الحرب وليس ذلك لوزير التنفيذ .

والرابع :ـ يجوز لوزير التفويض ان يتصرف في اموال بيت المـال يقبض ما يستحق له ودفع ما يجب فيه وليس ذلك لوزير التنفيذ .

وليس فيما عدا هذه الاربعة ، ما يمنع اهل الذمة منها ... ولهذه الفروق الاربعة بين النظرين ، افترق في اربعة من شروط الوزارتين :ـ

احدهما :ـ ان الحريـة معتبرة في وزارة التفويض وغير معتبرة في وزارة التنفيذ .

الثاني :ـ ان الاسلام معتبر في وزارة التفويض وغير معتبر في وزارة التنفيذ .

الثالث :ـ ان العلم باحكام الشريعة معتبرة في وزارة التفويض ، وغير معتبرة في وزارة التنفيذ .

والرابع :ـ المعرفة بامر الحرب والخراج معتبرة في وزارة التفويض ، وغير معتبرة في وزارة التنفيذ [1] .

ويجوز للخليفة ان يقلد وزيرى تنفيذ على اجتماع وانفراد ، ولا

---

(١) الماوردى ص٢٦ ـ ٢٧ ، ابو يعلى ص١٥ ـ ١٦ .

يجوز ان يقلد وزيرى التفويض على الاجتماع لعموم ولايتهما (كما لا يجوز تقليد امامين) لانهما ربما تعارضا في الحل والعقد والتقليد والعزل وقد قال الله تعالى (لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا)(١) • فان قلد (وزيرى تفويض) لم يخل حال تقليده لهما من ثلاثة اقسام :ـ

احدهما :ـ ان يفوض الى كل واحد منهما عموم النظر ، فلا يصح لما قدمناه من دليل وتعليل ، وينظر في تقليدهما ، فان كان في وقت واحد بطل تقليدهما معا • وان سبق احدهما الاخر صح تقليد السابق وبطل تقليد المسبوق •

ثانيا :ـ ان يشرك بينهما في النظر على اجتماعهما فيه ، ولا يجعل الى واحد منهما ان ينفرد به ، فهذا يصح ، وتكون الوزارة بينهما لا في واحد منهما ، ولهما تنفيذ ما اتفق رأيهما عليه وليس لهما تنفيذ ما اختلفا فيه ، ويكون موقوفا على رأى الخليفة وخارجا عن نظر هذين الوزيرين •

فان اتفقا بعد الاختلاف في نظر ، فان كان عن رأى اجتمعا على صوابه بعد اختلافهما فيه ، وقل في نظرهما ، وصح تنفيذه منهما ، لان ما تقدم من الاختلاف لا يمنع جواز الاتفاق ، وان كان من متابعة احدهما لصاحبه مع بقائهما على الرأى المختلف فيه ، فهو على خروجه من نظرهما لانه لا يصح من الوزير تنفيذ ما لا يراه صوابا •

ثالثا :ـ ان لا يشرك بينهما في النظر ويفرد كل واحد منهما بما ليس فيه للاخر نظر ، وهذا يكون على احد وجهين :ـ

الاول :ـ اما ان يخص كل واحد منهما بعمل يكون فيه (عام النظر) (خاص العمل) مثلا ان يرد الى احدهما وزارة بلاد المشرق والى الاخر وزارة بلاد المغرب •

---

(١) سورة الانبياء آية ٢٢ •

والثاني :ـ واما ان يخص كل واحد منهما بنظر يكون فيه (عام العمل) (خاص النظر) مثلا ان يستوزر احدهما على (الحرب) والاخر على (الخراج) فيصح التقليد[1] ٠

ويجوز للخليفة ان يقلد وزيرين (وزير تفويض ووزير تنفيذ) فيكون وزير التفويض مطلق التصرف ووزير التنفيذ مقصور على تنفيذ ما وردت به اوامر الخليفة ٠

اختلفت صلاحيات واختصاصات كل من وزيرى التفويض والتنفيذ على النحو التالي :ـ

١ ـ لا يجوز لوزير التنفيذ ان يولي معزولا ، ولا يعزل مولى ٠

٢ ـ ويجوز لوزير التفويض ان يولي المعزول ويعزل من ولاه ، ولا يعزل من ولاه الخليفة ٠

٣ ـ وليس لوزير التنفيذ ان يوقع عن نفسه ، ولا عن الخليفة الا بامره ٠

٤ ـ ويجوز لوزير التفويض ان يوقع عن نفسه الى عماله، وعمال الخليفة، ويلزمهم قبول توقيعاته ، ولا يجوز ان يوقع عن الخليفة الا بأمره في عمومه او خصوصه ٠

٥ ـ ويجوز لوزير التفويض ان يستخلف نائبا عنه ٠

٦ ـ ولا يجوز لوزير التنفيذ ان يستخلف من ينوب عنه ، لان الاستخلاف تقليد يصح من وزير التفويض ، ولم يصح من وزير التنفيذ ٠

٧ ـ اذا عزل وزير التفويض انعزل به عمال التنفيذ ، ولم ينعزل به عمال التفويض ، لان عمال التنفيذ نيابة ، وعمال التفويض ولاية[2] ٠

---

(١) الماوردى ص٢٦ ـ ٢٨ ، ابو يعلى ص١٦ ـ ١٧ ٠

(٢) الماوردى ص٢٩ ، ابو يعلى ص١٧ ٠

ويضيف صاحب العقد الفريد[1] فروقا اخرى بين وزيرى التنفيذ والتفويض فيقول :ـ جاز ان يكون وزير التنفيذ :ـ

اولا :ـ مملوكا ولا يشترط ان يكون حرا .

ثانيا :ـ وجاز ان لا يكون عالما باحكام الشريعة .

ثالثا :ـ وجاز ان يكون جاهلا بامر الحرب ، والخراج غير عارف بهما اذ هو سفير بين السلطان والرعية مظهر ومخبر .

رابعا :ـ وجاز ان يكون من اهل الذمة رغم اختلاف آراء الائمة في ذلك ، وهذا بخلاف وزارة التفويض ، فان هذه الشروط معتبرة من جملة ما تقدم بيانه عن الاوصاف في حق المباشر لها .

انتهى بحمد الله

---

(١) ابي سالم العقد الفريد للملك السعيد ص١٤٤ .

جدول باسماء خلفاء ووزراء العصر العباسي الاول

١٣٢ - ٢١٨ هـ

الخلفاء	الوزراء	تاريخ استيزارهم
السفاح	ابو سلمه حفص بن سليمان الخلال الحمداني[١]	ربيع الأول ١٣٢هـ
	أبو الجهم بن عطيه	رجب ١٣٢هـ
المنصور	خالد بن برمك	١٣٣هـ
	أبو أيوب سليمان بن سليمان بن مخلد المورياني الخوزي[٢]	
	أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن عبدالله بن ابي فروة[٣]	
المهدي	أبو عبيدالله (أو عبدالله) معاوية ابن عبيدالله بن يسار الاشعري	١٥٨هـ
	أبو عبدالله يعقوب بن داود بن عمر بن تهمان[٤] توفي بمكة سنة ١٨٧هـ	١٦٣هـ
	أبو الفضل الربيع بن يونس	

---

(١) كان يحمل لقب وزير آل محمد قتل في الانبار ١٥ رجب سنة ١٣٢ هـ ، ابن خلكان جـ١ ص٤٦٧ .

(٢) توفي سنة ١٥٤ هـ ، ابن خلكان جـ١ ص٥٩٥ .

(٣) ابن خلكان ص ٥٢١ - ٥٢٦ .

(٤) تاريخ تعيينه وعزله غير معروف انظر ترجمته في ابن خلكان جـ١ ص٣٥٢ .

الخلفاء	الوزراء	تاريخ استيزارهم
	(للمرة الثانية)	١٦٦هـ
	الفيض بن ابي صالح	
الهادي	أبو الفضل الربيع بن يونس (للمرة الثالثة)	محرم ١٦٩هـ
	ابراهيم بن ذكوان الحراني[١]	
الرشيد	يحيى بن خالد بن برمك	ربيع الاول ١٧٠هـ
	الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك	
	جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك قتل سنة ١٨٧هـ	١٧٧هـ
	أبو العباس الفضل بن الربيع بن يونس[٢]	١٨٧هـ
الامين	أبو العباس الفضل بن الربيع اعتزل في رجب سنة ١٩٦ وتوفي سنة ٢٠٨هـ	١٩٣هـ
المأمون	الفضل بن سهل بن عبدالله السرخسي (ذو الرياستين) قتل سنة ٢٠٢هـ[٣]	١٩٦هـ

(١) ابن خلكان جـ٢ ص٤٧١ .

(٢) ابن خلكان وفيات الاعيان جـ٢ ص٤٧٤ .

(٣) زوج ابنته بوران من المأمون ، ابن خلكان جـ٢ ص ٢٦٨ ، ص ٤٠٨ .

الخلفاء	الوزراء	تاريخ استيزارهم
	الحسن بن سهل توفي في ذي الحجة سنة ٢٣٦هـ[1]	٢٠٢هـ
	أحمد بن ابي خالد الاحول	٢٠٥هـ
	أحمد بن يوسف بن القاسم	٢١٠هـ
	أبو عباد ثابت بن يحيى بن يسار الرازي	
	أبو عبدالله محمد بن يزداد بن سويد	

(١) ابن خلكان وفيات الاعيان جـ١ ص١٦ ·

(*) مستقاة من معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التأريخ الاسلامي لزمباور جـ١ ·

جدول باسماء خلفاء ووزراء الفترة الاولى

من العصر التركي ٢١٨ ـ ٢٧٩ هـ

الخلفاء	وزراء الفترة الاولى من العصر التركي	تاريخ استيزارهم	
المعتصم	ابو العباس الفضل بن مروان ابن ماسرخس توفي سنة ٢٥٠هـ	رمضان	٢١٨هـ
	أحمد بن عمار بن شاذي	رجب	٢٢١هـ
	أبو جعفر محمد بن عبدالملك الزيات		٢٢٥هـ
الواثق	ابن الزيات (استبقى)	ربيع الاول	٢٢٧هـ
المتوكل	ابن الزيات (استبقى) ثم قتل ربيع الاول سنة ٢٣٣هـ	ذو الحجة	٢٣٢هـ
	أحمد بن خالد أبو الوزير	ربيع الاول	٢٣٣هـ
	أبو جعفر محمد بن الفضل الجرجرائي		
	أبو الحسن عبيدالله بن يحيى بن خاقان (الخاقان الاول)		٢٤٠هـ
المنتصر	أحمد بن الخصيب	شوال	٢٤٧هـ
المستعين	أحمد بن الخصيب (استبقى)	ربيع الثاني	٢٤٨هـ
	اتامش قتله العامة ربيع الثاني سنة ٢٤٩هـ		٢٤٨هـ

الخلفاء	وزراء الفترة الاولى من العصر التركي	تاريخ استيزارهم	
	أبو صالح عبدالله بن محمد بن يزداد ابن سويد	ربيع الثاني	٢٤٩هـ
	أبو جعفر محمد بن الفضل الجرجرائي (للمرة الثانية)		٢٤٩هـ
المعتز	أبو الفضل جعفر بن محمود الاسكافي		٢٥٢هـ
	أبو موسى عيسى بن فرخانشاه		
	أبو جعفر أحمد بن اسرائيل الانباري		٢٥٣هـ
	أبو الفضل جعفر بن محمود الاسكافي (للمرة الثانية)		
المهتدى	الاسكافي (استبقى) (للمرة الثالثة)	رجب	٢٥٥هـ
	سليمان بن وهب		٢٥٥هـ
المعتمد	عبيدالله بن يحيى بن خاقان (الاول) (للمرة الثانية) توفي سنة ٢٦٣هـ	رجب	٢٥٦هـ
	الحسن بن مخلد بن الجراح توفي ذي القعدة سنة ٢٦٣هـ[1]	ذو القعدة	٢٦٣هـ

(١) توفي في ذى القعدة سنة ٢٦٣ هـ . انظر التذكرة .
Amedroz : Tadhkira. J. A. S. 1908. P. 419 , 451.

الخلفاء	وزراء الفترة الاولى من العصر التركي	تاريخ استيزارهم	
	أبو أيوب سليمان بن وهب (للمرة الثانية)[1]	ذو الحجة	٢٦٣هـ
	أبو الصقر اسماعيل بن بلبل	ذو الحجة	٢٦٥هـ
	أحمد بن صالح بن شيرزاد	صفر	٢٧٧هـ (*)

(١) كان سجينا من عام ٢٦٥ هـ حتى توفي في ١٥ صفر عام ٢٧٢هـ ، (ابن خلكان جـ١ ص٥٩٦) .

(*) زامباور معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي جـ ١ .

جدول باسماء خلفاء ووزراء الفترة الاخيرة

من العصر التركي ٢٧٩ ـ ٣٣٤هـ

الخليفة	الوزراء	تاريخ استيزارهم	
المعتضد	عبيدالله بن سليمـــان توفي في الخدمة سنة ٢٨٨هـ		٢٧٩هـ
	أبو الحسين القاسم بن عبيدالله بن سليمان بن وهب (ولي الدولة)		٢٨٨هـ
المكتفي	أبو الحسين القاسم (استبقى) توفي سنة ٢٩١هـ(١)		٢٨٩هـ
	أبو أحمد العباس بن حسن بن أحمد بن القاسم الجرجرائي محمد بن داود بن الجراح		
المقتدر	العباس بن الحسن الجرجرائي (استبقى)	١٢ ذو القعدة	٢٩٥هـ
	أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات (ابن الفرات الاول)	٢٢ ربيع الثاني	٢٩٦هـ
	أبو علي محمد بن عبيدالله بن يحيى (الخاقان الثاني)	٤ ذي الحجة	٢٩٩هـ

(١) ظهر اسمه عـــلى نقود من سنتي ٢٩٢ ـ ٢٩٣ هـ ضربت بعد وفاته ٠ انظر :
Vasmer Beitrge, Wiemer Num, Zeitschr. 1. P. 74.

الخليفة	الوزراء	تاريخ استيزارهم	
	علي بن عيسى بن داود بن الجراح	محرم	٣٠١هـ
	ابن الفرات (الاول) (للمرة الثانية) قبض عليه سنة ٣٠٦هـ	٨ ذي الحجة	٣٠٤هـ
	أبو محمد حامد بن العباس (قتله المحسن بن الفرات)	جمادي الاخر	٣٠٦هـ
	ابن الفرات الاول (للمرة الثالثة) قتل ١٣ ربيع الاول سنة ٣١٢هـ	١٣ ربيع الثاني	٣١١هـ
	أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبيدالله (الخاقان الثالث)	ربيع الاول	٣١٢هـ
	أبو العباس أحمد بن عبيدالله بن أحمد (وسليمان) بن الخصيب	١١ رمضان	٣١٣هـ
	علي بن عيسى بن الجراح (للمرة الثانية)[1] توفي سنة ٣٣٤هـ	١١ ذي القعدة	٣١٤هـ
	أبو علي محمد بن علي بن الحسن بن مقلة (الاول)	١٥ ربيع الاول	٣١٦هـ
	أبو القاسم سليمان بن الحسن ابن مخلد[2]	٣٠ جمادي الاولى	٣١٨هـ

(١) وصل بغداد في ٥ صفر سنة ٣١٥ هـ ناب عنه الكلوذاني في الوزارة .

(٢) ابن الوزير الذي ولي في ذي القعدة سنة ٢٦٣ هـ .

الخليفة	الوزراء	تاريخ استيزارهم	
	أبو القاسم عبيدالله بن محمد الكلوذاني	٢٦ رجب	٣١٩هـ
	الحسين بن القاسم بن عبيدالله ابن سليمان بن وهب (عميد الدولة)	٢٩ رمضان	٣١٩هـ
	أبو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات (الثاني)	٢٨ ربيع الثاني	٣٢٠هـ
القاهر	أبو علي محمد بن علي بن مقلة (الاول) (للمرة الثانية)	٢٩ شوال	٣٢٠هـ
	محمد بن القاسم بن عبيدالله بن سليمان بن وهب توفي سنة ٣٢١هـ	مستهل شعبان	٣٢١هـ
	ابن الخصيب (للمرة الثانية)	١٣ ذي القعدة	٣٢١هـ
الراضي	ابن مقله (الاول) (للمرة الثالثة)	٢٦ جمادي الاول	٣٢٢هـ
	عبدالرحمن بن عيسى بن داود ابن الجراح (أخو علي بن عيسى)	١٥ جمادي الاول	٣٢٤هـ
	أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخي (ولي شهران ونصف)	جمادي الاخرة	٣٢٤هـ
	أبو القاسم سليمان بن مخلد (للمرة الثانية)	١٥ رجب	٣٢٤هـ

الخليفة	الوزراء	تاريخ استيزارهم
	أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات (الثاني) (للمرة الثانية)	ذو الحجة ٣٢٤هـ
	ابن مقلة (الاول) (للمرة الرابعة)	ربيع الثاني ٣٢٦هـ
	ابن الفرات (الثاني) (للمرة الثالثة)	١٢ شوال ٣٢٧هـ
	أبو عبدالله أحمد بن محمد البريدي (الاول)	٦ رجب ٣٢٧هـ
	أبو القاسم سليمان بن مخلد (للمرة الثالثة)	٢٠ ذي القعدة ٣٢٨هـ
المتقي[1]	ابن مخلد (استبقى)	٢٠ ربيع الاول ٣٢٩هـ
	أبو الخير أحمد بن محمد بن ميمون ٣٣ يوما	٣ شعبان ٣٢٩هـ
	البريدي (الاول) (للمرة الثانية) ٢٤ يوما	٦ رمضان ٣٢٩هـ
	أبو اسحق محمد بن أحمد الاسكافي القراريطي ٤٣ يوما	١٢ شوال ٣٢٩هـ
	أبو جعفر محمد الكرخي (للمرة الثانية) ٣٣ يوما	٢٥ ذي القعدة ٣٢٩هـ

(١) لم يعد للوزراء في عهد المتقي سلطة حقيقة .

الخليفة	الوزراء	تاريخ استيزارهم	
	أبو عبدالله الكرخي	٢٨ ذي الحجة	٣٢٩هـ
	البريدي (الاول) (للمرة الثالثة) ١٣ يوما	٢٥ ربيع الثاني	٣٣٠هـ
	القراريطي (للمرة الثانية) ٤٢ يوما	٨ جمادي الاول	٣٣٠هـ
	ظل منصب الوزير خاليا بين ٢ جمادي الآخر الى ١١ شوال ٣٣٠هـ أثناء وجود البريدي ببغداد		
	القراريطي (للمرة الثالثة) ظل الى ٢٦ جمادي الآخرة ٣٣١هـ	١٥ شوال	٣٣٠هـ
	أبو العباس أحمد بن عبيدالله الاصفهاني[1] ٥١ يوما	١٢ رجب	٣٣١هـ
	أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن مقلة (الثاني) ٧ أشهر	٢٥ رمضان	٣٣١هـ
المستكفي[2]	أبو الفرج محمد بن علي السامري ٤٢ يوما	٢٩ صفر	٣٣٣هـ

(١) ولاه امير الامراء ناصر الدولة بن حمدان ·

(٢) كتب بن الاثير في حوادث سنة ٣٣٤ هـ يقول : (فلما كان ايام معز الدولة زال ذلك جميعه بحيث ان الخليفة لم يبق له وزير وانما كان له كاتب يدير اقطاعه واخراجاته لاغير) ·

(*) زامباور جـ١ معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ·

جدول باسماء كتاب الخلفاء العباسيون في العصر البويهي[1]

المستكفي :ــ محمد بن علي الشيرازي

ابن ابي سليمان

أبو أحمد الفضل بن عبدالرحمن الشيرازي

المطيع: ــ ابن شيرزاد

الفضل بن أحمد الشيرازي

أبو سعيد وهب بن ابراهيم

أبو نصر ابراهيم بن الوزير بن ابي الحسن علي بن عيسى

الطائع :ــ أبو الحسن علي بن جعفر بن نباته الاصفهاني

أبو القاسم عيسى بن الوزير ابي الحسن علي بن عيسى

عيسى بن مروان

أبو الحسن علي بن عبدالعزيز بن حاجب النعمان (رئيس الرؤساء)

القادر :ــ (استبقى) أبو الحسن علي بن عبدالعزيز

سعيد بن الحسن بن بربك

---

(١) ابن الاثير الكامل جـ٩ ص٤٤ ، ياقوت معجم الادباء جـ١٤ ص٧١ ، السيوطي حسن المحاضرة جـ٢ ص٢٧ ، الاربلي ص١٩٧ .

أبو الفضل بن أبو الحسن علي بن عبدالعزيز بن حاجب النعمان

القائم :- أبو طالب محمد بن أيوب الملقب (عميد الرؤساء)

أبو القاسم علي بن ابي الفرج الحسن بن المسلم

أبو الفتح منصور بن أحمد بن دارست

فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير الموصلي

جدول باسماء امير الامراء ووزرائهم وتاريخ حكمهم في العصر التركي[1]

أمير الامراء	تاريخ امارته	وزراء أمير الامراء	تاريخ استيزارهم
مؤنس الخادم	١٧ محرم ٣١٧هـ	دون وزراء	–
طريف السبكري	مستهل شعبان ٣١٩هـ	دون وزراء	–
ظل المنصب شاغرا بين سنتي (٣٢٢ – ٣٣٣هـ)			
أبو بكر محمد بن رائق	محرم ٣٢٤هـ	أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات (الثاني)	٣٢٤هـ
أبو الحسين بجكم الرائقي	ذي القعدة ٣٢٦هـ	علي بن خلف بن طياب	٣٢٦هـ
		أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد	٣٢٧هـ
		أبو عبدالله الكوفي (مع لقب كاتب)	٣٢٨هـ
كورتكين الديلمي (مدة شهر)	٣ شوال ٣٢٩هـ	ظل شهرا بدون وزير	–
أبو بكر محمد بن رائق (الثانية)	ذي القعدة ٣٢٩هـ	أبو عبدالله الكوفي	٣٢٩هـ
ناصر الدولة بن حمدان	مستهل شعبان ٣٣٠هـ	الكوفي (استبقى)	٣٣٠هـ
المظفر أبو الوفاء توزون	رمضان ٣٣١هـ	أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد	٣٣٤هـ
أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد	٢٧ محرم ٣٣٤هـ	دون وزير	٣٣٤هـ

(١) زامباور معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ج ١ ص ١١ – ١٢ .

جدول باسماء

(امير الامراء في العصر البويهي ببغداد وتاريخ حكمهم)[1]

معز الدولة	١١ جمادي الاولى	٣٣٤هـ
عز الدولة بختيار		٣٥٦هـ
نصير الدولة سبكتكين التركي (مدة شهرين)		٣٦٣هـ
عضدالدولة	١٨ شوال	٣٦٧هـ
صمصام الدولة	شوال	٣٧٢هـ
شرف الدولة	رمضان	٣٧٦هـ
بهاء الدولة	جمادي الاخرة	٣٧٩هـ
سلطان الدولة		٤٠٣هـ
مشرف الدولة		٤١٤هـ
جلال الدولة		٤١٦هـ
أبو كاليجار المرزبان	٦ شعبان	٤٣٥هـ
خسرو فيروز (الملك الرحيم)		٤٤٠هـ
بقي حتى دخول طغرلبك السلجوقي بغداد في ٢٢ رمضان		٤٤٧هـ

---

(١) زامباور معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي جـ ١ .

قائمة باسماء

وزراء امير امراء العصر البويهي ببغداد

معزالدولة	أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد الصيمري
	أبا محمد الحسن بن محمد المهلبي
	أبو الفضل العباس بن الحسن الشيرازي
	أبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس
عزالدولة بختيار	أبو الفضل العباس بن الحسن الشيرازي
	أبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس
	أبو الفضل العباس بن الحسن الشيرازي
	أبو طاهر محمد بن بقية (نصيرالدولة)
	أبا الحسن علي بن عمرو
عضدالدولة	المطهر بن عبدالله
	أبا الربان محمد بن محمد الاصبهاني ـ شورك
	نصر بن هارون (مسيحيا) ـ شورك
صمصام الدولة	أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن سعدان
	أبو القاسم عبدالعزيز بن يوسف ـ شورك
	أبو الحسن أحمد بن محمد بن برموية ـ شورك
شرف الدولة	أبا الريان محمد بن محمد الاصبهاني
	أبا منصور محمد بن الحسن بن صالحان
بهاءالدولة	أبا نصر سابور بن أردشير
	أبا منصور بن صالحان ـ شورك

	أبا القاسم عبدالعزيز بن يوسف
	أبا القاسم علي بن أحمد
	أبا نصر سابور بن اردشير ـ شورك
	أبا منصور بن صالحان ـ شورك
	أبا القاسم علي بن أحمد
	أحمد بن ابراهيم البصبى الملقب (الكافي)
	أبا نصر الفاضل
	سابور بن اردشير
	أبو العباس بن سرجس
	أبا غالب محمد بن علي بن خلف
	الحسن بن محمد بن اسماعيل أبوعلي الاسكافي (الموفق)
	الحسن بن ابي جعفر استاذ هرمز (عميد الجيوش)
سلطان الدولة	فخر الملك أبو غالب محمد بن علي بن خلف الصيرفي
	الحسن بن سهلان
	أبا القاسم جعفر بن أبي الفرج بن فسانجس
	ذا السعادتين أبا غالب الحسن بن منصور
مشرف الدولة	أبا الحسين بن الحسن الرخجي (مؤيد الملك)
	أبا القاسم الحسين بن علي بن الحسين المغربي
جلال الدولة	أبي سعيد بن ماكولا
	أبا علي بن ماكولا (ابن عم الاول)
	أبو طاهر الحسين بن طاهر

أبو سعد بن عبدالرحيم

أبو الفتح محمد بن الفضل بن اردشير

أبو اسحق ابراهيم بن ابي الحسين

أبا القاسم هبة الله بن ماكولا

أبا سعد بن عبدالرحيم

أبا القاسم بن ماكولا

أبا سعد بن عبدالرحيم

ذي السعادات أبي الفرج محمد بن جعفر بن فسانجس

كمال الملك أبو المعالي بن عبدالرحيم

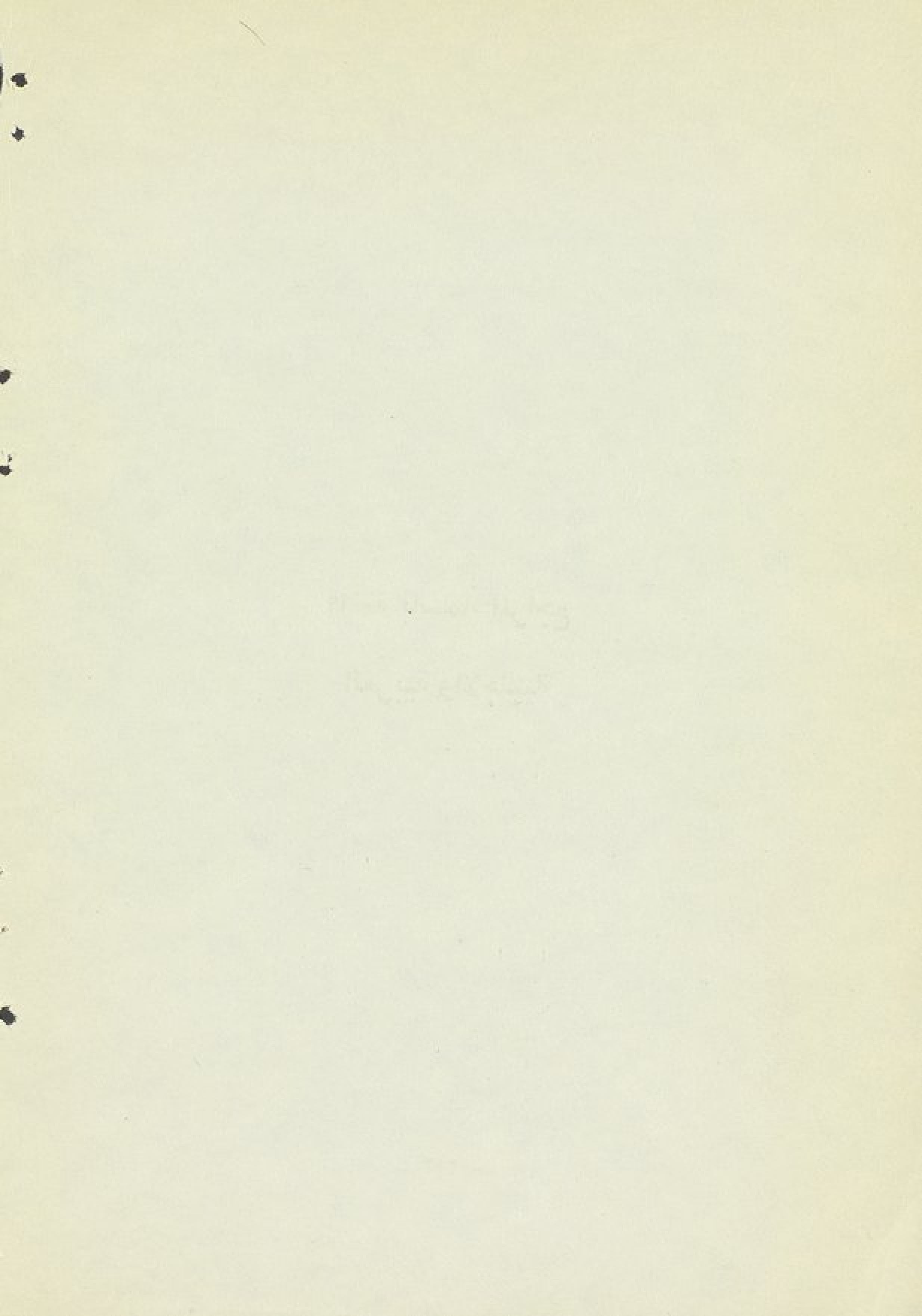
أبو نصر فيروز (الملك الرحيم) أبو الحسين بن عبدالرحيم

وزراء سلاطين العصر البويهي خارج بغداد

ركن الدولة	ابن العميد أبو الفضل محمد بن الحسين
	أبو الفتح علي بن العميد (ذي الكفايتين)
مؤيد الدولة	أبو الفتح علي بن العميد
	الصاحب بن عباد

قائمة باسماء المراجع

العربية والاجنبية



« المخطوطات والمصورات »

١ - ابن المقفع - (ابي عبدالله محمد) التبر المسبوك فيما يحتاج اليه الملوك رقم ١١٣ مكتبة السليماني اسطنبول

٢ - ابن دكين - (محمد بن بكر بن حماد) روضة الاعيان في اخبار مشاهير الزمان - دار الكتب المصرية (مصور) .

٣ - الابوصيري - (علي بن علي) آداب الوزارة - رقم ٢٨٣٧ ايا صوفيا اسطنبول

٤ - البلخي - (عبدالله بن أحمد) تحفة الوزراء - رقم ٢٨٤٥ ايا صوفيا اسطنبول

٥ - الجيلي - (أحمد محمود) منهاج الوزراء في النصيحة - رقم ٢٩٠٧ ايا صوفيا اسطنبول

٦ - الحنفي - (أحمد الحموي) مجموعة رسائل (رسالة في الوزارة) رقم ٢٨٩٣ ايا صوفيا اسطنبول

٧ - الدمنهوري - (سيدي أحمد) نفح العزيز في صلاح السلطان والوزير رقم ١٩١٤ مكتبة السليماني اسطنبول

٨ - السلماني - (ابن الخطيب) الاشارة الى آداب السياسة في الوزارة رقم ٢٤١١ خزانة الكتب والوثائق المغربية الرباط .

٩ - السهروردي - (أبو حسن محمد البغدادي) تحرير الاحكام في تدبير أهل الاسلام - رقم ١٩٠٦٨ مكتبة بايزيد اسطنبول

١٠- الشامي - (الشيخ علي بن مجدالدين) تحفة الوزراء في المواعظ

بايزيد اسطنبول

١١- الغزالي - (أبو حامد) التبر المسبوك في نصيحة الملوك رقم ٤٧١٨ مكتبة الاوقاف بغداد

١٢ الفناري - (محمد بن علي) رسالة في الوزارة واشتقاقها مكتبة الاوقاف بغداد

١٣- كرماني - (ناصرالدين منشي) تواريخ فارسي في القـاب الوزراء (باللغة الفارسية) مكتبة السليماني

١٤- مؤلف مجهول - دستور الوزراء (باللغة التركية) رقم ٢٩٧ مكتبة السليماني اسطنبول

١٥- مؤلف مجهول - كتاب في مواعظ الملوك والخلفاء والوزراء رقم ٣٦١ مكتبة السليماني اسطنبول

١٦- مؤلف مجهول - كتاب في المواعظ وكتاب في القاب الوزراء رقم ٣٤٨٧ مكتبة أيا صوفيا اسطنبول

المراجع الاولية

١ ـ ابن ابي الحديد :ـ أحمد بن علي متوفى سنة ٨٢١هـ
شرح نهج البلاغة ـ القاهرة ـ مطبعة دار الكتب العربية

٢ ـ ابن تغري بردى :ـ أبو المحاسن ـ متوفى سنة ٨٧٤هـ
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهـرة
مطبعة دار الكتب المصرية

٣ ـ ابن الاثير :ـ علي بن محمد المتوفى سنة ٦٣٠هـ
الكامل في التاريخ
مطبعة البابي الحلبي ١٣١٠هـ

٤ ـ ابن الجوزي :ـ ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي متوفى سنة ٥٩٧هـ
المنتظم في تاريخ الملوك والامم
مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيـدر آباد الدين

٥ ـ ابن حوقل :ـ ابو القاسم محمد
المسالك والممالك ـ مطبعـة بريل ليـــدن سنة ١٩٣٨

٦ ـ ابن خلكان :ـ شمس الدين ابي العباس متوفى سنة ٦٨١هـ
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان . القاهرة ١٣١٠هـ

٧ ـ ابن خلدون :ـ عبدالرحمن بن محمد بن جابر ـ متوفى سنة ٨٠٦هـ
أ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر • بيروت ١٩٦١
ب ـ المقدمة مطبعة دار الكتاب اللبناني

٨ ـ ابن دحلان :ـ أحمد زيني
الجداول المرضية في تاريخ الدول الاسلامية

٩ ـ ابن الطقطقي :ـ ابن طباطبا
الفخري في الاداب السلطانية

١٠ـ ابن طيفور :ـ ابو الفضل أحمد بن ابي طاهر
تاريخ بغداد • باعتناء هنس • سويسرا

١١ـ ابن عساكر :ـ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبةالله
التاريخ الكبير • تحقيق عبدالقادر بدران
مطبعة روضة الشام ١٣٣١هـ

١١ـ ابن العبري :ـ غريغوريوس ابي الفرج بن هارون • متوفى سنة ٨٦٥هـ
تاريخ مختصر الدول
المطبعة الكاثوليكية بيروت

١٢ـ ابن العديم :ـ ابن العديم
زبدة الحلب من تاريخ حلب • تحقيق سامي الدهان دمشق ١٩٥١م •

١٤- ابن عبد ربه :- العقد الفريد
مطبعة لجنة الترجمة والنشر • القاهـــرة ١٩٤٨م

١٥- ابن الفقيه :- أبو بكر أحمد
مختصر كتاب البلدان - طبعة دي غول

١٦- ابن قتيبة :- ابن قتيبة الدنيوي
أ - الامـــامة والســياسة • ط ٣ البابي الحلبي ١٩٦٣م
ب - عيون الاخبار
ج - المعارف

١٧- ابن القلانسي :- حمزه بن القلانسي
تاريخ ابن القلانس ويعرف (بذيل تاريخ دمشق)

١٨- ابن كثير :- عمادالدين أبو الفدا بن اسماعيل بن عمر الدمشقي ت ٧٧٤هـ
البداية والنهاية في التاريخ
مطبعة السعادة مصر

١٩- ابن النديم :- ابن النديم
الفهرست
مطبعة الاستقامة القاهرة

٢٠- ابن الوردي :- زين‌الدين عمر المتوفى سنة ٧٥٠هـ
مختصر تاريخ الدول • القاهرة ١٢٨٥هـ

٢١- أبو سالم :- محمد بن طلحة الوزير

العقد الفريد للملك السعيد

٢٢ـ أبو شجاع :ـ الوزير ابي شجاع محمد بن الحسين الملقب ظهيرالدين الروذراوري
ذيل تجارب الامم ، باعتناء امد روز
مطبعة شركة التمدن بمصر سنة ١٩١٩م

٢٣ـ أبو الفدا :ـ الملك المؤيد اسماعيل ، متوفى ٧٣٢هـ
المختصر في اخبار البشر

٢٤ـ أبو يعلى :ـ محمد بن الحسن الفراء الحنبلي ، توفي سنة ٤٥٨هـ
الاحكام السلطانية
القاهرة ١٩٣٨

٢٥ـ الاربلي :ـ المتوكل على الله
خلاصة الذهب المسبوك
مطبعة القديس ١٨٨٥م

٢٦ـ البغدادي :ـ عبدالقاهر بن طاهر بن محمد بن عبدالله البغدادي التميمي ت ٤٢٩ هـ
الفرق بين الفرق ، القاهرة ١٩١٠

٢٧ـ البغدادي :ـ أحمد بن علي الخطيب
تاريخ بغداد أو مدينة السلام
مطبعة السعادة مصر ١٩٣١م

٢٨ـ البغدادي :ـ اسماعيل باشا
هديــة العارفين (أســماء المؤلفين وآثار المصنفين)

مطبعة وكالة المعارف ـ اسطنبول ١٩٥١م

٢٩ـ البلاذري :ـ أحمد بن يحيى بن جابر ، متوفى ٢٧٩هـ.
فتوح البلدان
طبع مكتبة النهضة المصرية

٣٠ـ البيروني :ـ أبو ريحان محمد بن أحمد ، متوفى سنة ٤٤٠هـ
الأثار الباقية عن القرون الخالية

٣١ـ التنوخي :ـ القاضي ابي علي الحسن
أ ـ الفرج بعد الشدة
ب ـ نشوار المحاضرة واخبار المذاكـــرة (جامع التواريخ)

٣٢ـ التوحيدي :ـ ابو حيان
مثالب الوزيرين (اخلاق الصاحب بن عباد وابن العميد)
مطبعة دار الفكر بدمشق

٣٣ـ الاتليدي :ـ محمد المعروف بدياب
اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس

٣٤ـ الثعالبي :ـ ابو منصور النيسابوري
أ ـ التمثيل والمحاضرة ، مطبعة الجوائب القسطنطينية
ب ـ لطائف المعارف
ج ـ يتيمة الدهر

٣٥ـ الجاحظ :ـ ابو عثمان عمر بن بحر

أ ـ البيان والتبيين • مطبعة الرحمانية القاهرة

ب ـ التاج في أخلاق الملوك • تحقيق أحمد زكي المطبعة الاميرية القاهرة ١٩١٤م

٣٦ـ الجهشياري :ـ محمد بن عبدوس متوفى سنة ٣٣١هـ

أ ـ الوزراء والكتاب • مطبعة البابي الحلبي مصر ١٩٣٨م

ب ـ نصوص ضائعة من كتاب الوزراء • جمع ميخائيل عواد • دار الكتاب اللبناني

٣٧ـ الحموي :ـ شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي • متوفى سنة ٦٢٦هـ

ارشاد الاريب الى معرفة الاديب • باعتناء مرجليوث

٣٨ـ الحنبلي :ـ ابو الفلاح عبدالحي بن العماد

شذرات الذهب في اخبار من ذهب

٣٩ـ الدميري :ـ كمال الدين • متوفى سنة ٨٠٨هـ

حياة الحيوان الكبرى • القاهرة سنة ١٩٥٤م

٤٠ـ الدنيوري :ـ ابو حنيفة أحمد بن داود

الاخبار الطوال

مطبعة ابريل ليدن ١٨٨٨م

باعتناء جرجاس

٤١- الذهبي :- الحافظ شمس الدين • متوفى ٧٤٨هـ.

أ - دول الاسلام

مطبعة دائرة المعارف حيدراباد الدكن ١٣٦٤هـ

ب - العبر في خبر من غبر • طبع الكويت

٤٢- راغب :- الامام الوزير محمد راغب باشا

سفينة الراغب ودفينة الطالب

٤٣- الاسحاقي :- أخبار الاول فيمن ولى مصر من أرباب الدول • طبع مصر

٤٤- السخاوي :- شمس الدين محمد بن عبدالرحمن • متوفى ٩٠٢هـ

الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ

تحقيق أحمد تيمور مطبعة الترقي دمشق ١٣٤٩هـ

٤٥- السيوطي :- جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر • توفي ٩١١هـ

أ - تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين القائمين بأمر الامة

المطبعة الخيرية مصر

ب - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة

مطبعة الموسوعات بمصر

٤٦ـ الشابشتي :ـ ابو الحسن علي الشابشتي • متوفى ٣٨٦هـ.
الديارات
تحقيق كوركيس عواد • مطبعـة المعارف
بغداد ١٩٥١م

٤٧ـ شاهين :ـ خليل شاهين
زبدة كشف الممالك • اعتناء بوليس راويس
مطبعة الجمهورية باريس ١٨٩٤م

٤٨ـ الاصبهاني :ـ أبو الفرج علي الاصبهاني • توفي ٣٥٦هـ.
أ ـ الاغاني • نشر دار الكتب المصرية
ب ـ مقاتل الطالبين

٤٩ـ الاصبهاني :ـ عماد الدين الاصبهاني
خريدة القصر وجريدة العصر قسم العراق
مطبعة المجمع العلمي العراقي • ١٩٥٥م

٥٠ـ الصائغ :ـ القس سليمان الصائغ
تاريخ الموصل
المطبعة السلفيه ـ القاهرة سنة ١٩٢٣م

٥١ـ الصابىء :ـ أبو الحسن هلال بن المحسن
أ ـ تاريخ الصابىء • مطبعة شركة التمدن
مصر ١٩١٦م
ب ـ تحفـة الامراء في تاريخ الوزراء •
مطبعة البابي الحلبي
جـ ـ رسوم دار الخلافة • تحقيق ميخائيل
عواد

مطبعة العاني بغداد

د - أقسام ضائعة من كتاب الوزراء جمع ميخائيل عواد

مطبعة المعارف - بغداد ١٩٤٨

٥٢- الاصطخري :- المسالك والممالك

ليدن - مطبعة بريل سنة ١٩٢٧م

٥٣- الصفدي :- صلاح الدين ايبك . توفي ٧٦٤هـ

أ - الوافي بالوفيات . مطبعة الدولة اسطنبول

ب - نكت الهميان في نكت العميان

المطبعة الجمالية بمصر ١٩١١م

٥٤- الصولي :- ابو بكر محمد بن يحيى

اخبار الراضي بالله والمتقي لله . او (تاريخ الدولة العباسية من كتاب الاوراق) .

مطبعة الصاري باعتناء هيورث

٥٥- الطبري :- ابو جعفر محمد بن جرير

تاريخ الامم والملوك

المطبعة الحسينية بمصر ومطبعة ليدن ١٩٠١م

٥٦- الطرطوشي :- ابو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري

سراج الملوك

٥٧- العباسي :- الحسن بن عبدالله

اثار الاول في ترتيب الدول

٥٨- عريب :- ابن سعد القرطبي
صلة تاريخ الطبري • المطبعة الحسينية بمصر

٥٩- العمري :- شهاب الدين ابن العمري
التعريف بالمصطلح الشريف
مطبعة العاصمة القاهرة ١٣١٢هـ

٦٠- العصامي :- عبدالملك المكي
سمط النجوم العوالي في اخبار الاوائل والتوالي
المطبعة السلفية بمصر

٦١- القرماني :- ابو العباس أحمد بن يوسف الدمشقي
اخبار الدول وآثار الاول في التاريخ
طبع بغداد سنة ١٢٨٤هـ

٦٢- القزويني :- القزويني
آثار البلاد واخبار العباد • طبعة كوتنجين ١٩٤٨م

٦٣- القلقشندي :- أحمد بن علي بن عبدالله
أ - صبح الاعشى في صناعة الانشاء
ب - مآثر الانافة في معالم الخلافة
مطبوعات وزارة الارشاد الكويت ١٩٦٤م

٦٤- الكتبي :- محمد بن شاكر • توفي سنة ٧٦٤هـ
فوات الوفيات • مطبعة السعادة بمصر

٦٥- الماوردي :- أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري متوفى ٤٥٠هـ

أ - الاحكام السلطانية والولايات الدينية

مطبعة البابي الحلبي مصر سنة ١٩٦٠م

ب - أدب الوزير (قوانين الوزارة وسياسة الملك)

مطبعة دار العصور القاهرة ١٩٢٩م

٦٦- مجهول :- العيون والحدائق في اخبار الحقائق . مطبعة ليدن

٦٧- المسعودي :- ابو الحسن علي . متوفى ٣٤٦هـ

أ - التنبيه والاشراف

ب - مروج الذهب ومعادن الجوهر

مطبوعات دار الاندلس بيروت

٦٨- مسكويه :- تجارب الامم . باعتناء امدروز سبع مجلدات

مطبعة التمدن مصر ١٩١٤

واكسفورد ١٩٢٠ - ١٩٢١م

٦٩- المقدسي :- مطهر بن طاهر

البدء والتاريخ . نشر كالمان هواز

مكتبة المثنى بغداد ١٨٩٩م

٧٠- المقدسي :- المعروف بالبشاري

احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم / مطبعة بريل - ليدن ١٩٠٦ م

٧١ـ المقريزي :ـ تقي الدين احمد بن علي
أ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك • مطبعة
دار الكتب المصرية •
ب ـ شذور العقود في ذكر النقود • نشر
جيرارد ١٧٩٧ م •
ج ـ المواعظ والاعتبار لذكر الخطط والاثار
طبعة بولاق القاهرة •

٧٢ـ الواسطي :ـ اسلم بن سهل الرزاز • متوفى ٢٩٢هـ •
تاريخ واسط • تحقيق ميخائيل عواد
مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٧ م

٧٣ـ الهمداني :ـ محمد بن عبدالملك
تكملة تاريخ الطبري • تحقيق البرت يوسف
المطبعة الكاثوليكية بيروت •

٧٤ـ اليافعي :ـ اليمني • توفي ٧٦٨هـ
مرآة الجنان •
مطبعة دائرة المعارف الدكن ١٣٣٧هـ •

٧٥ـ اليعقوبي :ـ احمد بن يعقوب المعروف بن واضح
الاخباري • ت ٢٩٢هـ
تاريخ اليعقوبي • مطبعة الغري النجف •

(المصادر الحديثة)

ارنولد :ــ توماس ارنولد
الخلافــة
تعريب جميل معلى – دمشق ١٩٤٦ م

الاعظمي :ــ علي ظريف
مختصر تاريخ بغداد
مطبعة الفرات بغداد ١٩٢٦ م

امير علي :ــ سيد امير علي
مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي
مطبعة الترجمة والنشر ــ القاهرة ١٩٣٨ م

امين :ــ احمد امين
١ – ضحى الاسلام
ط ٣ مطبعة التأليف والنشر ــ القاهرة ١٩٣٨ م
٢ – ظهر الاسلام
ط ٣ مطبعة التأليف والنشر ــ القاهرة ١٩٣٨ م

الباحسين :ــ علي بن عبدالرحمن الباحسين
البرامكة (رسالة ماجستير)
مطبعة الازهر ــ بغداد ١٩٦٢م

برانق :ــ محمد احمد برانق
١ – الوزراء العباسيون
منشورات مطبعة لجنة البيان العربية

المطبعة النموذجية ـ القاهرة ١٩٤٨ م
٢ ـ البرامكة في ظلال الخلفاء
مطبعة دار المعارف بمصر

بروكلمان :ـ كارل بروكلمان
الامبراطورية الاسلامية وانحلالها ترجمة نبيه امين
منشورات دار العلم للملايين ـ بيروت

الباشا :ـ حسن الباشا
الالقاب الاسلامية
مطبوعات النهضة المصرية ١٩٥٧ م

ثابت :ـ نعمان ثابت الرئيس الركن
الجندية في الدولة العباسية
مطبعة اسعد ـ بغداد ١٩٥٦ م

جورج وراتب :ـ جورج وراتب
مختصر تاريخ الحضارة العربية
مطبعة اليقظة العربية ـ دمشق ١٩٤٤ م

الجومرد :ـ الدكتور عبدالجبار الجومرد
١ ـ داهية العرب ابو جعفر المنصور
دار الطليعة ـ بيروت ١٩٦٣ م
٢ ـ هارون الرشيد
مطبعة دار الكتاب ـ بيروت ١٩٥٦ م

جوهري :ـ طنطاوى جوهري
براءة العباسة
مطبعة البابي الحلبي ـ مصر ١٩٣٦ م

حتي :ـ فيليب حتي
تاريخ العرب (مطول) ١٩٥٣ م

حسن :ـ الدكتور حسن ابراهيم حسن
١ ـ تاريخ الاسلام السياسي
ط ٢ مطبعة البكش ـ القاهرة ١٩٤٨ م
٢ ـ النظم الاسلامية
مطبعة التأليف ـ القاهرة ١٩٣٩ م

الحسيني :ـ محمد باقر الحسيني
العملة الاسلامية في العهد الاتابكي (رسالة ماجستير)
دار الجاحظ ـ بغداد ١٩٦٦ م

الخضري :ـ الشيخ محمد الخضري
محاضرات في تأريخ الامم الاسلامية (الدولة العباسية)
طبع مصر

دروزه :ـ محمد عزت دروزه
مختصر تاريخ العرب والاسلام
المطبعة السلفية ـ مصر ١٩٢٥ م

الدوري :ـ الدكتور عبدالعزيز الدوري
١ ـ تأريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجرى
مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٤٨ م
٢ ـ العصر العباسي الاول
مطبعة التفيض الاهلية ـ بغداد ١٩٤٢ م
٣ ـ العصور العباسية المتأخرة
مطبعة العاني ـ بغداد

٤ ـ النظم الاسلامية
مطبعة نجيب ـ بغداد ١٩٥٠ م
٥ ـ الجذور التأريخية للشعوبية
دار الطليعة ـ بيروت

الرافعي :ـمصطفى مصطفى الرافعي
١ ـ الاسلام نظام انساني
٢ ـ حضارة العرب في العصور الاسلامية الزاهرة
دار الكتاب اللبناني ـ بيروت

رستم :ـعبدالسلام رستم
ابو جعفر المنصور الخليفة العباسي
دار المعارف ـ مصر ١٩١٤ م

رفاعي :ـاحمد فريد رفاعي
عصر المأمون
مطبعة دار الكتب المصرية ـ ١٩٢٨ م

زيدان :ـجرجي زيدان
تاريخ التمدن الاسلامي
مطبعة دار الهلال ـ القاهرة

السامر :ـفيصل جرىء السامر
ثورة الزنج
مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٥٤ م

سرور :ـالدكتور محمد جمال الدين سرور
تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق
مطبعة دار الفكر العربي ـ القاهرة

شلبي :ـ الدكتور احمد شبلي
التاريخ الاسلامي والحضارة العربية
مطبعة النشر والتأليف ـ القاهرة ١٩٦٠ م

الصالح :ـ الدكتور صبحي الصالح
النظم الاسلامية نشأتها وتطورها . (بيروت)

طلس :ـ محمد اسعد طلس
١ ـ عصر الاتساق
دار الاندلس ـ بيروت ١٩٥٨ م
٢ ـ عصر الازدهار (تأريخ الدولة العباسية)
دار الاندلس ـ بيروت ١٩٦٠ م

عبدالغني :ـ محمد عبدالغني
صراع العرب خلال العصور
مؤسسة المطبوعات الحديثة ـ مصر

العدوى :ـ الدكتور ابراهيم العدوى
الدولتان الاسلامية وامبراطورية الروم
مطبعة الانجلو المصرية ١٩٥٨ م

عطية الله :ـ محمد عطية الله
دائرة المعارف الحديثة
دار النيل للطباعة ـ ١٩٥١ م

علي :ـ الدكتور علي ابراهيم حسن
١ ـ نساء لهن نصيب في التأريخ الاسلامي
٢ ـ التاريخ الاسلامي العام

الفياض :ـ عبدالله الفياض

تاريخ البرامكة

مطبعة الرشيد ـ بغداد ١٩٤٨

كحالة :ـ عمر رضا كحالة

١ ـ مختصر تاريخ الدول الاسلامية

المطبعة الهاشمية ـ دمشق ١٩٥٨ م

٢ ـ اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام

المطبعة الهاشمية ـ دمشق ١٩٥٩ م

كرد علي :ـ محمد كرد علي

١ ـ الادارة الاسلامية في عز العرب

مطبعة مصر ـ القاهرة ١٩٣٤ م

٢ ـ الاسلام والحضارة العربية • القاهرة ١٩٥٩ م

كوك :ـ ريجارد كوك

بغداد مدينة السلام

ترجمة فؤاد جميل ـ مطبعة شفيق بغداد ١٩٦٢ م

لسترنج :ـ بغداد في عهد الخلافة العباسية

ترجمة بشير فرنسيس • المطبعة العربية ـ بغداد ١٩٣٦م

لوبون :ـ غوستاف لوبون

حضارة العرب

ترجمة عادل زعيتر

مطبعة دار احياء الكتاب العربي ـ القاهرة ١٣٧٦ هـ

ماجد :ـ الدكتور عبدالمنعم ماجد

١ ـ نظم الفاطميين ورسومهم في مصر

مطبعة لجنة البيان العربي ـ القاهرة ١٩٥٣ م
٢ ـ تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى
مطبعة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٣ م

متـز :ـ ادم متز
الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري
ترجمة ابو ريده
مطبعة لجنة التأليف والنشر ـ القاهرة ١٩٥٧ م

المدور :ـ جميل نخلة المدور
حضارة الاسلام في دار السلام
ط ٢ ـ مطبعة الحديد ـ مصر ـ ١٩٠٥ م

وجدى :ـ محمد فريد وجدى
دائرة المعارف
مطبعة الواعظ ـ مصر ١٩١١ م

وسلر :ـ جاك وسلر
الحضارة العربية
ترجمة غنيم عبدون
مطبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ القاهرة

(التفاسير والمعاجم والمجلات)

١ ـ تفسير الطبرى — محمد بن جرير الطبرى ت ٣١٠ هـ
(جامع البيان عن تأويل آي القرآن) نشر البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٥٤م

٢ ـ تفسير البيضاوى — القاضي ناصر الدين البيضاوي (ت ٧٩١ هـ)
(انوار التنزيل واسرار التأويل) — مطبعة البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٣٩م

٣ ـ تفسير روح المعاني — ابو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادى المطبعة الكبرى بمصر ١٣٠١ هـ

٤ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن الكريم — ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي عني بطبعه احمد عارف ـ مطبعة العرفان ـ صيدا ١٣٣٣ هـ

٥ ـ معجم البلدان — شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت الحموي المتوفى ٦٢٦هـ • مطبعة السعادة بمصر

٦ ـ معجم الادباء — ياقوت الحموى • مطبوعات دار المأمون

٧ ـ معجم متن اللغة — الشيخ احمد رضا • مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٠ م

٨ ـ معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي — زامباور مطبعة جامعة فؤاد ١٩٥١ م

٩ ـ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن — محمد فؤاد عبدالباقي مطبعة دار الكتب

الكريم العربية

١٠- المعجم الوسيط — اخراج ابراهيم مصطفى ورفاقه مطبعة مصـر

١١- الموسوعة العربية الميسرة — محمد شفيق غربال مطبعة دار القلـم القاهرة

١٢- لسان العرب — ابن منضور - باعتناء مرجليوث

١٣- البستان — عبدالله البستاني اللبناني المطبعة الامريكانية - بيروت ١٩٢٧ م

١٤- القاموس المحيط — مجدالدين الفيروز ابادى الشيرازي ط٢ المطبعة الحسينية - مصر ١٣٤٤هـ

١٥- مجلة مجمع اللغة العربية — المجمع العلمي العربي دمشق سـنة ٢٧ ، ٣٦ ، ١٩٦٦ م

١٦- مجلة سومر - الدينار العراقي - ناصر النقشبندى م ٣ ج٢ سنة ١٩٤٧ بغداد نشر مديرية الآثار العامة

١٧- مدينة الموصل — كوركيس عواد نشرة مديرية الآثار ١٩٥٩

المصـادر الاجنبية

1. Anthony Nathing,
The Arabs, A Narrative History from Mohammed to Present (London 1964).

2. Barthold,
Encyclopaidia of Islam. Vol. 1. (Oxford University Press (1928).

3. Bowen,
The good Vizier Ali Ibin Isa. (Cambridge 1928).

4. Brown,
History of Persia Literature. (London 1909).

5. Gibb,
Studies on the Civilization of Islam.

6. Joseph Hell,
The Arab Civilization. (Cambridge London).

7. Nicholson,
A Literary History of the Arabs. (Cambridge 1962).

8. Palmer,
Haron Al - Rashid. (London 1881).

9. Sourdel,
Le, Vizirat Abbaside. (Demas 1960).

10. Rosenthel,
Political Thought in Medieval Islam. (Cambridge 1958).

11. Wellhousen,
The Arab Kingdom and its Fall. (Calcutta 1927).

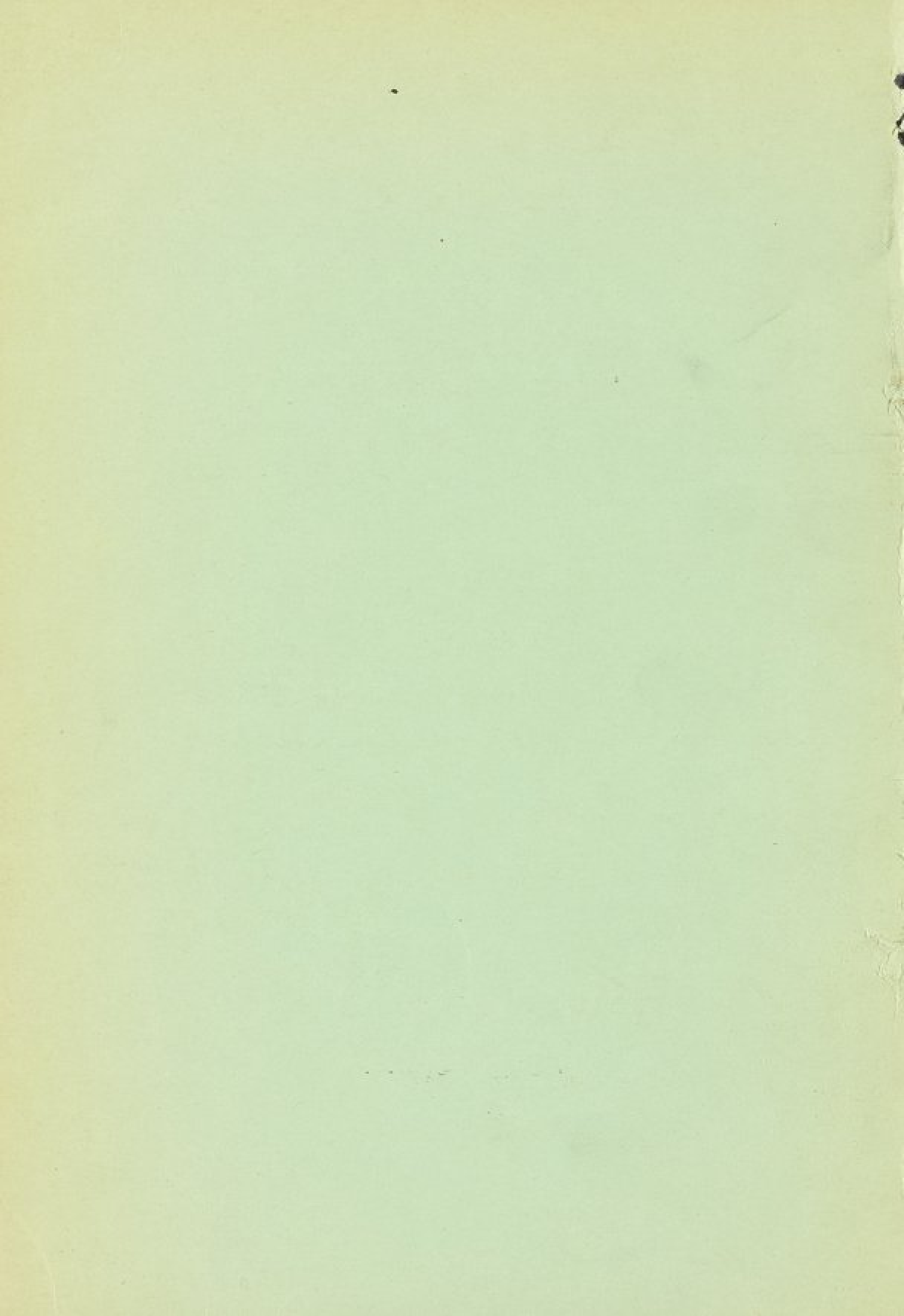
12. The Encyclopaidia Bretanica. Part 3, 23. (London 1768).

محتويات الرسالة

الصحيفة

ملاحظة :- وقعت بعض الاخطاء المطبعية البسيطة أرجو ان لا تفوت على القارىء الكريم .

٢٤/١٠٠٠/١٨/٤/١٩٧٠



AL—VIZARA

COMMENCEMENT & DEVELOPMENT

in

THE ABBASIDE STATE

(132 — 447 H.)

by

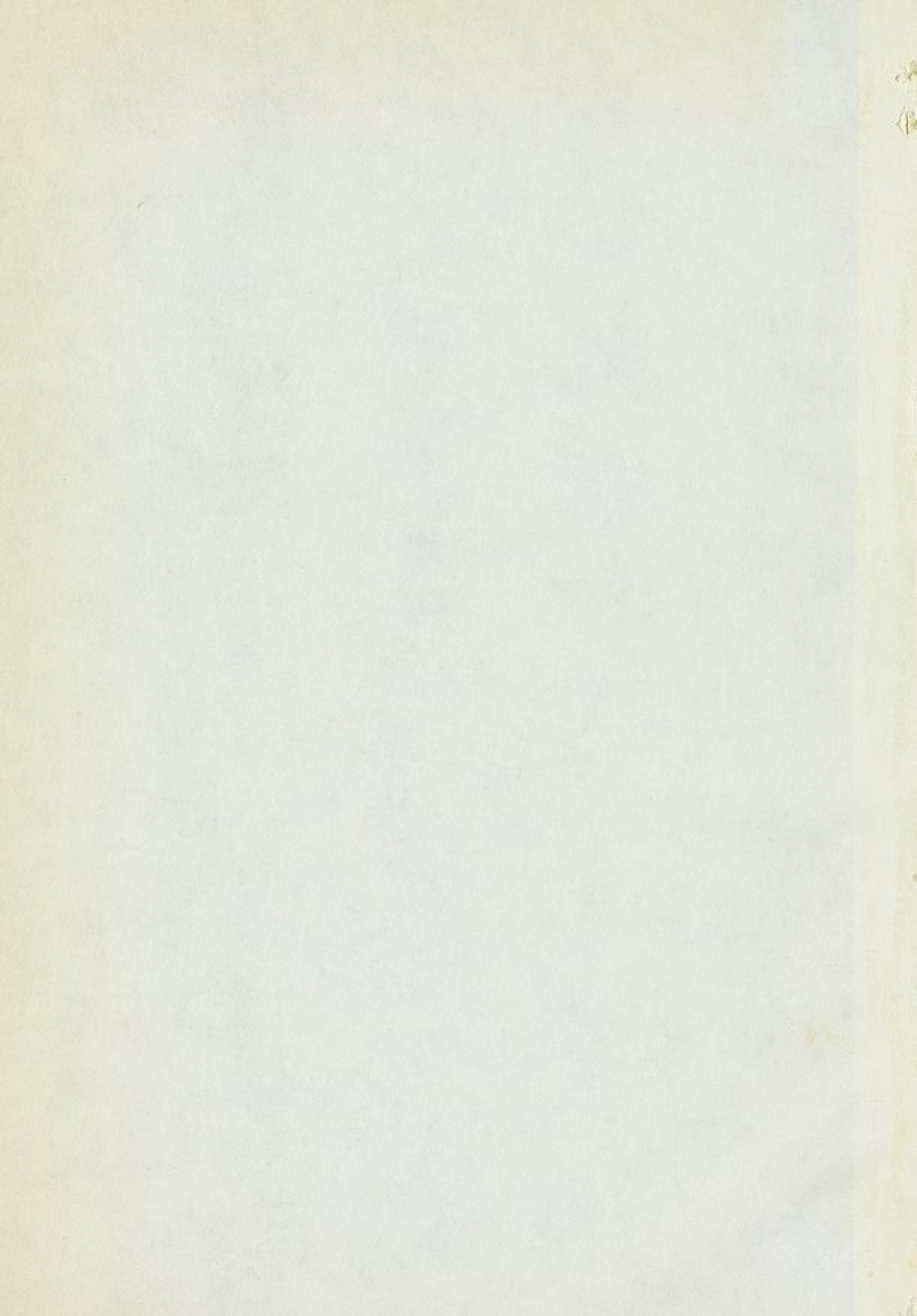
Tawfiq Sultan Al-Youzbaky

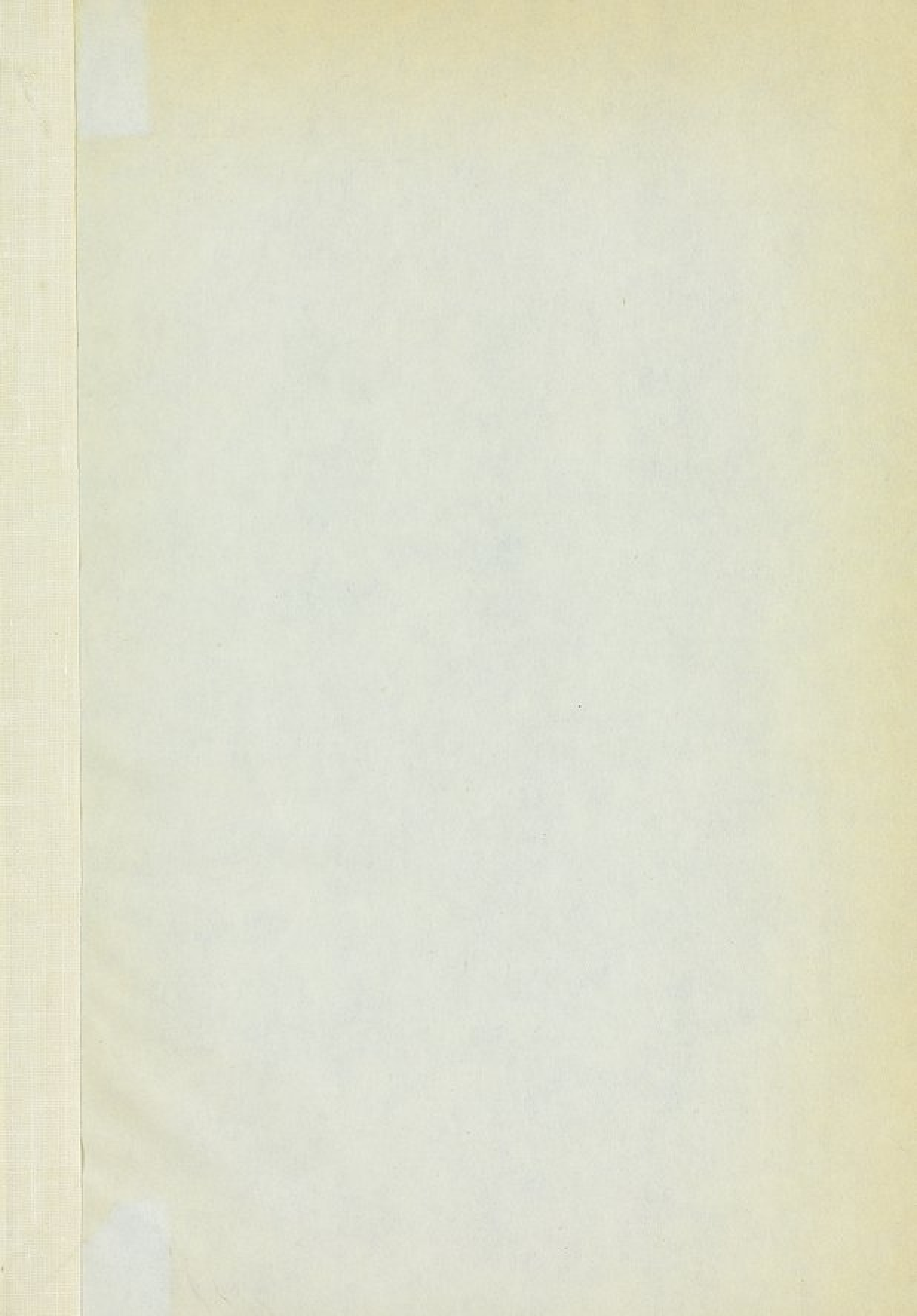
M. A. Ain - Shams

Cairo

Irshad Press — Baghdad

1970






Princeton University Library
32101 071969115